ابني چوني



چون إدموند هجاي

إهـــــداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

ابني

چوني

چون إدموند

هجــــاي

ترجمة
دكتور
رضا لمعي الجمل

مراجعة
الدكتور القس
منيس عبد النور

MY SON JOHNNY

أسم الكتاب	ابني چوني
المؤلف	دكتور/ چون إدموند هجاي
المترجم	دكتور/ رضا لمعي الجمل
المراجع	دكتور القس/ منيس عبد النور
المطبعة	دكتور/ ڤيكتور كيرلس
رقم الإيداع	١٧١٦٩ / ٢٠٠٩

مقدمة

أهدي هذا الكتاب إلى شخصين: إلى زوجتي كرستين، وإلى ابننا جوني. ولن تسمع كرستين بهذا الكتاب إلا عندما يكون في المطبعة أو عندما تقرأ إعلان الناشر عنه. ومع أن فكرة كتابته بدأت كعمل مشترك بيننا إلا أن كرستين وجدت أنها لا تستطيع أن تستمر لأن هذا يتطلب مشاعر فوق طاقتها أن تعطيها، فاعتذرت عنه. وفي البداية شعرت بالإحباط، لكني بعد عدة شهور شعرت بالبهجة، لأني وجدت أن الكتاب يمكن أن يكون بمثابة هدية لها (وهو فعلاً هدية)، وقررتُ أن أكمل الكتاب وحدي. وكما قال طبيب جوني إن رعاية كرستين لجوني أضافت إلى سني عمره سنوات، ولو اشتركت في كتابة هذا الكتاب، ما كانت توافق علي ذكر ما فعلته وتكريسها للرب يسوع في كل فترات الألم التي مرت بها. إلا أنّ ذكر مثل هذه الأمور سيشجع كثيرين من الآباء الذين يعانون.

ولديَّ أربعة أهداف من كتابة هذا الكتاب:

أولاً: أردت أن أؤكد أن الرب يسوع يستطيع أن يستخدم أي إنسان حتى لو كان معوّقاً، إذا جعل الرب سيداً على حياته.

وثانياً: أردت أن أشجع المحبَطين الذين يترددون في المضي إلى الأمام ليبرزوا أقصى ما لديهم من قدرات.

وثالثاً: أردت أن أوضح كيف يستخدم الرب فتاة جميلة موهوبة ليتلامس مع حياة الملايين، مع أن حريتها قد تقيدت بسبب الكارثة التي

ألمَّت بابنها وجعلتها حبيسة جدران منزلها، الأمر الذي كان يبدو في الظاهر أنه أعاق خدمتها.

ورابعاً: أردت أن أبيِّن أن بعض الأعمال العظيمة التي نعملها لأجل الرب يسوع قد لا تُعرف، فقليل من الناس دُعوا ليتحملوا ضغوطاً لمدة ربع قرن من الزمان كتلك التي تحملتها كرستين. إلا أن معهد هجاي لم يكن ليرى النور كما هو الآن بدون التزامها المتفرد، فقد كانت تخدم بهدوء من وراء الستار. وفي أيامنا التي يُقاس فيها تأثير الناس من خلال أسمائهم الرنانة، والإنجاز من خلال الصوت العالي، قدمت كرستين لنا مثالاً يفند هذا الزعم.

لا يستطيع أن يدرك مدى المعاناة التي يعانيها من يكتب مثل هذا الكتاب إلا من عاش ظروفاً مثل الظروف التي عشناها. وقضى صديقي المقرب لي جداً، كِنْ أندرسون، أياماً في أمريكا وأيرلندا، يسأل ويسجل خبرات عائلة چوني وأصدقائهم المقربين، وأعدَّ مسودة أساسية. وبدون مجهوده هذا ما كُتب هذا الكتاب، فقد كان تواجده الهادئ والحيوي في وسطنا واهتمامه تجسيداً رائعاً لمحبة المسيح الحقيقية وحنانه، الأمر الذي لم أرَ مثله طوال مدة خدمتي. كان يفهمنا ويشعر بنا كما لو كان واحداً من العائلة.

وطوال مدة حياة چوني التي امتدت لأربعة وعشرين عاماً، لم يكن چوني يستطيع أن يقرأ أو يكتب. لكنه كان يستطيع أن يتواصل مع الناس في العالم من حوله الذين أحبهم، وكان يصلي لأجلهم.

وبالإضافة إلى من ذكرتهم في هذا الكتاب، أنا متأكد من أن چوني يريد مني أن أعبر عن شكره الخاص وتقديره للدكاترة صموئيل بيري، وروبرت جيبس ، وبيري وايت (والزوجة كاترينا) بالإضافة إلى المبشر إيد ليبرمان وزوجته جريس وابنتهما فلورا جين.

وأود أن أقدم شكراً خاصاً لأمي، التي كانت من أوائل من اكتشفوا ملكة الفهم لدي چوني، وأن سلامة عقله لا علاقة لها بإعاقته.

وأود أن أعبر عن امتناني للدكتور فيكتور أوليفر مدير النشر لمكتب تيندال على تشجيعه القلبي المستمر، منذ أن بدأت هذا العمل. وأشكر أيضاً فرجينيا ميور المحررة بدار تيندال لملاحظاتها الإيجابية.

وشكر خاص للسيدة لاني (مرجريت) موزي التي قامت بنسخ مسودات هذا الكتاب، كما أشكر نورما بيرد، وفيلما براون لقيامهما بأعمال السكرتارية.

كان إعداد هذا الكتاب من أكثر الأمور قسوة وألماً مرت عليَّ في حياتي.

وأصلي أن يساعد هذا الكتاب كل من يقرأه في شفاء جروحه. وفوق الكل أصلي أن يكون الرب يسوع متقدماً في كل شيء كما كانت له المكانة الأولي في حياة چوني.

چون إدموند هجاي

أتلانتا جورجيا

أغسطس ١٩٧٧

الفصل الأول

بينما أنا أكتب هذه الكلمات يرقد ابني الوحيد چوني في فراش الموت. ولا أعتقد أن هناك شخصاً يحتمل مثل هذه التجربة المريرة، التي فيها يعتصره الألم، أكثر من مرة في حياته. وفي مثل هذه الظروف نستطيع أن نفهم أنفسنا على حقيقتها، بل نستطيع أن نرى الجزء الخفي في حياتنا الذي قد لا يراه أقرب المقربين إلينا. فأنا كما يراني البعض أستطيع أن أتحكم في مشاعري، حتى أن كثيرين يعتبرونني بارد المشاعر، أو رزيناً لا أنفعل، أحسب كل الأمور بعناية، شخصاً لا يبكي لا في السر ولا في العلن. نعم فأنا لا أبكي الآن أمام الناس لكن في داخلي قلب يعتصره الألم بسبب كربي الشديد.

منذ عدة شهور، قال لي صديقي چون الذي يعمل مؤلفا : «يجب أن تكتب قصة حياة چوني. ويجب أن تبدأها من الآن قبل أن يموت». إلا أني ماطلت، محاولاً أن أهرب من مواجهة الحقيقة. واليوم أدركت أنه ينبغي أن لا أؤجل كتابة هذه الكلمات بعد الآن، فأنا مديون لچوني، ومديون أيضاً لأمه، زوجتي كرستين.

الآن أنا في طائرة بان أمريكان ٧٤٧، في طريق عودتي إلى بيتنا من جنوب الأطلنطي حيث فتح الرب لي باباً للخدمة للعالم الثالث.

وقبل أن أستطيع الانتهاء من كتابة هذا الكتاب سيكون چوني (الذي على مشارف الرابعة والعشرين من عمره) قد فارق الحياة.

يجب أن لا أشتكي

في الواقع أنا لا أشتكي

لقد عاش چوني عشرين سنة أكثر من كل توقعات كل الأطباء الذين تابعوه منذ طفولته المبكرة.

عندما ركبت هذه الطائرة المتجهة إلى سان فرانسيسكو، تقدم إليَّ المسئول عن خدمة المسافرين، ولم أكن قد قابلته من قبل، ووضع يده على كتفي وقال «د. هجاي، أود أن أخبرك أننا معك، وكلنا نتمنى أن تتحسن حالة ابنك». فبعض أصدقائي الذين لا أعرف من هم، أبلغوا فريق الضيافة الذي على الطائرة بحالة ابني.

وبعد أن ارتفعت الطائرة، وبدأ فريق الضيافة يخدم المسافرين، تقدمت إليَّ كبيرة المضيفين، وكانت سيدة أوروبية، في الأغلب من السويد أو النرويج، وقالت لي «نحن مهتمون بابنك، وإن كان هناك أي شيء نستطيع أن نقوم به لنجعل رحلتك أكثر راحة، أرجو أن تخبرنا».

لعلكم سمعتم عن المعاملة الرسمية جداً التي يتعامل بها هؤلاء الأشخاص الذين يحتكون بالجمهور، وقد رأيت ذلك كثيراً، لكن في تلك الليلة اختار الله طاقم ضيافة من نوع خاص استطاع أن يساعدني في تلك الساعات العصيبة. هل كانوا يتعاملون بذات الطريقة مع ذوي الاحتياجات الخاصة الذين كانوا معنا على متن هذه الطائرة؟ لا أعلم. لكني مديون لله ولهم على ما فعلوه من أجلي.

في أثناء رحلاتي بالطائرة، عادة أقضي وقتي في القراءة، أو في كتابة بعض الملاحظات عن امتداد الخدمة في دول العالم الثالث، أو أدرس تفاصيل بعض الأمور الهامة. إلا أني لم أفعل هذا في تلك الليلة. لقد جلست مدة طويلة أنظر إلى الظلام الخارجي، ولم تكن ليلة مقمرة، لكن من خلال نور النجوم استطعت أن أحدد شكل السحب.

يقتضي عملي أن أقوم برحلات كثيرة حول العالم، لذلك فانا أقوم بمثل هذه الرحلة مرات كثيرة، وفي مناسبتين أو ثلاث مناسبات اصطحبت أنا وكرستين ابننا چوني معنا. كم كان يود أن يصاحبني في هذه الرحلة، سواء كانت بالنهار أو بالليل فالأمر لا يهمه، لكن ما كان يهمه هو أن يطير بالطائرة.

قدَّم جو إروين (أحد الرجال الذين ساروا على القمر، والذي أعلن بكل وضوح إيمانه بالرب يسوع) لچوني أتوجرافاً. ومنذ ذلك الوقت أصبح لدى چوني اهتمام خاص بالفضاء، فكلما كان هناك برنامج تلفزيوني عن الفضاء وخاصة القمر، كان چوني يريد أن يجلس بالقرب من التلفزيون وعيناه المتسعتان تتابعان كل التفاصيل. كان هذا الأمر يجهده في بعض الأحيان وهو ينتظر هبوط أو إقلاع سفينة فضاء.

يا له من شخص! كنت أود أن أقدمه لكم، فهو يتمتع بعقل مثل الكمبيوتر، وهو سريع البديهة، خفيف الظل، من السهل أن يتواصل مع الناس، وأكثر سهولة في تواصله مع الله.

لا أحد حتى والدته يقضي كل هذه الساعات يومياً في الصلاة من أجل الكرازة. وعدد قليل جداً من الناس، حتى القريبين مني ومن خدمتي يفهمون رؤيتي ومشغوليتي بالخدمة، بل لعلي لا أستطيع أن أشير على أي شخص في أي مكان أجد فيه المثل لأحتذي به في محبته، والتزامه، وصبره. فمع أنه في الرابعة والعشرين من عمره، إلا أن ابني لم يشارك في حديث عادي، فهو لا يستطيع الكلام، ولم يلعب الجولف فهو لا يستطيع أن يمشي، ولم يخرج لتناول طعامٍ مع أحد لأنه لا يستطيع أن يطعم نفسه، لم يضع رباط عنق، فهو لا يستطيع أن يلبس نفسه.

وبالرغم من أنه كان محروماً من مميزات يعتبرها كل الناس من المسلمات، إلا أن چوني كان يستطيع التواصل بقوة. فهو يستطيع أن يقرأ الناس بدقة فائقة، وكان يشارك انطباعاته معي. وكثيراً ما أرشدني إلى الدخول في علاقات طيبة، وكان يحميني من بعض الانتهازيين.
لقد تدربنا على بعض الأصوات والإيماءات التي كان يستخدمها چوني ليعبر عن الأمور التي تعجبه والتي لا تعجبه.
كانت لديه كلمتان: «بيه» وهي تعني «نعم»، و«أمن» ويقصد بها «لا». وكان يحاول أن يعبر عن بعض الكلمات الأخرى، وأنا متأكد أنه كان يملك كمّاً هائلاً من الكلمات في عقله، لكنه لم يستطع أن ينطق بها. وكانت الأصوات التي يصدرها بالرغم من أنها لا تحوي كلمات

لكنها تساوي عدد حروف الكلمة التي يريد أن يعبر عنها. وفوق ذلك كله، كانت عيناه تتحدثان بعبارات الرضا برغم سنين الألم والإحباط.

الألم

لا أستطيع أن أهمل الألم في قصة حياة چوني، مع أني اختبرته وشعرت به في كل مرحلة من مراحل حياته، لكن في الحقيقة قصة الألم في حياة چوني هي قصة ألم أمه، فقد صرفا ساعات طويلة معاً بصفة مستمرة لنحو ربع قرن. وهذه التضحيات التي قدمتها والتي من الصعب أن نعبر عنها، والتضحيات التي أقدرها أنا ويقدرها چوني، لا تعتبرها هي تضحية.

كل رجل يحب أن يكون فخوراً بزوجته، لكني أنا فخور أكثر من الكل بل وممتن، فقد بارك الله حياتي بزوجة جميلة. وفي الأيام التي كان فيها فريق أوركسترا ذا شهرة عالمية، اشتركت كرستين زوجتي في مسابقة اختيار الموهوبين وحصلت على المركز الأول في الغناء المنفرد، واشتركت أيضاً مع إرني فورد في تقديم بعض البرامج في الراديو في مناسبات متعددة.

لكن في هذه السنين التي قضتها مع چوني، فضلت زوجتي أن تنحي كل مواهبها وأمنياتها الشخصية جانباً لتتفرغ لرعايته. وكان چوني يدرك ذلك تماماً، الأمر الذي كان يصيبه بالإحباط.

هل تستطيع أن تتخيل نفسك الآن وأنت تتمتع بذات عقلك واهتماماتك، وتوجهاتك، وطموحاتك، لكنك محبوس في جسد لا يتحرك؟.. كان هذا هو ابني الحبيب چوني!

في كل حياته لم نستطع أن نتركه وحيداً في مجال أبعد من مجال سمع شخص آخر له، وفي معظم الأحيان كانت أمه هي ذلك الشخص. كانت لديه صعوبة فائقة في هضم الطعام. وكان يعاني من إحساس بالغثيان بصورة متكررة، وأحياناً كان يشعر بالاختناق.

أضف إلى إصابته الجسدية احباطه الفكري. فمثلاً هو يوجه نظره بسرعة تجاه أي بنت جميلة تسير بجواره. وبالرغم من فهمي العميق له، إلا أني لا أستطيع أن أفهم ما يعتمل بداخله وهو يتمتع بكل أحاسيسه الداخلية، نفس المشاعر التي يختبرها فتي في العشرين من عمره لكنه محبوس في جسد مثل جسد تلك الشخصية التي صورها فيكتور هوجو، مع الفارق أن شخصية فيكتور هوجو شخصية خيالية، لكن چوني شخص حقيقي.

كان يحب الأماكن العامة. كان يحب المطار، ومراكز التسوق، وبهو الفنادق. كان يحب أن يجلس في كرسيه المتحرك في أحد أركان المكان، حيث يستطيع أن يرى كل الجموع ولا يمل مهما طال الوقت.

والشيء الطبيعي لفكر وطريقة حياة كل فتى أمريكي متحضر كان طبيعياً بالنسبة لچوني، لكن الاختلاف الوحيد هو إعاقته الجسدية.

تزاحمت كل هذه الأفكار في ذهني وأنا أجلس في الطائرة. لم أشعر بالوقت يمر ببطء مثلما كان يمر وقتها.

قطعت برنامجي وأنا في جنوب المحيط بسبب الأخبار التي جاءتني من البيت. كانت كرستين معي في هذه الرحلة عندما أخبرتنا الأم باركر أن چوني مريض جداً، فقررت كرستين أن ترجع فوراً، وألححتُ عليها أن أرجع معها، لكنها لم توافقني وقالت إني يجب أن أنتظر حتى أنتهي من عملي. وبعد عدة ساعات جاءتني مكالمة عاجلة من أحد زملائي يخبرني بأن حالة چوني قد تأخرت، لذلك فأنا الآن في طريق عودتي.

تقدم طائرات بان أمريكان العشاء بعد منتصف الليل، وأنا لا أستطيع التفكير حتى في الطعام. وفي الأوقات الطبيعية من النادر أن أتناول طعاماً في الطائرة لأني اكتشفت أن هذا يجعلني أتغلب على فروق التوقيت بين مكان وآخر.

كنت أشعر بالتعب لكني لم أشعر بالاكتئاب أو الحزن. لقد اختبرت الحزن من قبل، لكني لا أعرف معنى الاكتئاب، فقد حررني الرب منذ سنوات من هذه المشاعر وأنا أكتب كتابي «كيف تتغلب على القلق؟».

وأؤمن من أعماق قلبي في سلطان الله، وأنه يتحكم في كل شيء، إلا أن هذا لا يعفيني من المسئولية، لكن عندما أتحدث مع الله وأطلب مشيئته أشعر بالراحة لأن «كل الأشياء» ستعمل للأفضل. بالتأكيد كل الأشياء.

أعترف أني أضيق أحياناً ويعتريني عدم الصبر، لكني لا أشعر أبداً بالاكتئاب.. أما في تلك الليلة فقد تسلطت عليَّ مشاعر جديدة. مررنا بأوقات اقترب فيها چوني من الموت، لكنه الآن يرقد على سرير الموت، وباب القبر مفتوح أمامه.

كنت أتمنى وأصلي أن يتمهل عليه الموت حتى أتمكن من أن أراه مرة أخرى، لعل الأدوية أو الوسائل الطبية الحديثة يمكن أن تمد في عمره ثلاثة أو أربعة أعوام.

كانت لي الفرصة أنا وزوجتي أن نتحدث سوياً كثيراً عن چوني قبل ذهابي لهذه الرحلة. قلت في إحدى الليالي «لم تكن خدمتنا ستصبح حقيقة لو لم يكن هنا چوني» فأجابت كرستين «أعلم ذلك». فأكملْتُ حديثي قائلاً «ولولا كل ما قمتِ أنتِ به لتساعديني وترفعي أحمالاً من على كتفي».

لقد عانى چوني من تشنجات لسنوات طويلة، وكنا نسرع به إلى المستشفى ونرى الطبيب وهو يضع إبرة في جبينه ليحقنه بمادة أميتال الصوديوم. بعد ذلك بدأ يعاني من نوبات متفرقة من التشنجات لكن معظمها كان يحدث مباشرة عندما أتركه وأذهب في مهمة أو من شدة انفعاله عند عودتي من السفر. ووصف له الطبيب دواءً كانت كرستين تعطيه له عند الضرورة فقط بسبب عدم قدرة چوني على احتمال الأدوية.

كل هذه الظروف أعطتنا القدرة أكثر من غيرنا على التأقلم وقبول هذه الضغوط والإحباطات. كنا صغاراً في السن في ذلك الوقت، وكبرنا معاً ولدينا هذا التوقع تجاه ابننا چوني في أي وقت. أحياناً كان وكأننا نسير على قشر البيض أو أنصال الأمواس. لكن هذه الأمور كانت في خطة الله ليعدنا للعمل الذي أعدَّه لنا. الآن يوجد معهد اسمه «معهد هجاي» يقدم خدمة لقادة متميزين من العالم الثالث.

كانت هذه الخدمة سبب غِنى حقيقي لحياتي، لكني تأثرت كثيراً بما فعله الله مع كرستين، وما فعله لحياتي من خلالها.

فعلى سبيل المثال، في أوائل هذا العام، بعد أن مر ابننا چوني بأيام عصيبة، جاءت كرستين إلى غرفة مكتبي في بدروم منزلنا وقالت بكل تصميم «أود أن أقول لك شيئاً. أنا أعلم مدى اهتمامك بچوني، لقد حذرنا الأطباء وقالوا لنا إن المسألة مسألة وقت. ربما يكون هذا العام، لكن يجب أن تستمر في عملك، ولا أريد منك أن تؤجل أيّاً من التزاماتك».. أنا أعرف أن كرستين شخصية تتمتع بنوع من التصميم، لكن لا أتذكر وقتاً كانت فيه أكثر تصميماً من ذلك الوقت التي قالت لي فيه هذه العبارات.

يا له من اتجاه تخلت فيه تماماً عن الذات! هذا الذي جعلني أرتب أربع رحلات طويلة كل عام، كان من ضمنها هذه الرحلة.

إن رسالة معهد هجاي، الذي يعقد دورات تدريبية في سنغافورة وفي بعض دول العالم الثالث عدة مرات سنوياً، تؤثر الآن في حياة الكثيرين

من القادة المؤمنين في العالم الثالث. ومن خلال هؤلاء القادة تزداد قائمة خريجي المعهد وبالتالي دورات التدريب التي تُعقد في أماكن مختلفة من أفريقيا وآسيا بل وفي بعض الأماكن الإستراتيجية. بالتأكيد تدريب أشخاص من دول العالم الثالث في بلادهم أفضل من تدريبهم في الدول الغربية حيث يتعرضون للفروق الثقافية الشاسعة بين بلادهم وبلاد الغرب.

رأيت هذه الخدمة الغالية جداً على قلبي، والتي استنفذت الكثير من جهدي ووقتي واهتمامي وكأنها محبوسة في سجن هذه الليلة. كانت عندي مواعيد يجب أن أفي بها في الشرق الأوسط والهند وإندونيسيا، لكني شعرت أني في هذه الليلة ملك لچوني.

لقد حان الوقت ليموت.. هذا ترتيب الله في حياته. لكني كنت أصلي أن يظل حياً إلى أن أصل إلى البيت وأن عقله يكون صاحياً ليستطيع أن يعرفني. أريد أن أبادله مشاعر الصداقة العميقة للمرة الأخيرة.

كنت أصلي «يا رب، دعه يعيش لعدة أيام أخرى».

أخيراً وصلت إلى هونولولو، وهرولت إلى التليفون واتصلت بكرستين التي قالت «لن تصدق كم هو ضعيف. كدنا نفقده من نصف ساعة». فسألت «هل هناك ممرضات يخدمنه؟» أجابت «نعم. لقد طلبت العون ليلة البارحة». وصدمتني كلماتها، فهي بطبيعتها معتدلة، وما كانت لتطلب مساعدة ممرضة لو لم تكن خائفة على حياة چوني. ومضت

تقول «حدث شيء رائع. هل تتذكر دكتور باكمان؟ لقد سمعك تتحدث في نادي الروتاري في أتلانتا. تكلم دكتور جيبس (طبيب چوني) إلى دكتور باكمان عن حالة چوني، فأتى إليَّ يوم أجازته ليساعدني. چوني يعاني من انسداد معوي، ولحسن الحظ دكتور باكمان متخصص في مثل هذه الحالات، فوضعوا أنابيب في كل جسده، وهو يأخذ الآن الجلوكوز والأكسجين».

قلت «سأصل إلى البيت في أسرع وقت ممكن». قالت «أعلم هذا، لكن عند الله توقيته الخاص».

رجعت إلى الطائرة مرة أخرى، وتأملت الفضاء الذي كان مغلفاً باللون الأحمر. لقد رأيت السحب المضيئة من نافذة الطائرة عدة مرات من قبل، لكن لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا البهاء. وتكررت في ذهني الترنيمة التي تقول «عندما نتقابل لن نفترق مرة أخرى».

لقد رأى خالقنا العظيم أن يرحب بچوني الذي كان يحبه ويستقبله في منزله السماوي بهذا المنظر البديع.

عندما خرجت من الطائرة في هونولولو، تقدم إليَّ المسئول عن خدمة المسافرين (وكانت شركة الطيران قد أخبرته بحالتي) وقال لي «كنا نود أن نُجلسك في مقاعد الدرجة الأولى، لكن هذا ليس مسموحاً به. وهناك غرامة تقدَّر ببضعة آلاف من الدولارات لمن يعمل مثل هذا العمل، لكننا حجزنا لك ثلاثة مقاعد في المكان الخاص بغير المدخنين، وتستطيع أن تسترخي من هنا حتى سان فرانسيسكو». استمرت

لمسات الاهتمام بي في هذه الرحلة، وقام طاقم ضيافة الطائرة بأكثر من واجبه.

رأيت وجوهاً مألوفة في المطار، وتقدم إليَّ رجل أعمال وقال إنه يتذكرني من الحملة الكرازية التي كنت قد قمت بها في مدينة بيوريا بولاية إلينوي، وكان لنا وقت من الشركة معاً.

تمدَّدت بعض الوقت في الطائرة ونمت قليلاً. الآن باقي على وقت الوصول إلى مطار سان فرانسيسكو ساعتان. أحياناً أطلب أثناء سفري من طاقم الضيافة بالطائرة الكتاب المقدس، الأمر الذي قد يفتح باباً لحوار شيق ويتيح فرصاً للشهادة. فعندما حضرت المضيفة سألتها إن كان يوجد كتاب مقدس في الطائرة (بالتأكيد أنا أحمل كتاباً مقدساً في حقيبتي). وأحضرت لي نسخة من الكتاب المقدس.

خلال لحظات أتى إليَّ كبير المضيفين وقال لي «يدفعني فضولي أن أسألك: لماذا يطلب أي شخص الكتاب المقدس وهو في الطائرة؟ هذا الأمر لا يحدث إلا نادراً». فدعوته للجلوس، وبعد لحظات أدركت أنه هو أيضاً يحب الرب، وكان يحضر مؤتمراً في مانيلا يبحث في موضوع «الجراحة النفسية» ثم تحدثنا معاً عن أهمية النور وعن قوى الظلمة، ثم حدثته عن چوني.

فقال «أنا آسف جداً. سأصلي لأجلك ولأجل چوني. أنت تعلم أننا لا نحتاج إلى مكان خاص للصلاة، ويمكننا أن نصلي في أي مكان حتى أثناء العمل». وقضيت مع أخي في الرب هذا وقتاً غنياً في الشركة.

الآن أنا في بيتي في أتلانتا. شعرت بالسعادة البالغة وأنا أري چوني مرة أخرى، لكن في ذات الوقت تمزق قلبي عندما رأيته شاحب الوجه والألم يعتصر وجهه.

وقالت لي كرستين عندما دخلت إلى المستشفي «ستمر الأزمة، لكن إلى حين.. ربما لبضعة أيام، ربما لشهر، لكن الأمر قُضي وانتهى، فالألم الذي يحاصره، وتنفسه السريع وقلبه العليل لن يحتمل كثيراً. لكنه على الأقل ما زال معنا إلى الآن. شكرا لله».

كنت أود أن أخبر چوني عن اختباراتي الأخيرة، وعن مقدار محبة وصلاة الناس من أجله (كان چوني قد حصل مؤخراً على لقب الرئيس الفخري لجمعية الشباب) لكنه كان عليلاً جداً لا يتحمل مثل هذا الحديث المستمر.

همست له «أحبك جداً يا حبيبي». وقرأت آلاف الكلمات من خلال الطريقة التي نظر بها إليَّ.

في قلبي كلمات كثيرة، الأمر الذي لم يحدث من قبل. كانت حياة چوني خاصة، لكني الآن أحكي قصته كهدية له، وتقديراً لأمه الشجاعة، ولأني أؤمن أن چوني لديه الكثير ليخبركم.

الفصل الثاني

انتهى كل شيء الآن وأصبح چوني مع الرب الذي أحَبه وكان يريد أن يخدمه. أخيراً تحرر چوني للأبد من آلام جسده مصدر معاناته المستمرة، ويمكنني أن أبدأ في سرد قصة حياته بأن أحكي عن موته، لكن الحقيقة هي أن الحياة التي تسبق الموت هي التي تحدد إذا كان حدث الموت مهماً ومؤثراً، أم أنه مجرد حادث عابر. وستفهم ما أقول وأنت تقرأ هذا الكتاب، لكني أتجاسر وأقول إن چوني عاش حياة متميزة ذات قيمة، وإلا ما كان لكتابة هذا الكتاب أي هدف، وما كنت أنا اقتنعت بأن أكتبه.

دعني أبدأ القصة من البداية.

في عام ١٩٤٣ سمح الرب لكرستين باركر أن تكون مغنّية ناجحة، لكنها أرادت أن تستخدم مواهبها لمجد الله لا لمجدها الشخصي ففكرت في الالتحاق بكلية لاهوت مودي بشيكاغو، وبدأت تقلب صفحات مجلة أخبار الطلبة السنوية فلفتت نظرها إحدى الصور، وهي صورتي. أرتها لوالدتها، تلك السيدة التي جاءت لتعيش معنا في عام ١٩٥٥، إنها ليست فقط حماتي، لكنها صديقتي العزيزة. وعندما نظرت حماتي إلى صورتي لأول مرة، كان رد فعلها سلبياً بحُجّة أن ملامح وجهي أجنبية.

ونسيت كرستين باركر هذا الموقف عندما وصلت إلى حرم كلية لاهوت مودي. لكن عندما حضرت اجتماعاً في صباح يوم الإثنين أتيحت لها الفرصة لترى صاحب الصورة التي لفتت نظرها. ولأول وهلة لم تستطع أن تتعرف على صاحب الصورة، لكنها بعد ذلك استطاعت أن تفهم رد فعل والدتها السلبي تجاه ملامحي «الأجنبية».
نعم فأنا كنت ذا ملامح أجنبية لأني من جذور سورية، فوالدي سوري الجنسية، ووالدتي إنجليزية أمريكية من أصول إنجليزية، فيجب أن أعترف أن خريطة وجهي ليست خريطة لندن، بل خريطة دمشق.
ومنذ اللحظة الأولي صنَّفتني كرستين أني من مذهب مسيحي «غير معروف». ولأنها تتبع الطائفة المعمدانية قررت في داخلها أنها لن تفكر في هذا الشخص مرة أخرى، لذلك أخرجتني من حساباتها تماماً.
قالت كرستين إنها ذات مرة كانت معي في مصعد الجامعة، نحن الاثنين فقط، وإني لم أعرها أي اهتمام. وفي مناسبة أخرى لا أذكرها تقول إننا تقابلنا معاً في الشارع وجهاً لوجه ولم أعرها أي اهتمام. ولم يكن هذا لأني لا أهتم بسيدة جميلة، لكن بسبب انشغال الفكر أو ربما التوهان.
لكن ما أتذكره جيدا هو هذا : أول مرة رأيتها ارتبكت.
بعد ذلك قالت لي ابنة عمي مارجريت هجاي جونسون والتي كانت طالبة في نفس الكلية «چون، لقد تقابلت مع بنت جميلة من بريستول فرچينيا. إنها فاتنة حقاً». فقلت لها إن النساء ليس لهن مكان في حياتي

حتى أنهي دراستي، وأكدت لها أني لن أتواعد مع أية فتاة حتى أنتهي من دراستي.

في صباح أحد أيام السبت كنت أنتظر التاكسي ليأخذني إلى محطة القطار لأسافر في خدمة تدريبية على الوعظ، عندما رأيت مارجريت وهذه الفتاة الجميلة تنزلان على السلم الخاص بمكتب بريد الكلية، فقامت مارجريت بتقديمنا الواحد للآخر، ثم دخلتا إلى مطعم للوجبات السريعة، وإلى أن حضر التاكسي بدأت أسير ذهاباً وإياباً أمام هذه المحل وكأنه بدون قصد، لكنه كان بقصد.

لقد وقعنا في الحب، وتقدمتُ لكرستين أطلب يدها في ثالث مقابلة لنا. وتضايق أبي وسألني لماذا أتقدم لها في المقابلة الثالثة، فأجبته «يبدو أن المقابلة الثانية كانت أسرع مما رتبت».

استقبلت عائلة باركر الخبر بردود فعل متباينة، فالسيدة باركر (أو الأم باركر كما كان يُطلق عليها) كان لديها تحفظات شديدة. كتبت لوئيس أخت كرستين «لا أستطيع أو أتخيل أختي باسم كرستين هجاي». وسمحت لي كرستين بأن أقرأ هذا الكلام بينما كنا ننتظر في الكنيسة لحضور فترة عبادة، الأمر الذي جعلني أغضب. أما والدها فقد قبلني بدون تحفظات. كان رجلاً جذاباً لدرجة أنك تحب أن تطيل النظر إليه. وللأسف لم أستطع أن أتعرف عليه جيداً، فقد مات عام ١٩٤٦، أي بعد حوالي سنة من زواجي بكرستين.

لم تؤثر ردود الأفعال السلبية والإيجابية لأسرة كرستين في قرارها، فكانت تطلب إرادة الله لحياتها، وأستطيع أن أقول إن الله كان لديه دور هام لها لتتميم مشيئته في حياتي.

تزوجنا في الثالث من أغسطس عام ١٩٤٥

بعد الانتهاء من الدراسة في كلية مودي، ذهبت إلى جامعة فورمانا حيث عملت راعياً للطلبة. ثم تلقيت دعوة من كنيسة معمدانية في مدينة لانكستر بولاية ساوث كارولينا، وكانت الكنيسة تمر بفترة عصيبة من الانقسام خلفت وراءها مشاكل كثيرة. لكن الله بارك الكنيسة وبدأت تنمو مرة أخرى. كان الحضور في اجتماع الصلاة حوالي خمسة وعشرين إلى ثلاثين، لكنه تضاعف حتى وصل إلى حوالي ثلاثمائة شخص في الأسبوع. وكانت النفوس ترجع إلى الرب يسوع في أيام الآحاد بل حتى خلال الأسبوع.

قمنا بدعوة چاك ويرتزن لحملة كرازية، كان چاك غير معروف في مثل هذه الكنائس النائية في الجنوب، لكن من خلال الإعلانات القوية امتلأ المكان بالإضافة لبضع مئات من الذين لم يتسع لهم المكان داخل الكنيسة، وقد قبل المسيح في تلك الليلة أكثر من سبعين شخصاً.

ومع إني كنت مبتدئاً في الخدمة، إلا أني تخطيت حواجز المذاهب، فقد كنت أؤمن أن الكنيسة ينبغي أن تخاطب المجتمع بأكمله وليس فقط مجموعة صغيرة من القطيع.

في تلك الأيام كانت صناعة المشروبات الروحية تنتشر من مجتمع لآخر بكل قوة. وشاركت كنيستنا مع كنائس أخرى في لانكستر أن تمنع دخول محلات المشروبات الكحولية في بلدنا، وكان إذا اجتمع سكان منطقة معينة واحتجوا بشدة ورفعوا شكواهم للقضاء، فإنهم يحتفظون بمجتمعهم خالياً من الكحوليات.

جاء أحدهم إلى لانكستر ناوياً أن يفتح محلاً بجوار كنيستنا، فسأله أحدهم «هل سمعت عن چون هجاي؟» فأجاب «بحق الجحيم من يكون چون هجاي هذا؟».

واشترى الرجل محلاً وأحضر حمولة شاحنة بالمشروبات الكحولية، وأعلن عن افتتاح كبير لتجارته، لكننا جمعنا أكبر عدد من التوقيعات ضد افتتاح متجره، فأضطر لغلق محله بعد ست وثلاثين ساعة من الافتتاح.

تحدثنا أنا وكرستين عن تكوين أسرة، لكننا بدأنا نقلق بعد مرور ثلاث سنوات بدون حمل، وفي عام ١٩٤٩ عندما عدت من خدمة خارج المدينة استقبلتني كرستين بفرحة غامرة وأخبرتني أنها حامل. وفجَر هذا الخبر في داخلي مشاعر لم أشعر بها من قبل، ففكرة وجود ابن وضعت داخلي فهماً جديداً لالتزامات الزواج. وبالرغم من استمراري في وضع برامج وخطط جديدة لعملي، إلا أني كنت أشعر بالسعادة الغامرة بفكرة أني سأصبح أباً.

لكن فجأة تحطمت فرحتنا فقد حدث إجهاض. كنت أتحدث مع زوجتي في طريق عودتنا من المستشفى محاولاً أن أكتشف مدى إحباطها. فقالت ببساطة إنها تثق في إرادة الله. لكني أضفت كلمات لم أكن أدرك أنها نبوة وقلت «ليس من السهل دائماً أن نفهم إرادة الله. أليس كذلك؟».

مع مرور الوقت شعرت بقلق زوجتي، هل ستحبل مرة أخرى؟ وهل إذا حدث ذلك سيكون الحمل طبيعياً؟»

بينما كانت كنيستنا تنمو، وانتشر الخبر عن نمو عضوية كنيستنا وخاصة من المؤمنين الجدد، تلقيت دعوات لخدمات كرازية في كنائس أخرى. وأثناء انعقاد هذه الاجتماعات في كاندي في جنوب كارولينا حصلنا على بعض المعلومات الطبية.

أخبرتني كرستين أنها يمكنها أن تحمل مرة أخرى، وعندما طلبت منها أن تذهب معي في الحملة الكرازية ترددت، فطلبت منها بإلحاح «أرجوك تعالي معي» فوافقت على مضض.

كان الاجتماع ممتازاً، تعرّفت فيه كرستين على مجموعة جديدة من الأصدقاء من ضمنهم سيدة شعرت بالحرية أن تتشارك معها. قالت لها صديقتها الجديدة إنه يوجد طبيب في كولومبيا له مكانة مرموقة في جمعية أطباء النساء والتوليد في مستشفي چون هوبكنز، وقد نجح في مساعدة سيدات لهن مشاكل في الحمل. فطلبت منها أن نذهب إلى هذا الطبيب بعد الانتهاء من الحملة الكرازية.

بعد عودتنا إلى منزلنا لم تكن كرستين بنفس الحماس للذهاب إلى الطبيب، لكني صممت أن نذهب إليه، وقالت بإحباط «ربما لن يفيد. ربما لن نستطيع أن يكون لنا طفل». ولكني شجعتها قائلاً «صديقتك أكدت أن هذا الطبيب يمكن أن يساعدنا».

بعد فحص نسائي دقيق قال الطبيب لزوجتي إنه لا يرى سبباً يمنع الحمل. وكان قوله بمثابة ترنيمة فرح في أذاننا.

وسألته «عندما تحبل، هل سيكون آمناً أن نأتي إلى كولومبيا للمتابعة؟». فقال «يلزمكم سفر ساعة بالسيارة من بيتكم إلى هنا، وهذا لن يشكل أي مشكلة».

كان الطبيب مبهجاً، مهذباً، لطيفاً في حديثه. بعد ذلك عرفنا أن نساء كثيرات يذهبن إليه من كل أنحاء الولايات المتحدة، وأحياناً من أنحاء العالم لأخذ مشورته، وفي الواقع في أول زيارة لنا سمعنا عن سيدة من عائلة ملكية مشهورة في أوروبا قد جاءت خصيصا إلي كولومبيا لطلب مساعدته.

كان يعامل كريس من أول مقابلة له كابنة له... قالت كريس «لدي إحساس بأن الله لديه غرض خاص لمقابلة هذا الشخص».. فقلت لها "لأنك سيدة خاصة جداً" .وبعد إحدى المقابلات قالت لي «كان لديَّ الفرصة لأشهد له عن المسيح اليوم». فسألتها «وماذا كان رد فعله؟». قالت «كان يصغي واستطعت أن أرى جوعاً روحياً عميقاً داخله».

وما لم نكن نعلمه وقتها أن هذا الطبيب كان له ابن وحيد طيار في القوات الجوية، مات أثناء الحرب الكورية، وهذا الأب المتألم كان يُظهر قبولاً للأمر، لكنه كان يعاني من ألم داخلي وكرب شديد لم يستطع أن يتغلب عليه، فابتدأ يتعاطى الكحوليات لعله يجد فيها راحة له.

كانت كرستين تذهب كثيراً إلى كولومبيا متوقعة حدوث حمل، وكانت تثق أن الله سيرتب لها الفرصة لتشهد لهذا الطبيب عن إيمانها. ومرَّت الشهور دون أن يحدث حمل. صلَّت زوجتي مرة ومرات، لكن لم يكن هناك حمل.

استمرت زوجتي في الصلاة وبدأت تتساءل: لقد صليت بأمانة وبإلحاح، لكن مرت شهور كثيرة دون استجابة، لكن في السنة التالية عام ١٩٥٠ قالت لي زوجتي إنها تتوقع أن تكون حاملاً، قلت لها «لنذهب إلى كولومبيا بسرعة!». وذهبنا إلى الطبيب، وفعلاً صحَّ توقعها.

قال لها الطبيب «يا سيدتي الصغيرة كوني حذرة والتزمي بالتعليمات».

كانت كرستين تعطيني تقريراً مفصلاً عن كل زيارة منها للطبيب، وكيف كانت تتاح لها الفرصة للشهادة له عن الخلاص. وفي كل مرة كان الطبيب أكثر تجاوباً، فكانت تتمنى أن يفتح قلبه للرب الذي وقف يقرع طويلاً على باب قلبه.

امتلأت حياتنا بالسعادة. وذات يوم قلت لها «هل تعرفين يا حبيبتي أني لم أرك أبداً بهذا الجمال من قبل». بعد عدة شهور قالت لي «أعتقد أننا سنُرزق بولد. وبرغم عدم خبرتي إلا أني أشعر أن هذا الجنين يرفس وكأنه لاعب كرة قدم، وأعتقد أنه مهتم أكثر بأن يكون واعظاً. أنا متأكدة أني أشعر به وهو يحاول أن يخبط على المنبر». وضحكنا معاً ونحن نتبادل أفراحنا.

في إحدى خدماتي جاءني أحد الرجال وقال لي «سمعت أن زوجتك حامل». أجبته «نعم». فقال لي «لقد أعطانا الله ابناً، ويسألني الناس إذا كنت أريده أن يتفرّغ للخدمة عندما يكبر، فقلت بالتأكيد أنا لا أتمنى ذلك، فأنا أود أن أراه طبيباً». أومأت برأسي وقلت «أما أنا فإذا أعطاني الله ابناً، لا أستطيع أن أراه إلا خادماً للإنجيل». وعندما قصصت على زوجتي هذا الحديث قالت «أشاركك هذه الرغبة». فقلت «أصلي أن يقبل الرب يسوع مخلصاً شخصياً له في سن صغيرة، وأن يسمح لي الله بأن أكون موجوداً معه عندما يأخذ عهد الخدمة على نفسه». قالت كرستين بفرحة «أنت تكون المسئول عن أخذ هذا العهد، لكني أود أن أكون الشخص الذي يقوده للمسيح». قلت وأنا غير مدرك أن ما أقوله نبوة «ربما نستطيع أن نفعل هذا سوياً».

قال الطبيب لكرستين ونحن نناقش معه ترتيبات الولادة «سأطلب منك أن تلدي طفلك هنا في إحدى مستشفيات كولومبيا». كان كل شيء يسير على ما يرام، وأعطى الطبيب تعليمات تفصيلية لكرستين عن كل

لحظة في حملها، في أول الحمل كنا قلقين من حدوث إجهاض مرة أخرى، لكن كلما تقدمت أيام الحمل أصبحنا أكثر راحة وهدوءاً ونحن ننتظر قدوم الطفل بفرح. كنت أتصل بالبيت كثيراً من مكتبي بالكنيسة أو من أي مكان آخر أوجد فيه، وكنت أحاول أن أتواجد في البيت أكثر إن كان من الممكن إنجاز عملي في البيت.

الآن كرستين تنظر إلى الماضي وتدرك أن الله كان يعدها إعداداً مسبقا لولادة ابننا المتفردة، فكأي أم تتوقع طفلاً اشترت أشياء كثيرة سيحتاجها الطفل.

سألتها وأنا أرى صندوقاً كبيراً مع الأشياء التي اشترتها وقلت لها «ما هذا الشيء؟». فقالت «إنها حظيرة نقالة ليلعب فيها الطفل». قلت لها «دعيني أرى ما بداخل الصندوق». لكنها لم تفتحه، وغيرت الحديث فلم أصر على طلبي.

في اليوم التالي بعد أن ذهبت إلى مكتبي في الكنيسة، ذهبت كرستين إلى هذا الصندوق، وبالتأكيد كان يجب أن تفتحه لتتأكد من سلامة ما بداخله. لكنها فكرت أنه ربما يحدث شيء ولا نحتاجه، ولأن دخلنا محدود، ربما نحتاج أن نعيده إلى المحل بسلاسة إن لم نحتج إليه.

في ظهيرة يوم الأحد بينما كنت أستعد للذهاب لخدمة مساء الأحد، شعرت كرستين بأن موعد الولادة قد حان، وأنها ينبغي أن تذهب إلى المستشفى، فبدأت أتصرف بسرعة خاصة وكنت رتبت مسبّقاً كل ما يخص أنشطة الكنيسة وما يخصنا نحن.

أبلغت المستشفى بقدومنا وحاولت أن أتصل بالطبيب، لكنه لم يكن موجوداً في منزله. تركت له رسالة مع من تحدث معي قائلاً «يجب أن أتصل به، زوجتي على وشك الولادة، أخبرني أين يمكن أن أتصل به». وحاول الذي كان يستقبل المكالمة أن يقلل من توتري فقلت له «أنا أعلم أن اليوم هو يوم الأحد. لكن أخبر الطبيب أن زوجتي ستلد. لقد أخبرت المستشفى ونحن في طريقنا إلى هناك، وسنصل في أقل من ساعة، لكني أريد أن أكون متأكداً أنه سيكون هناك عندما نصل».

أخذت الحقيبة التي كانت كرستين قد أعدتها ووضعتها في السيارة، وقطعنا الأميال بين لانكستر وكولومبيا بسرعة»

بعد أن دخلنا غرفة الاستقبال سألت «هل وصل الطبيب؟». أجابني الموظف «لا أعلم، لكن يمكنهم أن يخبروك بالداخل».

في الداخل علمت أن الطبيب لم يحضر ولم يتصل بالمستشفى منذ أن أبلغت. قالت كرستين «بالتأكيد أنه في طريقه للمستشفى». حاولت الاتصال به لكن لم أتلقَّ أي رد منه أو من أي شخص يؤكد أنه في الطريق إلى المستشفى.

قالت إحدى الممرضات محاولة تهدئتي «لا داعي للقلق، فالأطباء يطلبون من مريضاتهم أن يحضرن إلى المستشفى مع بداية ظهور أول علامة للولادة، ثم يلحق بهنَّ الأطباء، ويكون هناك متسع من الوقت حتى يحين موعد الولادة».

ثم سألت «هل تخبرون الطبيب بالحالة؟» أجابت «بالطبع». قلت لها «يجب أن تتصلوا به تليفونياً. أنا لم أستطع الاتصال به». قالت «بالتأكيد سيتصل بنا ليخبرنا بالمكان الذي نستطيع أن نتصل به فيه. أنت تعلم أن اليوم هو الأحد».

أخذوا كرستين إلى الحجرة، وبدأت أتشجع وأنا أراقبهم وهم يحاولون أن يريحوها، وقالت لها الممرضة «اضغطي على زر الاستدعاء لو احتجت لشيء»

لم يتصل الطبيب بالمستشفى، وباءت كل محاولات الاتصال به بالفشل. وأنا على وشك أن أفقد صوابي، جاءت إحدى الممرضات وقالت «اتصل الطبيب لتوه، وأعطيناه تفصيلاً عن الحالة وأكد أن كل شيء يسير بطريقة روتينية، وأنه سيظل على اتصال بنا».

استشطت غضباً وقلت «سيظل على اتصال بنا؟ أي نوع من الأطباء هذا؟ يجب أن يكون هنا».

سألت الممرضة «هل ذكر لكم أي شيء غير طبيعي عن الحمل؟». قلت «لا». قالت «إذاً سيكون هنا عندما نحتاج إليه».

مر الوقت، والألم يزداد لدى زوجتي. لكن لسبب أو لآخر، هذا الطبيب الذي أظهر اهتماماً غير عادي في أثناء الحمل فقد اهتمامه بنا لسبب لا نفهمه.

كانت تلك ليلة من أطول الليالي التي يمكن أن أتذكرها.

الفصل الثالث

بالتأكيد كانت ساعات حرجة على كلينا، لكن بالأكثر على كرستين التي تحملت العبء الأكبر من هذه المحنة العصيبة، فحياتنا ومستقبل خدمتي، بل وزواجنا، كل هذه كان يمكن أن تتغير بأحداث تلك الليلة القاسية.

أنهضت الممرضات كرستين وساعدوها أن تسير في الطرقة بينما كنت أتابع خطواتها باهتمام بالغ، وحملقتُ في ساعتي التي تشير إلى الثالثة فجراً، ثم سألت الممرضة «هل اتصل الطبيب؟» هزت رأسها وسارت بعيداً. أسرعت خلفها وأمسكت بذراعها وقلت لها «أريد أن أعرف هل هذه هي الطريقة المعتادة التي يتعامل بها مع مرضاه؟». لم تجب لكني أعتقد أني رأيت في عينيها شيئاً من القلق الذي كنت أنا أشعر به.

لم تكن زوجتي من النوع الذي يدَّعي المرض أو يبالغ في التعبير عن الألم، لكنها في ذلك الوقت كانت على النقيض من ذلك، فلم تستطع أن تخفي ألمها. كنت أشعر بالعجز الفظيع. كنت أدرك أن كرستين تحتاجني بجوارها كمصدر للأمان، لا لأزيد من مأساتها. فأخذت يدها بين يديَّ وصليت بلجاجة للرب طالباً منه أن يتدخل.

لكن الطبيب لم يأت.

وعندما طلع النهار وحان موعد ساعات العمل في صباح يوم الإثنين حاولت مجدداً أن اتصل بالطبيب بالتليفون. أجابت ممرضته الخاصة من العيادة «الطبيب لم يصل بعد». قلت «لكن زوجتي في حالة ولادة منذ ليلة الأمس. ألا يمكن أن تجديه؟».

عندي من الأصدقاء عدد من الأطباء أحترمهم جداً لأجل السنين التي قضوها في التدريب، والتكلفة العالية التي تكلفوها في فترة الدراسة، وقد حرموا أنفسهم من أنشطة كثيرة يمارسها الذين في نفس سنّهم. كل هذا يجعلني أتحمل منهم ما يمكن أن يُغضب أشخاصاً آخرين. نشكر الله على الأطباء والجراحين الذين يشاركوننا في الخدمة في العالم الثالث. لكني لا أستطيع أبداً أن أفهم هؤلاء الرجال الذين يمسكون بحياتك بين أيديهم غير مبالين أو ربما غير مكترثين في أوقات تكون فيها في أشد الاحتياج لهم.

ذهبت إلى رئيسة التمريض التي استلمت الوردية الجديدة وقلت لها محاولاً الاحتفاظ بهدوئي «انظري. حاولت أن أتصل بالطبيب. لقد اخترنا هذه المستشفى لاقتناعنا بهذا الطبيب. هل يمكنك أن تجديه؟».

أجابت «سنحاول. ارجع إلى زوجتك وسنبلغك بمجرد أن نعرف مكانه». كان قلبي يعتصره الألم وأنا أرى كرستين تتألم ألماً شديداً. أمسكت بيديها مرة أخرى لأصلي لكنها سحبت يدها ووضعت كلتا يديها على وجهها.

استدرت لأذهب إلى التليفون مرة أخرى، فقابلت رئيسة التمريض عند باب الغرفة فسألتها «هل استطعت أن تتصلي بالطبيب؟» هزت رأسها وأومأت لي بأن أخرج من الغرفة. سألتها ونحن نقف في الطرقة «هل هو في الطريق إلى هنا؟» أجابت «لم أفهم الرد الذي تلقيتُه من سكرتيرته التي أبلغتني أن الطبيب في عيادته لكنه مشغول ولا يستطيع المجيء إلى المستشفى».

استشطت غضباً وأمسكت بالتليفون وطلبت عيادة الطبيب وقلت لسكرتيرته «أرجوك أوصليني بالطبيب حالاً. يجب أن أتحدث معه». أجابت «إنه يقوم بالكشف على مريضة. أفضل حل هو أن أدعه يتصل بك. أرجوك أعطني رقم تليفون المكان الذي أنت فيه الآن».

أعطيتها رقم التليفون، لكنه لم يتصل بي.

إنه أمر غير معقول. شيء لا يمكن أن يصدقه أحد. كان بالنسبة لي مثل كابوس فظيع أو حلم مزعج لا يمكنك أن تشعر بالراحة إلا بعد الاستيقاظ منه. لكني اكتشفت أني لم أكن نائماً بل مستيقظاً. قلت لرئيسة التمريض «لا يمكن أن تكون هذه هي العناية المعتادة التي تقدمونها لأي مريضة». أجابت «أحياناً تأخذ الولادة وقتاً طويلاً خاصة عندما تكون أول مرة».

قلت «كل هذا الوقت؟». دخلت الغرفة لمراجعة حالة زوجتي. كانت الممرضة متمرسة في مهنتها وفي التعامل مع قلق الأب في انتظار ابنه الأول، لكني لاحظت أنها دوَّنت «خطر».

سالت «هل هذا الطبيب يمارس المهنة هنا؟» أجابت بعصبية «طبعاً. عدة مرات في الأسبوع». قلت «هل يتعامل مع كل مرضاه بنفس هذه الطريقة؟» وقفت الممرضة في صمت ومرتبكة. ترددت لحظة. ثم حاولت الاتصال به بالتليفون مرة أخرى. وفي هذه المرة توصلت له فقلت له بإصرار «أنا أريدك أن تأتي إلى هنا حالاً». قال بهدوء مستخفاً بغضبي «سأكون على اتصال بطاقم التمريض، والتمريض في هذه المستشفى على أعلى مستوى من الحرفية فيمكنهم أن يهتموا بزوجتك»

في الحقيقة كان الطبيب هادئاً ومقنعاً لدرجة أني شعرت بالخجل. ذهبت إلى الغرفة. كانت كرستين مستيقظة، كانت تشعر بألم محتمل نتيجة للمسكن. سألت الممرضة «في اعتقادك متى سيولد الطفل؟» أجابت «لا نعرف بالتحديد». سألت: «دقائق؟». لكني لم أتلقَّ إجابة فعدتُ أسأل «هل ساعات؟» لكنها لم تُجبني.. وأعترف أني تصرفت تصرفاً غبياً حتى لا أفقد صوابي. ذهبت إلى مكان انتظار السيارات، وركبت سيارتي وبدأت في طريق العودة إلى لانكستر لأقضي بعض الوقت في مكتبي بالكنيسة وأحاول أن أشغل نفسي بأشياء أخرى. بعد أن قطعت حوالي خمسة أميال من الطريق أدركت أنانيتي فاستدرت وعدت إلى المستشفى. اتصلت بالطبيب مرة أخرى وقلت له «سبب اختيارنا لك هو أننا كنا نريدك أن تكون متاحاً وقت الولادة. أنا لا أريد أحداً من المساعدين أو الممرضات أو أي شخص ممن يعملون

بالمستشفى. أنا أريدك أن تأتي إلى هنا في أسرع وقت ممكن. لن أستطيع احتمال أي دقيقة تأخير بعد الآن» أجاب الطبيب «سآتي حالاً». قلت «لكن إذا تأخرت أين يمكنني الاتصال بك؟» قال «أنا قادم الآن».

ولم يأتِ بسرعة، لكنه وصل أخيراً. كان جافاً ومستعجلاً. كان غير ذلك الشخص الكفء الذي كنا نحترمه ونثق فيه. كان يجب أن أدرك تأثير الكحول، لكن بسبب ضيقي وصدمتي لم ألاحظ ذلك.

قال الطبيب «حدث اتساع قليل لعنق الرحم. سأطلب من النائب أن يتابعها ويتصل بي. ربما نرجعها إلى البيت».

قلت بتعجب «ترجع إلى البيت؟ إنها في وضع الولادة منذ وقت طويل»

قال: «اهدأ».

أقامت الممرضات كرستين من السرير لتمشي في الطرقة ذهاباً وإياباً. جاء النائب وألقى نظرة على الغرفة. حاولت التحكم في أعصابي لكني أخيراً ذهبت لأستشير رئيسة التمريض. قالت بلطف «نحن نعمل كل ما يمكن عمله لزوجتك». نظرت إلى ساعتي وقلت «لقد مرّت أكثر من أربع وعشرين ساعة. ألا تعتقدين أنها تحتاج أن تلد بعملية قيصرية؟». ابتسمت الرئيسة فكررت سؤالي فأجابت «في الولادة الأولى تشعر السيدة بآلام الوضع قبل الولادة بوقت طويل». قلت متسائلاً «بهذه الشدة، وهذه المدة الطويلة؟» قالت «من الممكن».

رجعت إلى التليفون مرة أخرى لكني لم أستطع أن أجد الطبيب في البيت حيث لم يعرفوا مكانه، ولا في العيادة حيث لم يكن هناك رد. كنت أشعر بالخوف على زوجتي وعلى الطفل، فاتصلت ببيت الطبيب مرة أخرى وتوسلت للشخص الذي رد عليَّ قائلاً «بالتأكيد هناك شخص يعرف أين أجد الطبيب». فسألني «هل هي حالة طارئة؟» أجبت «نعم. أرجوك أن تخبرني أين أجد الطبيب».

أخيراً وجدت الطبيب في حفلة كوكتيل. وعندما وصل إلى المستشفى كان واضحاً جداً أنه في حالة سكر، وبرغم ذلك شعرت بالراحة لوجوده.

كانت الساعة التاسعة مساءً.

قال الطبيب للممرضة «لننقلها إلى غرفة الولادة». فقالت لي هذه الممرضة في وقت لاحق «في مثل حالة هذا الطبيب يجب أن يُمنع من العمل».

كان وضع الجنين مقلوباً مع وجود بعض المضاعفات. لو أن الطبيب كان واعياً ولم يكن ثملاً بالتأكيد كان سيحول الولادة إلى عملية قيصرية.

وقفت خارج غرفة الولادة وقد نفذ صبري، أتحرك ذهاباً وإياباً مثل أسد محبوس في قفص. وبرغم أني شخص مفكر وأميل إلى التركيز على وضع حلول للمشاكل، إلا أنى لم أستطع أن أجد حلاً لهذه المشكلة.

طال الوقت وأنا أنتظر. أخيراً ظهر الطبيب وبنظرة واحدة أدركت أنه مضطرب وأن الأمور تعثرت.

كانت الساعة العاشرة مساء يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٥٠.

سألت «كيف حال زوجتي والمولود؟»

أجاب وهو يهز رأسه «حيث أنك رجل دين، سأقول لك آية من سفر إشعياء «سيحلق بموسى مستأجرة». ثم ابتسم ابتسامة صفراء وخرج، ولم أره بعد ذلك أبداً. هذه الآية من العهد القديم لم أفهم معناها في ذلك الوقت، وحتى الآن لا أجد معنى لارتباطها بهذه المناسبة. لكن في الواقع عندما كبر چوني وأصبح رجلاً كانت ظروفه تمنعه من القدرة على حلاقة ذقنه بنفسه.

انتظرت عدة دقائق أخرى، لكن صبري كان قد نفذ، فاقتحمت غرفة الولادة. قالت ممرضة من الداخل «لا يمكنك أن تدخل هنا».

ثم دخل طبيب آخر غرفة الولادة. كان ممارساً عاماً من مدينة جولسبورو، بولاية ساوث كارولينا. كم أتمنى أن أستطيع أن أتذكر اسمه. كان قد جاء ليتابع حالة إحدى مرضاه. عندما شرحت له إحدى الممرضات حالة كرستين وطلبت منه أن يناظرها أدرك أن حالتها وحالة الطفل حرجة وأنهما يحتاجان لرعاية خاصة.

فتحت كرستين عينيها وشعرت بوجودي ثم أغمضتهما مرة أخرى. همست إحدى الممرضات لي «لقد رُزقتَ ابناً». لكن عندما رأيت الطبيب يحاول أن يحرك ذراعي الطفل على خصره ثم يرفعهما فوق

راسه أدركت أن لديَّ ابناً يعاني من مشكلة. ولاحظت أن لون الطفل يتغير من الأحمر إلى الأزرق ثم يبدو أحياناً شاحباً. فصرختُ «أعِد المحاولة يا دكتور. أعد المحاولة!». فقال «إذا كررت المحاولة كثيراً فهذا قد يقتل الطفل».

كان چوني الصغير (مع أننا لم نكن قد اخترنا له اسماً بعد) يتنفس مرة كل دقيقتين ونصف الدقيقة في الثلاث ساعات الأولى بعد ولادته.

سألت «لماذا ذهب طبيبنا إلى بيته وطفلنا في هذه الحالة؟». فقال أحدهم بصوت منخفض لكنه لم يقصد أن أسمع ما قال «في الأغلب لم يتوقع أن هذا الطفل سيعيش».

ولن تستطيع إدراك الموقف إلا إذا كنت قد مررت بموقف مشابه، أدركت أن الحالة ميئوس منها، وأنه لا شيء يمكن عمله إلا أن نصلي. وهذا ما فعلته، لكني لم أصلِّ بلجاجة كما كان يتطلب الموقف. شعرت بالغثيان وخيبة الأمل مع الغيظ الشديد حتى أن عقلي توقف عن التفكير. بعد ذلك عرفت أن كل من كانوا بالغرفة شاركوني الصلاة.

كان ترتيب الله أن تكون ممرضة غرفة العمليات في ذلك الوقت مُرسَلة، وكان بعض المساعدين من كلية اللاهوت بكولومبيا يعملون عملاً تطوعياً. كنا في أشد الاحتياج للصلاة، نعم الصلاة الكثيرة.

قالت لي رئيسة التمريض «أنا مستعدة أن أضحي بوظيفتي لأشهد معك أن هذه الولادة أسوأ ولادة رأيتها في حياتي. إذا أردت أن تقاضي هذا الطبيب على خطئه المهني سأكون أول شاهدة معك».

سألت بلهفة «خطأ مهني؟ ألن يكون ابننا سليماً؟». نظرت الممرضة إلى الأرض. قلت مستحثاً لها «أرجوك أن تخبريني. أستطيع أن أتحمل الخبر». قالت «إن طبيبك لم يكن يعلم ماذا يفعل، لأكون صريحة معك، كان الطبيب مخموراً. كان يعمل وكأنه ميكانيكي سيارات».

بعد ذلك علمت أنه بسبب التأخير والإجراءات غير الملائمة أثناء عملية الولادة، عانى ابننا من نزيف بالمخ نتج عنه تدمير بعض خلايا المخ، كما كان فكّه قد أصيب إصابة شديدة، وحدث كسر في عظمتي الترقوة مع خلع في رجله اليمنى.

سألت «ألن يكون طبيعياً؟». أجابت الممرضة بصوت ينم عن شكها في أن الطفل سيعيش «إذا عاش سيعاني من شلل تشنُّجي». تعثرت وأنا أخرج من الغرفة، فقد ملأني غضب شديد برغم عدم استيعابي للحقيقة بأكملها.

جاء إليَّ الطبيب النوبتجي وهم يُدخِلون كرستين إلى غرفتها وقال لي «ستكون بخير. لكني يجب أن أكون صريحاً معك. لقد عانت زوجتك الكثير مما كان يمكن أن يؤدي إلى وفاتها».

أتذكر نفسي وأنا أسير ذهاباً وإياباً في طرقة المستشفى أصلي إلى الله. كانت ليلة مؤلمة، خاصة لشخص مؤمن سلم كل ظروفه بين يدي الله، وأعلن من على المنبر عن المصادر الغنية للنعمة والإيمان.

طلبت والدي القسيس الذي كان يجب أن أخذ مشورته من قبل، لكني لم أفعل ذلك بسبب ارتباكي. قلت له «نحن في مشكلة حقيقية». جاء

صوته هادئاً ومشجعاً «هل تتذكر ذلك الوقت وأنت طفل صغير؟ كنت أعمل قسيساً في مدينة ميدلفيل بولاية ميتشيجان. في ذلك الوقت عملت لك سيارة لتركبها وتلعب بها. وأذكر يوماً كنت تلعب بالسيارة وتقودها ذهاباً وإياباً أمام مكتبي حتى فقدت قدرتي على التركيز. كنت تنادي على والدتك: ماه.. ماه (وهذه كلمة تعني بالعبرية «مهما»). في ذلك اليوم ذكرتني هذه الكلمة بما جاء في إنجيل يوحنا ١٤: ١٣، ١٤ فوصلت إلى حل للمشكلة التي كنت أصارع معها. فبما أنك أعطيتني الحل منذ ثلاث وعشرين سنة سأقدمه لك الآن «مَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ». ثم قال «تذكر أني سأقضي الليلة في الصلاة».

بعد لحظات تلقيت مكالمة من أحد شمامسة الكنيسة في لانكستر. قال «يجتمع هنا مائتا شخص للصلاة في الكنيسة وسنقضي الليلة كلها في الصلاة من أجلك ومن أجل كرستين ومن أجل الطفل.

كيف عرفوا الأخبار؟ لا أعلم.

كانت ولادة چوني بداية مغامرة طويلة مليئة بالغنى والنضج.

الفصل الرابع

حدث ما توقعه طبيب المستشفى، فقد تركت هذه المحنة زوجتي منهكة القوى، فهي لم ترَ الطفل، وربما بالكاد تكون قد سمعت صوت بكائه والذي يشبه الأنين في غرفة الولادة.

كانت ذقنه في غير مكانها الطبيعي، أما رجله فكانت موضوعة في الجبس.. كل هذه الأشياء كانت ستكون فوق طاقة احتمالها في حالتها الصحية المنهكة لو أنها رأتها في ذلك اليوم. سألتُها في اليوم التالي عندما ذهبت لزيارتها «هل ذكروا لك أي شيء عن الطفل؟» قالت مشتكية «لم يحضروا الطفل لي ولا مرة واحدة». قلت لها «كنتِ متعَبة جداً». فسألتني «هل هذا ما جعلهم لا يحضرونه؟». قلت لها «إنه يعاني مشكلة في التنفس، لكنهم يهتمون به، وأعتقد أنه يتجاوب مع العلاج».

نصحوني ألا أقلق زوجتي، لكن الإنسان لا يقدر أن يظل بارعاً في المراوغة، فمع مرور الوقت واستمرار تجنب الأطباء والممرضات الإجابة على أسئلة كرستين الخاصة بالطفل، بدأتْ تشعر أن في الأمر خطأ ما. وبدأت تتعلق بأي قشة من الأمل، لكن ردود أفعالهم لم تعطها إلا القليل جداً من التشجيع.

تُعتبر معظم الممرضات من أكثر الفئات لطفاً في العائلة البشرية، فقدَّمن لزوجتي اهتماماً مستمراً ومبالغاً فيه حتى تشعر بالراحة على

قدر الإمكان، وبدا لها أنهن في بعض الأحيان يردنَ أن يتخلصنَ مما يفرضه عليهن التزامهن المهني ويتواصلن معها على المستوى الشخصي، لكنهن كنَّ يتجنَّبن الحديث معها عندما كانت تطلب منهن معلومات عن الطفل.

كان هذا حال كل الممرضات ماعدا سودي واترز التي كانت تكبر زوجتي بنحو عشر سنوات. كانت تتمتع بالحكمة والحنان، وكانت مهتمة اهتماماً خاصاً بكرستين وبطفلنا. بعد ذلك عرفنا أنه لولا الساعات الطويلة التي أمضتها مع الطفل بلا كلل ما كان قد خرج من المستشفى حياً.

عندما كانت كرستين تسأل أي ممرضة أخرى عن الطفل، كانت تبدأ بسرعة في شغل نفسها في وضع الوسادة في وضعها الصحيح، أو تعرض على كرستين أن تدلك لها ظهرها، أو تشغل نفسها بأي شيء تافه كأن تملأ كوب الماء الفارغ. لكن عندما كانت كرستين تسأل سودي، كانت تقف بجوار السرير مبتسمة بدون كلمة، لكن عينيها كانتا تعبِّران عن كل ما بداخلها بحب واهتمام.

قالت لها كرستين متوسلة «أرجوك، أخبريني بالحقيقة عن ابني. أنا لست إنسانة ضعيفة. سأكون أفضل بكثير لو قلتِ لي الحقيقة، فإن الجميع يتجنَّبن الحديث معي في هذا الموضوع».

أخذت سودي نفساً عميقاً وقالت «ابنك لديه مشكلة في التنفس». ردت كرستين «زوجي أخبرني بذلك». قالت سودي «إنها مشكلة خطيرة».

قالت كرستين «ما مدى الخطورة؟» أجابت سودي «أحياناً يتحول لونه إلي اللون الأزرق. وقتها يحتاج إلى تنفس صناعي». قالت كرستين وقد شعرت أن سودي لم تخبرها بكل الحقيقة «وماذا أيضاً؟». أمسكت سودي بيد كرستين وربتت عليها بلطف وقالت «طبيبك يجب أن يخبرك». قالت كرستين «أنت تعرفين الحالة كما يعرفها الطبيب».
هزت سودي رأسها وقالت «أستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً. طفلك يتمتع بجسد جميل. كل الممرضات اللاتي رأينه تحدثن عنه. إنه جميل حقاً». ثم استدارت لتخرج من الغرفة. قالت كرستين «أرجوك أخبريني». نظرت إليها سودي وقالت «إنه يعاني من تشنجات أحياناً».
«تشنجات!». كانت هذه الكلمة مثل خنجر ضرب قلب هذه الأم الصغيرة.
أغمضت عينيها وصرخت في صمت للرب. كانت كرستين قد شهدت مرات كثيرة للآخرين عن صدق وعود الله. الآن يمتحن الله ثقتها في صدق وعوده. نعم كانت تثق في وعود الله. بعد قليل شعرت بسلام وامتلأت قوة وشجاعة أكثر من إمكاناتها الطبيعية.
خلال هذه الأيام التي قضتها في المستشفى قرأت سفر المزامير بأكمله. أثناء قراءتها وضعت نفسها عدة مرات في مكان داود وهو يصرخ إلى الله، وتتذكر بصفة خاصة المزمور التسعين لموسى، وخاصة هذه الكلمات «أَفْنَيْنَا سِنِينَا كَقِصَّةٍ. أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ

القُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً، وَأَفخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لأَنَّهَا تُقرَضُ سَرِيعاً فَنَطِيرُ.
إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هَكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلبَ حِكْمَةٍ».

أدركت كرستين أن طفلها موضوع في مكان منعزل عن باقي الأطفال الأصحاء، وأنه يعاني من مشاكل في التنفس وأن جسده الجميل لكنه المنهك يعاني أحياناً من نوبات تشنجية.

حاولت أن تراه متخيلة أنها تستطيع أن تهدئه. يا ترى ما هو شكله؟ ما هو مستقبله؟ لم يكن لديها إلا أن تتساءل أثناء استيقاظها. كان نومها قليلاً ومتقطعاً.

كانت سودي تقول لكرستين في اللحظات المميزة التي كانت تدخل إليها غرفتها لتخبرها عن حالته «إنه مصارع قوي». سألتها كرستين «هل سيعيش؟» أجابت «لا أستطيع أن أجزم».

سألت كرستين «لكن هل هناك احتمال لذلك؟» أجابت سودي «طبعاً يا مسز هجاي! لهذا نحن مستمرون في المحاولة ولم نفشل».

ما أحلى الثبات والتصميم الذي تراه في عيني سودي، والحنان والأمل في صوتها.

سألت كرستين «ما شكله؟ من يشبه؟»

قالت سودي محاولة أن تمنح كرستين لحظة من السعادة «يبدو لي وكأنه واعظ صغير. إنه أجمل ولد كان عندنا في الشهور الستة الماضية. ولهذا نضعه في مكان منفصل لأننا إذا وضعناه مع باقي الأطفال الصبيان فسيغيرون منه، أما البنات فسيتنافسن عليه».

فرحت كرستين بهذه الكلمات وحفظتها داخلها. لقد عرفت من هذه الممرضة عن چوني أكثر مما عرفته من أي شخص آخر. يا له من أمر مهم أن تصل بالحب والتشجيع لشخص يقبع في الظلام. كانت كلمات وابتسامة سودي بمثابة ضوء شمعة يضيء فينقشع الظلام.

استمرت هذه الأيام الحالكة في مخيلتي، كان يجب أن أعود إلى الكنيسة، وإلى مسئولياتي. أعددتُ عظات ودروسًا للكتاب المقدس، رددت على التليفون، أجبت على المراسلات، كل هذا وأنا مثل إنسان آلي.

بينما أنا أسترجع الماضي لا أتذكر أبداً أية لحظة استسلمتُ فيها لليأس. ولا أعزو هذا لمستواي الروحي المرتفع، لكني أستطيع أن أؤكد بكل قلبي أن وعود الله صادقة «تكفيك نعمتي». لقد أعلن الله وعده وهو صادق في تحقيقه لأي ابن من أولاده وهو يتخبط في وسط رياح التجارب والظروف.

كنت أريد أن أكون واعظاً مؤثراً بقدر الإمكان، لذلك حفزني د ج. س. ماسي الواعظ الشهير في ذاك الحين والذي كان في الثمانين من عمره أن أعلن عن كفاية الله فيتعزى الناس. كان يقول لي «أعطِ الشعب لمحة من السماء في يوم الأحد لأنهم كانوا في الجحيم طوال الأسبوع» فملأ الله قلبي بالفرح وهو يستخدمني في تشجيع المتألمين والذين يمرون بظروف خاصة. بالطبع لم أدرك كيف كان الله يجهزني من خلال حياة چوني بإضافة بُعد آخر لخبرتي الشخصية وخدمتي. لقد

اختبرت بحق ما نترنم به ونحن نرتل «نعمة الله الرائعة» وهو يقويني ويزودني بما أحتاج إليه.

أثناء شهور حمل زوجتي تحدثنا معاً عن اسم للطفل، واتفقنا إذا كان ولداً سنسميه چون إدموند هجاي الصغير. وفعلاً أعطانا الله ولداً، لكنه كان أقرب للموت منه إلى الحياة.

مرَّ يوم الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء.

أثناء زيارتي لكرستين قلت لها «أعتقد أننا يجب أن نختار اسماً للطفل». ثم خفت صوتي وأنا أفكر أنه إذا عاش ابننا مع أن هذا احتمال ضعيف، لماذا نسميه چون؟ ربما نحتفظ بهذا الاسم لطفل آخر طبيعي. فالأسماء لها معنى كبير بالنسبة لي. أتذكر النوادر التي كانوا يحكونها عن اسمي. لقد تناقش والداي طويلاً وهما يختاران اسمي، فإن للأسماء مدلولاً خاصاً في عائلتنا أكثر من عائلات أمريكية كثيرة.

كان والدي يلقي سلسلة دروس كتابية بعنوان «نعمة الله». كان والدي ووالدتي مقتنعين بأن الطفل الذي تحمله أمي في أحشائها بنت لذلك قررا أن يسمياها «نعمة». لكن عندما وُلد الطفل ووجدا أنه ولد قررا أن يسمياه «چون» الذي له نفس معنى كلمة «نعمة».

عندما كانت أمي حاملاً في الطفل الثاني كان والدي يدرِّس سلسلة دروس كتابية أخرى بعنوان «عطية الله». كانا متأكدين أن هذا الطفل سيكون بنتاً، لذلك اختارا لها اسم «دوروثي». مرة أخرى كان الطفل ولداً لذلك سمياه «تيودور» وهو نفس معنى «عطية الله».

الآن أنا أواجه مهمة تسمية ابني لكن في ظروف غير مبهجة. وسألتني كرستين: «هل ننتظر حتى نرى إذا كان الطفل سيعيش؟». قلت لها «لكننا اتفقنا أننا إذا رُزقنا بولد فسنسميه باسمي».

وهنا نظرت إلى ساعتي، وأدركت أني يجب أن أعود إلى الكنيسة لأن لديَّ موعد مقابلة. غادرت المستشفى ولم نتفق اتفاقاً نهائياً. لكن في أمسية ذلك اليوم الخميس تقابل أعضاء فريق الترنيم للتدريب في الكنيسة، وكانوا يريدون أن يسمعوا شيئاً عن الطفل. فبعد أن انتهيت من المقابلة دخلت إلى قاعة الكنيسة حيث كانوا مجتمعين. وسألتني إحدى السيدات «هل اخترتم اسم للطفل؟» أجبت بدون تردد وأنا أستغرب نفسي «نعم، چون إدموند هجاي الصغير». فصفق الجميع.

في اليوم التالي أخبرت كرستين بما فعلتُ فابتسمت قائلة «أنا سعيدة جداً». ثم قالت بجدية «لكني مرتبكة أيضاً». قلت «ما السبب؟» قالت «أعتقد أنه في مثل هذه الظروف يشعر المؤمن الحساس أنه يجب أن يفحص نفسه ليتأكد إن كان في حياته خطأ لا يرضى عنه الرب».

عندئذٍ ذكرتها بقصة المولود الأعمى (في يوحنا ٩) وسؤال التلاميذ «مَنْ أخْطَأَ: هَذَا أمْ أبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أعْمَى؟». وسألتها «هل تذكرين ما قاله الرب يسوع؟ قال: لِتَظْهَرَ أعْمَالُ اللّهِ فِيهِ». ثم صمتُّ لحظة وقلت لها «وأنا أيضاً كنت أتساءل نفس التساؤل».

نحن خطاة خلصتنا نعمة الله. هذه حقيقة أدركتُها في ذلك الوقت (كما أدركها الآن). وبحسب علمي لم نحتفظ بشيء لنا لم نقدمه للرب.

في تلك اللحظات من المشاركة والانفتاح قدمنا ابننا چوني لله. صليت قائلاً «أنا أضعه أمامك على المذبح. إذا كانت إرادتك أن يموت، خذه. لكن أرجوك أن تشفيه إذا كان هذا يتفق مع إرادتك الصالحة. إذا سمحت مشيئتك أن يعيش فنحن نثق أنك سترشدنا لقصدك في حياته». بكت كرستين للحظات. كنت أعرف أنها شخصية قوية وكان هذا أحد أسباب زواجي منها، لكني الآن رأيت بُعداً آخر في شخصيتها وهو العمق والتسليم.

قالت كرستين «أتمنى أن أراه. لقد رأيته لحظة واحدة في غرفة الولادة. لا أستطيع أن أذكره». حاولت أن أشرح لها الموقف، فقلتُ «لا يمكنهم أن يحضروه إلى هنا لأنه يحتاج إلى رعاية مستمرة». قالت «أنا أدرك هذا».

كنت أفهم لماذا تمتنع الممرضات عن السماح لكرستين برؤية الطفل. لكن لماذا يمنعونني أنا عن رؤيته؟ ذهبت إلى مشرفة الدور وقلت «أريد أن أرى طفلنا». قالت «لا يمكن». ثم أضافت بلطف وكأنها أب يكلم ابنه «تحتاج أن تقضي كل الوقت مع زوجتك. بصراحة يا مستر هجاي لو لم تجد زوجتك مساندة جيدة فإنها ستنكسر». قلت «زوجتي مسنودة بقوة وسلام لا يستطيع أحد أن يعطيه إلا يسوع». فهزّت كتفيها واستدارت وانشغلت بشيء آخر على مكتبها متجاهلة ما قلت. سألت «متى أستطيع أن أرى الطفل؟» نظرت إليّ وقالت «قلتُ لك». قاطعتها قائلاً «أنا قسيس، إذا لم تسمحي لي أن أراه كأب فيجب أن

تسمحي لي أن أراه كراع له». ارتبكت ولم تعرف ماذا تفعل. قلت «أريد أن أصلي للطفل». أخيراً كسبتُ الجدال. استدعت ممرضة تحت التدريب وطلبت منها أن تعطيني معطفا معقماً وقناعاً وأن تقودني إلى حيث يرقد جوني.

كانت سودي واترز هناك، وكنا كلانا فقط مع الطفل. قالت بهدوء «إنه طفل غال». لكني لم أرَ طفلاً غالياً، بل رأيت طفلاً عاجزاً وضعيفاً، يصارع مع كل نَفَس يتنفسه، علامات الأذى واضحة على جسده الصغير. في هذه اللحظة لا أعرف إذا كنت قد تمنيت أن يموت أو يظل حياً. تذكرت هذا الطبيب لحظة، هذا الرجل الذي حرم ابني من حقه الشرعي في الحياة. بدأ الغضب ينمو داخلي مثل النار. ثم تذكرت مشورة والدي، هذا العملاق في الإيمان بين كل العظماء الذين عرفتهم، لقد دعاني أن أكتشف إرادة الله من هذه التجربة بكل هدوء لكن بقوة وإقناع. أحنيت رأسي في صلاة لا أستطيع أن أتذكر كلماتها، لكني أدركت أن لله كل السلطان في الوادي تماماً كما على قمة الجبل، وأني أستطيع أن أستودع ابني بين يديه بثقة تامة في رعايته.

قالت سودي في وقت لاحق لزوجتي «كان رائعاً يا مسز هجاي. لقد شعرتُ أني أقف على أرض مقدسة». قالت لها كرستين «بالتأكيد يا سودي أنت كنت تقفين على أرض مقدسة».

الفصل الخامس

برغم أن كرستين بقيت في المستشفى لمدة أسبوع إلا أن چوني استمر في المستشفى لمدة شهر. كل هذه المدة لم ترَ كرستين ابنها، وبالطبع لم تحمله، فأصبح وقتها عبارة سلسلة من العذاب والقلق والإحباط والوحدة. كان ابنها فلذة كبدها لحماً من لحمها، لكنه كان بعيداً عنها.

امتلأ ذهني بأفكار مقلقة ومحبطة وأنا أسترجع ما حدث في غرفة الولادة. إلى يومنا هذا أنا متأكد أن هذا الطبيب الذي وضعنا ثقتنا فيه كان مذنباً لأنه اقترف خطأ مهنياً.

لكن هل تستطيع أن تدرك الصراع الداخلي الذي كنت أشعر به وأنا أفكر في رفع دعوى عليه بسبب خطئه المهني؟ لقد نصحني كثيرون أن أرفع دعوى ضده، إلا أني لم أستطع أن أفعل ذلك. أنا لا أنكر أن هذا الرجل كان فناناً متميزاً في تخصصه. كانت هذه مجرد غلطة استثنائية. ورَفع دعوى ضده لن يفيد چوني، كما أني متأكد أنه عندما يدرك المأساة التي كان هو سببها سيفيق من سكره.

عندما أفكر في الصليب وكم من الناس سخروا من هذا الإله الذي خلقهم، وأحبهم محبة أبدية ودبر عمل الفداء من أجلهم، أنسى كل التفكير في رفع دعوى بسبب خطأ مهني.

أعترف أني اغتظت جداً عندما حاول أحد الأطباء أن يدافع عن الطبيب بقوله «ابنك لم يُصَب أثناء الولادة. إنه يعاني من عيب

خلقي». بالتأكيد كان هذا الطبيب مخطئاً فكلامه لم يؤسس على الأدلة العلمية أو الطبية أو المنطقية.

وكان يقلقني أمر آخر: كانوا يعاملون زوجتي وكأنها طفلة صغيرة، تماماً كما يعاملون ابننا. ويبدو لي أن أطباء كثيرين يمتنعون عن شرح حالة مرضاهم حتى لو كان هؤلاء المرضى يفكرون بمنطق ويتمتعون بذكاء حاد ومتزنين نفسياً. وباستثناء سودي، ورفض كل العاملين بالمستشفي أن يقدموا لنا أي معلومات (أنا أعرف بعض الأطباء الذين يهتمون بشرح التشخيص والعلاج بالتفصيل لمرضاهم. أتمنى أن مثل هذا النوع من الأطباء يزداد).

أحياناً كان لدينا أمل أن ابننا سيعيش لعدة شهور أو على الأكثر لعدة سنين، لكنه سيقضي حياته كلها في غيبوبة كاملة، فربما يكون أعمى وأصم ولا يستطيع أن يتعرف علينا. في الشهور الأولى العصيبة مرت بنا الأيام والساعات والأسابيع في كرب بسبب عدم علمنا بحالته بالضبط، لكننا اختبرنا اختبارات كثيرة وجديدة في الإيمان بالرب والثقة فيه. وأصبحت اختبارات أيوب ذات معنى خاص بالنسبة لنا. استطعنا أن نفهم صرخته «لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ» (أيوب ٢٣: ١٠).

في عظتي الثانية في «التدريب على الوعظ» في كلية اللاهوت قدمت موضوعاً عن الألم. ولم أكن أعلم وقتها أن موضوع الرسالة نبوة على حياتي. وأثناء خدمتي الرعوية والكرازية كان الله يستخدم الرسائل التي

تتحدث عن الألم بطريقة غير عادية. كان موضوع البحث الخاص بي «الألم هو الشيء الوحيد الثابت في العالم». قال بولس لأهل فيلبي «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ المَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ» (فيلبي ١: ٢٩) كما قال لتيموثاوس ابنه في الإيمان «جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي المَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ.. إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً مَعَهُ» (٢تيموثاوس ٣: ١٢ و٢: ١٢).

وبالتأكيد تحتوي حياة المؤمن على الكثير من الفرح. يقول المرنم «عِنْدَ المَسَاءِ يَبِيتُ البُكَاءُ، وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ» (مزمور ٣٠: ٥).

ويظهر الألم في عدة صور، فالمصابون بالوساوس يعانون من الألم الذي يتخيلون وجوده فيهم، وقد يصاحب هذا ردود أفعال ذهنية تُشعر صاحبها بالألم. لكن يوجد منهم آخرين يعانون من ألم حقيقي.

أشعر بالامتياز أن أعمل مع مجموعة من رجال الأعمال المؤمنين، مثل أعضاء مجلس إدارة مؤسسة هجاي. يستطيع كل واحد منهم أن يحكي اختباراته التي كلفته الكثير ليعيش حياة مسيحية أمينة.

خذ مثلاً لذلك الشاب چيري نيمز مؤسس ورئيس **(Infinioptic, Inc.)** الذي اكتشف استخدامات جديدة للتصوير متعدد الأبعاد، وهو الاختراع الذي طبقه ليس فقط على الصور الثابتة لكن أيضاً على الصور المتحركة بل وصور الأشعة السينية. وعرضت عليه إحدى المؤسسات الأمريكية التي تُصدِر أشهر مجلة مختصة بالجنس ملايين

الدولارات مقابل إعطائهم جزءاً من حق استخدام هذا الاختراع في هذا المجال، لكن جيري أصرَّ ألا يُستخدَم المُنتَج الذي يبيعه بأي طريقة لا تمجد الله. ومع أنه كان يمكنه أن يحصل على مبالغ كبيرة لتطوير مشروعه بسرعة، إلا أنه اختار أن يسلك الطريق البطيء المتعب في نمو عمله. بالنسبة لرجل أعمال صغير السن شغوف أن يتقدم في عمله بأسرع ما يمكن هذا يُعتبَر ألماً. بالتأكيد سيستخدم الله مثل هؤلاء الأشخاص ليتمجد، وبالتأكيد سيبارك الله ابنه الذي قبل أن يحتمل مثل هذا الألم.

أتردد في وصف اختباراتنا مع چوني أنها «ألم». لكني أفضل أن أحكي لكم القصة لأوضّح لماذا أصبحت هذه الأربع والعشرون سنة وقت فرح لنا. صحيح أننا بحسب التقييم البشري كنا نجتاز أوقاتاً صعبة سمح الله لنا أن نجتازها، ونحن قبلنا ذلك برضا.

دعونا نترك المعاناة والألم جانباً، فقد شعرت كرستين بفرح عظيم في صباح ذلك اليوم الذي دقَّ فيه جرس التليفون ليخبروها أنها تستطيع أن تذهب إلى المستشفى لتأخذ الطفل. قالت الممرضة «سيكون الأمر معقداً بالنسبة لك. سنحتاج أن نصرف بعض الوقت لنشرح لك كيف تعتنين به».

أنا متأكد أن كرستين سمعت هذه الكلمات بدون أي رد فعل، وكأنها مخدَّرة لأنها كانت تترقب هذا اليوم بشغف. عندما وصلنا إلى

المستشفى، وقبل أن نصل إلى حيث كان يرقد ابننا بعدة خطوات، بدأت كرستين ترتجف.

قالت الممرضة بهدوء وهي تقودنا إلى غرفة مستقلة عن الغرفة الزجاجية الخاصة بالأطفال حديثي الولادة «تعالوا هنا». كانت تقف هناك سودي واترز ومعها چوني على رأسه غطاء يشبه الخوذة. كانت سودي تمسك رأسه بيدها وهي تطعمه بالإجبار عن طريق جهاز معين يدفع اللبن في حلقه، تماماً كما تطعم عصفوراً صغيراً عن طريق سرنجة. كان هذا الجهاز يشبه زجاجة إطعام الأطفال وبه مكبس من جهة وحلمة من الجهة الأخرى.

قالت سودي «أول شيء أعلمك إياه هو الأسلوب الصحيح لإطعام چوني. نحن نستخدم هذا الجهاز لنعوض عن الشلل الذي أصاب حلق چوني، فهو لا يستطيع أن يستخدم شفتيه ولسانه ليتعامل مع الحلمة. هذا الجهاز يدفع اللبن من فمه إلى حلقه وبالتالي نساعده أن يبلعه».

واقتربت كرستين لتراقب سودي وسألت «هل سأستطيع أن أتقن هذا؟». قالت سودي مشجعة «بالتأكيد ستستطيعين. فمع الوقت ستكتسبين مهارة في إطعامه وعندئذ لن تعطيه كمية كبيرة من اللبن فيختنق أو قليلاً منه فيدخل معه الهواء».

كانت نبرات صوت سودي مشجعة، حتى أن كرستين شعرت بالراحة. واقتربت كرستين أكثر لترى چوني بطريقة أوضح، وقالت لي ضاحكة «إنه جميل يا چون». قلت لها «إنه يشبهك». وبينما كنت أقف بجوار

ابني لم يراودني الإحساس باليأس برغم علمي مدى شدة إصابته، وكنت أدرك أن هذا ما يدور أيضاً بفكر زوجتي.. كنت أعرف أنه شبه المستحيل أن يعيش حياة طبيعية، لكن ما شعرنا به أنا وكرستين هو قبولنا لچوني. كنا نريده، وهو هدية الله لنا.

أعطتنا الإدارة الطبية في المستشفى تقريراً بشعاً عن حالة چوني وتوقع مستقبله الكئيب، مع نصيحة أن نودعه في مؤسسة. وقال التقرير «ما معنى أن تربطا حياتيكما وأنتما مازلتما في منتصف العشرينيات من عمركما برعاية مثل هذا الطفل غير المحظوظ؟ فهو لن يدرك الفرق إذا كنتما أنتما تقومان برعايته أو أن أشخاصاً في المؤسسة مدربين على رعاية مثل هذه الحالات هم الذين يقومون برعايته».

لم تحتَجْ كرستين لأكثر من لحظة للتفكير في هذا الاقتراح. چوني ابننا، لحم من لحمنا. نحن نريده حتى لو استطاع أن ينظر إلينا مرة واحدة في اليوم. نريده طوال عمره الذي سيسمح به الله له؛ سواء كان أسابيع أو شهوراً أو عدة سنين. نريده أن يبهج قلبينا بابتسامة.

قدّم فريق العمل بالمستشفى تعليمات مفصّلة لكرستين، محذرين إياها من بعض السلبيات. وحفظت كرستين كل كلمة لأنها كانت مهتمة أن تقدم الأفضل لابننا. برغم ذلك توقعوا أن تعود إليهم بعد أيام قليلة بسبب تعرضه لأزمة، أو ربما يكون قد مات قبل الوصول به إلى المستشفى. وكانوا يتوقعون أنه حتى إذا استطاعت كرستين أن تقوم

بكل الواجبات بحرفية، فبعد وقت قليل سنشعر بالإجهاد ونستسلم لفكرة إيداعه مؤسسة متخصصة. حتى سودي كانت أقل تفاؤلاً وحذرت كرستين بأن طريقة إطعام چوني ستصبح أكثر تعقيداً عندما يبدأ في تناول أطعمة صلبة.

هؤلاء الناس لم يكونوا يعرفون أن زوجتي تتمتع بشخصية حساسة عاطفية جداً، وأنها ملتزمة روحياً، كما أنها تتمتع بمشاعر دافئة تجاه الآخرين تجعلها لا تحكم على أحد ولا تثقل على أحد. أحياناً يقدم لها الناس هدية لكنها ترفض أن تأخذها، فألح عليها أن تقبلها مذكراً إياها أن هناك بركة في الأخذ تماماً كما أن هناك بركة في العطاء.

أما عندما تعطي نفسها للآخرين فهذه قصة أخرى. كان لديها ليس فقط استعداد بل رغبة ملحة في أن تسكب نفسها من أجل ما يحتاجه ابننا.

بعد ذلك بدأنا نبحث عن دعم طبي في أماكن متعددة. على سبيل المثال استفسرنا من جامعة بنسلفانيا وأخبرونا أن سجلاتهم لم تسجل أي حالة لطفل تعرض لأذى بمثل هذا القدر أثناء الولادة واستمر على قيد الحياة لأكثر من خمس سنوات. كانت مثل هذه الأخبار تكسر قلب زوجتي، لكن في نفس الوقت تزيد تصميمها أن تفعل كل ما في وسعها لچوني.

قالت سودي لزوجتي «الطبيب يسأل إذا كان چوني يسمع ويرى؟». وكانت هذه الكلمات حتى من سودي اللطيفة جارحة لزوجتي.

سألت كرستين وكلها أمل «هل هذا طبيعي لطفل في مثل عمره؟». فلم تجب سودي لكنها انشغلت بجمع حاجاته لنستعد للرحيل.

لم أسمع ما قالته سودي ولم تخبرني كرستين بهذا الحديث في طريق عودتنا إلى لانكستر، لأنها كانت مقتنعة بأنه لا معنى لتكرار مثل هذا الحديث، وخاصة أنها لم تصدقه.

كانت والدة كرستين قد رتبت أن تكون متواجدة عند وصولنا بالطفل إلى البيت، فاستقبلتنا عند الباب قائلة «هل هناك شيء يمكنني أن أفعله؟» قالت لها كرستين «لا شيء، إلا إذا كنتِ تريدين نيل شرف وضع أول حفاضة لحفيدك». قالت السيدة باركر وهي تأخذ الطفل برفق من بين يدي أمه «بالتأكيد هو شرفٌ لي. انظري لقد أعددت كل شيء هنا على المنضدة».

وجدت كرستين في والدتها دعماً قوياً لها وحباً متدفقاً للطفل. قالت الجدة «يا له من وجه صغير جميل».

برغم كل الحب الذي أغدقناه على الطفل لكننا لم نرَ أي دليل على أنه متنبه. كان يرقد بلا حركة أينما وضعته كرستين، مغمض العينين معظم الوقت. إذا بكى فهو يصدر صوتاً غريباً. كانت كرستين تقضي الساعات تحمله وتراقبه.

في أول مرة ذهبنا به إلى المستشفى للفحص الدوري قال لنا الطبيب «يجب أن أكون صريحاً معكما. ابنكما سيكون غير طبيعي». فسألته كرستين «إلى أي مدى سيكون غير طبيعي؟» قال الطبيب مهملاً إجابة سؤالها «يجب أن تهتمي بنفسك وبزوجك. لا تضغطي على نفسك بهذه المسئولية».

رتبنا لاستشارة لدى أخصائي نفسي، فقال لزوجتي «ابنكم خامل وسيظل كذلك».

ظلت كرستين محتفظة بشجاعتها فهي سيدة صلبة الإرادة، كما أنها مؤمنة تضع في قمة أولوياتها أن تعيش وفق إرادة الله. لقد وضع الله داخلها وعياً خاصاً أن چوني قد جاء إلى العالم لتتميم عمل ما.

بذلت الجدة باركر كل جهدها لتدعيم كرستين لتحتفظ بشجاعتها. كانت تقضي معنا أوقاتاً قصيرة أثناء حياة والدها المسن. لكن في هذه الأوقات القصيرة كانت تملأ بيتنا بالفرح والتفاؤل. كانت تتحدث إلى چوني، وتغني له وتتعامل معه وكأنه طفل طبيعي تماماً.

مع مرور الشهور بدأ چوني يعاني من مشكلة حادة في التنفس. كان يمكنك أن تسمع صوت تنفسه في كل أنحاء البيت. كنا نتساءل هل يمكن أن تسوء حالته حتى يختنق؟

قال الطبيب بنبرة غير واثقة «ربما يفيده استئصال اللحمية».

تم عمل العملية وكانت النتائج ممتازة مما جعلنا نشعر بالتفاؤل. لكن بكل أمانة، بينما كانت الأسابيع والشهور تمضي بدون أي تحسن ملحوظ في النمو العقلي لچوني بدأنا نفكر في احتمال إيداعه في مؤسسة لرعاية مثل هؤلاء الأطفال.

وذات يوم سألت زوجتي «في رأيك ماذا يجب أن نفعل؟» أجابت «إذا أودعناه في مؤسسة فبالتأكيد سيموت خلال وقت قصير». كانت كرستين هي الأكثر ثقة وشجاعة. في ذلك الوقت لم يكن أي منا يتوقع

أهمية ابننا لخدمتنا للعالم الثالث. لكن ما كانت كرستين متأكدة منه أن الله لم يخطئ في إعطائنا هذا الطفل، ولم يدرك كلانا مقدار الالتزام الذي ستلتزم به كرستين عندما أعلنت «أنا أريد أن أحتفظ بالطفل في البيت». قلت لها «هذا معناه رعاية مستمرة». قالت «أنا مستعدة أن أعطيه رعاية مستمرة». قلت «نهاراً وليلاً». قالت «نعم، نهاراً وليلاً». وهكذا بدأ العطاء المستمر لسنين.

كنا على اتصال بالأطباء. أخيراً شعرت بدعوة الله لي لرعاية كنيسة في مدينة شاتانوجا، حيث استطعنا أن نتابع حالة جوني مع أخصائي ممتاز. وكانت كرستين تخبر الطبيب عن أي ظاهرة تشير إلى أن ابننا بدأ ينتبه، فكان الطبيب اللطيف يهز رأسه دون تعليق.

في أحد الأيام بعد أن قامت كرستين بإطعام جوني فتح عينيه فهمست قائلة «انظر إلى إصبعي» ثم بدأت تحرك إصبعها من جهة إلى أخرى فوق رأسه. كانت الجدَّة باركر في زيارتنا في ذلك الوقت، ونادت عليها كرستين وقالت «لاحظي عينيه وأنا أحرك أصبعي». فقالت أمها «إنه يحس أيضاً. لقد وخزته بالأمس بدبوس وأنا أغيِّر له ملابسه ففتح عينيه كرد فعل لذلك».

حكت لي كرستين هذه الأخبار المثيرة وقالت «إنه يرى ويسمع!». قلت لها «هل أنت متأكدة؟». قالت «كنت أفتح اللفافة الورقية وبداخلها بعض الملابس التي نُظفت تنظيفاً جافاً (في ذلك الوقت كانت اللفافات ورقية بدلاً من اللفافات البلاستيكية التي تستخدم حالياً) أثناء نوم

چوني. عندما سمع صوت خشخشة الورق استيقظ من نومه». قلت «هائل». قالت «ربما يُخيب ظن كل الأطباء. ربما يتحسن ويتحسن». كانت تراقب الطفل عن قرب أكثر من أي وقت مضى، وازداد تأكدها بانتباهه المتزايد. سألتني ذات مساء «هل لاحظت الاهتمام الذي يبديه عندما يسمع صوتك؟». فبدأت أتكلم وأتحرك في الغرفة ذهاباً وإياباً لأختبره. قالت كرستين بانفعال «إنه يتابعك بعينيه». سألتها «هل أنت متأكدة؟ هل ينتبه أيضاً لصوتي؟» قالت «لقد لاحظت هذا لأول مرة بالأمس. كان چوني قلقاً، لكن عندما رجعت إلى البيت حتى بدون دخولك إلى غرفته بمجرد أن سمع صوتك هدأ». هذه الكلمات أثلجت صدري لدرجة أنها لا يمكن أن تُمحى من ذاكرتي.

برغم الاهتمام الفائق الذي قدمته كرستين في رعاية چوني وحساسيتها لأقل احتياجاته إلا أنها قررت ألا تدلله لدرجة الإفساد.كان چوني يحتاج لرعاية مستمرة، وكانت كرستين على مقربة منه بحيث تستطيع أن تسمعه، وفي معظم الأحيان أن تراه أيضاً، لكنها لم تدع الاهتمام والمسئولية تجاهه أن تتحول إلى تدليل مفسد.

كانت تحاول أن تغني له، بالطبع كان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لكرستين أن تغني في أي مكان في البيت. في أول الأمر لم يتجاوب چوني مع غنائها لدرجة أنه كان يضطرب عندما يسمعها تغني حتى في غرفة أخرى. وكانت كرستين قد تخلت عن احتراف الغناء نهائياً. لقد مرَّ

أكثر من عشر سنوات قبل أن تعاود التدريب مع جيرترود ماكفارلاند مدرّسة الأصوات الممتازة.

إنسانياً كان لها الحق أن تغضب أحياناً وتتساءل: لماذا سمح الله بأن تُقيد بهذه الطريقة وتُحرم من فرص خدمته علناً. حتى حضور الكنيسة لم تستطع أن تفعله بانتظام. لقد وجدت في الكتاب المقدس ملجأ لها، فكانت تفتح قلبها بإخلاص لمشورة وإرشاد كلمة الله لها.

في هذه الأثناء كان انتقالنا إلى شاتانوجا خبرة غير سعيدة بالنسبة لي. لقد أعطانا الله أصدقاء رائعين ما زلنا على اتصال بهم، لكن فترة الرعاية لي في شاتانوجا كانت فترة من الاختبارات الصعبة. كنت أقول في غضبي «بعض هؤلاء الأشخاص متصلبو الرأي». فسألتني كرستين: «هل تظن أنه كان من الأفضل لنا أن نستمر في لانكستر؟». لم تكن لديَّ إجابة، لكني ظللت أفكر في هذا السؤال.

حاولت أن أهدئ من ضيقي وإحباطي بالانشغال بأنشطة كثيرة فأغرقت نفسي في الأنشطة الكنسية، وبدأتُ برنامجاً إذاعياً في الراديو. عادة كنت أغادر البيت في السادسة إلا ربع صباحاً للبث المباشر. أحياناً كنت أنشغل بأنشطة الكنيسة المختلفة حتى بعد منتصف الليل. وبدا وكأن كل يوم يأتي بطوفان جديد من المشاكل التي قد تُشكل عبئاً على أي أسرة. شعرت أننا كأسرة في أزمة حقيقية.

قالت كرستين متذمرة «هل كان يجب أن تأخذ هذا الميعاد غير الآدمي للإذاعة؟» أجبتها «هذا هو الموعد الوحيد المتاح لدى هذه المحطة.

كما أني لاحظت أن معظم الناس الناجحين يستيقظون مبكرين لأن لهم أهدافاً محددة، وهم حاسمون، لا يحفزهم سوى الانجاز. إلا أنهم لم يجدوا من يحفزهم ليضعوا الله أولاً في حياتهم. هؤلاء هم الذين أريد أن أتحدث إليهم في الصباح الباكر. إنهم الأطباء، والمزارعون، ورجال الأعمال. كما يهمني كثيراً أن يصل إرسال الراديو إلى مسافة أبعد مما يصل إليه أثناء النهار. فقد سمعني والدي الذي يعيش في بنجهامتون بولاية نيويورك، مع أني كنت أذيع من محطة ترددها ٥٠٠٠ وات. وهذا لا يتم إلا إذا كان الإرسال مبكراً.

كان هذا الميعاد المبكر مشكلة حقيقية لكرستين لأن جوني كان يستيقظ مع أول حركة في المنزل مهما تأخر في النوم في الليلة السابقة. لقد أصبح يقظاً وبصفة خاصة لأي حركة مني. في كل يوم في الخامسة صباحاً مع أول خطوة أخطوها على السلم الخشبي بجوار غرفة نومه يستيقظ باكياً بسبب صرير الخشب.

كانت كرستين تستيقظ مع جوني أثناء الليل عدة مرات (في السنوات الأولى من عمر جوني لم تستطع كرستين أن تنام أكثر من ساعتين متصلتين). حاولت بكل الطرق أن أتعامل مع هذه العتبة التي تصدر صريراً مزعجاً حتى لا أزعج ابننا. وذات صباح استيقظت كرستين لكنها لم تستطع النهوض معي لأنها كانت مرهقة، فظلت في مكانها منتظرة أن تسمع ذلك الصرير الذي يزعج جوني ويجعله يبكي. لكنها لم تسمع شيئاً. وبفضول رفعت نفسها مرتكزة على كوعها، ونظرت

خارج الباب فإذا بزوجها منبطحاً على بطنه وهو يحاول أن يجد طريقه عبر السلم دون أن يحدث هذا الصرير المزعج!

إلا أن كل محاولاتنا باءت بالفشل واستمر چوني يستيقظ مبكراً أحياناً في الرابعة صباحاً. وفي حرّ الصيف كنا نترك النوافذ مفتوحة حتى نتمكن من التغلب على حرارة الجو. لكن عندما كبر چوني بدأ يناغي ويصدر أصوات عالية تنم عن سعادته. كانت كرستين تحاول أن تهدئه حتى لا يزعج الجيران. أخيراً وفرنا ثمن جهاز تكييف لغرفة النوم والذي كان يُعتبر رفاهية في ذلك الوقت، لكن بالنسبة لحالة چوني كان احتياجاً.

بدأت كرستين تشعر بالإجهاد الشديد. في بعض الأيام كانت تقوم بواجباتها مثل الإنسان الآلي، فقلت وأنا أرثي لحالها «أعمل راعياً لأصعب كنيسة في الجنوب في الوقت الذي يجب فيه أن أساعدك». أجابت «أستطيع أن أدبر حالي». كنت أشعر بالفخر بها لأجل شجاعتها وكنت أذكر ذلك كثيراً لمن أتقابل معهم وأقول «إنها سيدة غير عادية».

وذات يوم بعد أن انتهيت من أحد الاجتماعات، رجعت إلى البيت ودخلت بهدوء فوجدتها تبكي. لم أجد كلمات أقولها. وبعد لحظات قلت لها «أنا أعلم أن الأمر صعب عليك». لم تكن كرستين تبكي على حالها لكنها كانت تبكي على چوني الذي مرَّ بيوم عصيب. همست قائلة «لا أستطيع أن أراه يتألم».

لم أشعر بالثمن الذي دفعته زوجتي من أجل ابننا إلا بعد سنين. كانت تطلب معونة الله لها لتستطيع أن تقوم بالواجبات اليومية المتواضعة. والآن وأنا أنظر إلى الوراء أدرك أنه كان في إمكاني أن أكون أكثر عوناً لها. قلت لها عدة مرات «أنا أعلم أني لست إنساناً يسهل العيش معه. أعتقد أنه يمكن أن يُطلق عليَّ «مدمن عمل». فأنا من النوع الذي يحدد أهدافه، وينغمس تماماً في أي مشروع يقوم به. وهذا ليس سهلاً على أي زوجة. أحياناً كانت كرستين تتحدث معي في أمر مهم وأبدو وكأني أصغي لكني في الحقيقة لم أسمع كلمة واحدة!

حاولت على مرّ السنين أن أخبرها بكل التفاصيل وخاصة أن خدمات جديدة بدأت بجانب خدمتي الرعوية. لقد شاركتها بالبركات وأيضاً بالمشاكل والصعوبات. لمدة أكثر من خمسة وعشرين عاماً كانت هي الشخص الوحيد الذي أناقشه في سلبيات خدمتي. فأنا لا أؤمن أبداً بأن أعلن ضعفاتي، وباعتباري شخصاً متفائلاً أفضّل أن أطلع الناس على الايجابيات والنجاحات.

كنت دائماً أعطي زوجتي جدولاً مفصلاً لمواعيدي حتى تستطيع أن تتصل بي بسهولة، فلا أظن أنه توجد فترة ولو لثلاثين دقيقة في أي رحلة من رحلاتي الطويلة لا تعرف فيها مكاني. وعندما كان يحدث تغيير في برنامج سفري كنت أبلغها إما عن طريق تلغراف أو تليفون. كانت تعرف أرقام رحلات الطيران، ومواعيد الإقلاع والوصول،

والشخص الذي سينتظرني في المطار، ووسيلة الانتقال من المطار إلى مكان الإقامة.

عندما كان عضو الكونجرس مندل ريفرز على قيد الحياة (كان رئيس لجنة الدفاع في الكونجرس) قال لي «يا چون، أنا أحتفظ بهاتف أحمر في سيارتي، وفي مكتبي، وبجوار سريري. في حالة حدوث أي ظرف طارئ وتحتاج أن تتصل بالولايات المتحدة، اذهب إلى أقرب مقر لقوات الجيش واتصل بي على الهاتف الأحمر. أنا أؤمن أن ما تقوم به استراتيجي». ولم أستخدم هذه الخدمة نهائياً، لكنها كانت مصدر راحة لي، لأني أستطيع أن ألجأ لها عند الضرورة. كما أني كنت أتخذ احتياطات كثيرة أكثر مما يعمله أي شخص في مثل حالتي لأني كنت أريد أن أحمي كرستين.

وجدت نفسي مأخوذاً بفكرة أن كل يوم يُعتبر فرصة جديدة فانغمست أكثر وأكثر في العمل. كانت كرستين تحاول أن تتأقلم معي بكل لطف وصبر.

وذات يوم جاء د و. كريزول، هذا القائد المحترم في الطائفة المعمدانية والمحبوب في شاتانوجا، هو صاحب رؤيا متسعة، فأدرك كيف ثقلت مشاكل الكنيسة عليَّ وكيف أعاقت رؤيتي ومسيرتي. قال مشجعاً «أنت راعي جيد يا چون، لكني بروح النبوة أقول لك إن خدمتك ستتسع خارج حدود الرعاية أنك يجب أن تفكر في الكرازة».

الكرازة؟ شعرت بالبهجة لثقة هذا القائد المشهور فيَّ، لكن في نفس الوقت لم أجد نفسي منجذباً لفكرة أن أكون خادماً متجولاً.

الفصل السادس

قبلت دعوات لخدمات كرازية. وأثناء انشغالي بعدد محدود من الخدمات الكرازية كنت أحاول الابتعاد عن المشاكل في كنيستي، ثم تلقيت دعوة لأرعى كنيسة في لويڤيل فقبلت الدعوة. وهناك حالفني النجاح في كل خطة وبرنامج، فقادت الكنيسة كل مجمع الكنائس المعمدانية الجنوبية في هذه المنطقة، وآمن بالرب يسوع وتعمد حوالي ٤٢١ شخصاً في سنة واحدة. كما حدث نمو مذهل في مدرسة الأحد. وفي أقل من سنتين قفزت ميزانيتنا السنوية من ٩٠ ألف دولار إلى حوالي ربع مليون دولار.

كنتيجة لذلك دُعيت للتكلم في مؤتمر للرعاة لمجمع الكنائس المعمدانية الجنوبية في كانساس سيتي حيث كان عليَّ أن أقدم الخدمة الافتتاحية في مساء يوم الإثنين. وعادة في مثل هذه المؤتمرات يستمر وصول كثير من المشاركين في المؤتمر حتى الساعات المتأخرة في الليلة الأولى. وفي هذا العام حدث تأخير في البرنامج لمدة ساعة ونصف الساعة، فاستطاع عدد كبير من المتأخرين أن يحضروا الخدمة الافتتاحية.

كانت رسالتي بعنوان «دور المنبر في الكرازة» وكانت ردود الأفعال أكثر بكثير من توقعاتي. فقد كُتبت عنها تقارير في مئات من الجرائد،

بدءاً من نيويورك تايمز إلى أخبار سان فرانسيسكو. وكان بعضها على الصفحات الأولى للجريدة.

في خلال أسابيع قليلة تلقيت أكثر من أربعمائة دعوة للوعظ في اجتماعات مختلفة. كان قبول كل هذه الدعوات يستلزم أكثر من عشرين سنة لكي أستطيع أن ألبيها كلها. في الأسابيع التالية تلقيت دعوات أخرى. قال لي والدي «كنت أصلي لمدة سنين يا چون أن الله يقودك في اتجاه الكرازة، لم أذكر الأمر لك لأني لم أرد أنك تتأثر برأيي، لكني كنت أريد أن الله هو الذي يقودك ويقنعك».

كانت الدعوات الأولى التي تلقيتها من كنائس محلية، منها ٢٩ دعوة من كنائس مختلفة في مدينة واحدة. وكان من الواضح أن حل هذه المشكلة كامن في أن تكون الاجتماعات في مكان متسع على مستوى المدينة كلها.

لذلك قررت أن أتفرغ للكرازة.

شعرت وكأني إنسان جديد. قالت لي كرستين «حتى صوتك بدا مختلفاً». وكأني قد كبرت في يوم وليلة عدة سنوات.

قلت لها بعد إحدى الخدمات الكرازية «كنت أتمنى أن تكوني معي. لقد شعرت بانطلاق أثناء الوعظ كما أني شعرت بقوة وسلطان الروح القدس، كما تجاوب أكثر من مائتي شخص وشهدوا بإيمانهم من تلقاء أنفسهم بدون ضغط عليهم أو تأثير على مشاعرهم، برغم بساطة الرسالة».

قالت «بدون ضغط؟ وبدون تأثير على المشاعر؟»

رأيت الألم في عيني زوجتي. لكن بسبب حماسي الشديد لم ألاحظ الضغوط النفسية التي تعاني منها.

سألتها في أحد الأيام «ألا تريدين أن نجد مكاناً نودع فيه چوني حتى تستطيعي أن تسافري معي؟»

هزت رأسها بالرفض.

قلت «لا يمكنك أن تستمري هكذا». قالت «أنت تعرف ما يقوله الطبيب. بما أن چوني قد عاش كل هذه الفترة فأقصى وقت يمكن أن يعيشه هو خمس أو ست سنوات أخرى، لذلك فأنا أستطيع أن أتدبر هذا الوقت».

ازداد عبء العمل على كرستين. ثم مات جدها وبدأت الجدة باركر تزورنا على فترات متقاربة، وقالت «كل مرة آتي لزيارتكم أشعر أني أحب چوني أكثر من قبل. إذا كنتم تريدونني أن آتي وأعيش معكم لأساعد كل الوقت في رعايته فأنا على استعداد لذلك».

أعتقد أن أي رجل لا يرحب بإقامة حماته معه في نفس البيت، لكن حماتي شخصية متميزة جداً. فأنا لا أعتبرها نسيبتي الغالية فقط لكني أعتبرها واحدة من أقرب الأصدقاء الذين أحبهم وأحترمهم.

في هذه الأثناء تعرفت كرستين على مجموعة من أولياء أمور بعض الأطفال أصحاب الاحتياجات الخاصة ويحتاجون لعلاج طبيعي. كان ذلك الوقت قبل اكتشاف التطعيم ضد مرض شلل الأطفال الذي كان قد

تسلل إلى بلدتنا. كان من بين أولياء الأمور من لديهم أطفال يعانون من بعض أنواع الشلل، وكانوا يتقابلون مرة كل شهر ليتشاركوا معاً بالخبرات والاقتراحات التي قد تفيد أبناءهم.

من خلال هذه المجموعة سمعت كرستين عن أخصائية في إحدى المستشفيات. أخذت كرستين والأم باركر جوني لهذه الأخصائية التي علمتهم بعض التدريبات وأخبرتهم عن طبيب متخصص واسع الشهرة في علاج الأطفال المعاقين في مدينة بالتيمور. فذهبنا إليه فوصف لنا برنامجاً للعلاج بالمنزل. وقد حاول أحد المعالجين أن يزود جوني بدعامات ليتمكن أن يسير على عكاكيز.

سألت كرستين الطبيب محاولة أن تكون واقعية لكن في نفس الوقت تتعلق بالأمل «هل تعتقد بحق أن هناك أي احتمال لأن يسير؟» أجاب الطبيب إجابة دبلوماسية «إنه طفل يتمتع بشجاعة كبيرة».

وعندما كنا ننظر إلى الدعامات التي يضعها الأطفال الآخرون كنا نرى أن شكلها غير مقبول ومنظرها رديء. لكن عندما وضع الطبيب ذات الدعامات على رجليّ جوني، كنا نراها وكأنها قطعة فنية رائعة، لكنها لم تكن ذات نفع. حاولنا أن نوقف جوني على قدميه ونشجعه أن يخطو ولو خطوة واحدة، لكن للأسف عقله الصغير لم يعطِ أي إشارات لرجليه. لم تكل كرستين من المحاولة، ساعة بعد الأخرى وهي تصرخ إلى الله أن يمنح جوني أن يتمتع ولو بجزءٍ بسيط مما يتمتع به الأطفال الآخرون.

كان الرجاء الوحيد لنا هو تأكيد كرستين اليومي عن قناعتها بذكاء جوني. ومع الوقت كنا نرى جسده رخواً مثل اليرقة، ولكننا كنا نتمنى أن يكون كاليرقة، لأن هذا معناه أن هناك فراشة كامنة في داخله ستخرج بكل نشاطها مع حلول الربيع. لكن للأسف لم يكن جسد جوني كاليرقة، لكنه كان بمثابة سجن.

كنا متأكدين تمام التأكد أنه واع، محب، شغوف للتعلم، وأن لديه قدرات عقلية سليمة. حاولت كرستين معه أشياء بسيطة مثل أن تجلسه في حضنها، وتشير إلى أشياء مختلفة في البيت. لم يستطع أبداً أن يتجاوب بسرعة لأن الأذى الذي حدث لجهازه العصبي الحركي تسبب في تأخير ردود أفعاله عشرين ثانية عن الطفل الطبيعي. وكانت العشرون ثانية تبدو وكأنها مدة طويلة جداً. ولو حدثت هذه الأمور مع أم غير صبورة كان من الممكن أن تيأس ولا تستمر مع ابنها فلا تتفجر ما لديه من طاقات وبالتالي لن تكتشف أبداً ذكاءه المفرط غير الواضح.

لكن أتى اليوم، وتفجرت طاقات ذكاء جوني.

فذات يوم سألته أمه «أين المدفأة؟» تحركت عيناه جهة المدفأة فقفز قلب كرستين من شدة الفرحة. أرادت أن تتأكد فبدأت تسأله عن أشياء أخرى: الراديو، والبيانو، ومنضدة حجرة الطعام، والساعة. استطاع جوني أن يعرف كل هذه الأشياء. ثم بدأت كرستين تعلمه أسماء أعضاء جسمه.

قالت لي «إنه سيتكلم في يوم ما». أخفيت تشككي في صمت لكني كنت معجباً جداً بتفاؤلها.

حذرنا الأطباء من أنه إذا استطاع أن يتكلم فسيكون بصعوبة بالغة ولن يستطيع أن يتكلم بوضوح.

كنا مستعدين أن نقبل ذلك مدركين أننا سنتمكن من فهمه من خلال مساعدة أمه لنا. كانت كرستين على استعداد أن تتعلم أي لغة لتستطيع أن تتواصل مع ابنها.

لكن حتى وإن لم يستطع چوني أن يخطو ولو خطوة واحدة، ولا أن يتكلم، لكن كان يستخدم كلمتي «بيه» ويقصد بها «نعم». و«أمن» ويقصد بها «لا». كنا نستطيع أن نميز هذين الصوتين من باقي الأصوات التي كان يصدرها للتواصل معنا.

كان يعرفنا جيداً وكنا نستطيع أن نرى حبه الكبير لنا من خلال عينيه.

وبسبب المشكلة التي كان يعاني منها في الجهاز التنفسي كان معرضاً جداً لنزلات البرد، لذلك لما كبر كان يرتعب جداً عندما يسمع صوت شخص يعطس.

بذلت كرستين جهوداً واضحة لتمزج بين الحب والاهتمام الذي يحتاج إليه چوني. كانت الأم باركر متميزة في ذلك أيضاً.

كان إطعامه أمراً بالغ الصعوبة لدرجة أنه قد يجعلك تفقد صبرك. لكن الوضع يتغير تماماً عندما تنظر إلى عيني چوني وترى فيها الضيق بل والإحباط الشديد. نعم كانت خبرة قاسية تزداد مع مرور الأيام. لكن

أمه كانت متفهمة تماماً لوضعه، ولم يتطرق لفكرها قط أن تلومه أو تبكته.

وكان يمكن أن حالة چوني تجعل منه طفلاً غير مهندم، لكن كرستين كانت مهتمة جداً بنظافته. كانت تنظفه بلطف وبراعة دون أن تجرح مشاعره أو تشعره أنها تفعل شيئاً خطيراً أو كبيراً.

كانت كلما تقضي وقتاً أطول معه تقتنع أكثر بذكائه. وكانت تشكر الله أنها لم تستمع للأطباء الذين شككوا في قواه العقلية. ولو أنها صدقتهم لمَا اكتشفت ذكاءه وما استطاعت أن تثري حياته.

كانت تقول «أنا أعلم أن چوني يتمتع على الأقل بمستوى ذكاء طبيعي إن لم يكن أعلى من الطبيعي».

لا أحد يمكن أن يتوقع ما كان يمكن أن يفعله چوني بذكائه! هل كان سيرث موهبة أمه الموسيقية؟ هل كان سيرنم لله ترنيمات بحماسه المتدفق غير المحدود؟ هل كان سيسير على نفس الخُطى التي سرتُ أنا فيها؟ لسنين طويلة كنت أشعر باحتياجي لشاب يعمل بجانبي، يساعدني في تفاصيل خدمتي. هل كان هو ذلك الشاب الذي كنت أحلم به؟ أعتقد أنه كان يسأل نفس الأسئلة. ومع أن چوني لم يتكلم، لكنه كان يتواصل بقوة من خلال عينيه المعبرتين. ومن خلال قراءة عينيه تعلمنا الكثير.

عبرت عيناه عن إخلاصه عندما كان يطلب المساعدة. لم يكن أبداً نداء طفل مدلل. كان يطلب المساعدة فقط عندما يكون هناك احتياج حقيقي.

هذا كان جزءاً من تعبيره عن استقامته. وبرغم أن الاهتمام بابننا كان يستغرق ساعات طويلة من المجهود والحرمان المستمرين إلا أنه كان وقتاً مشبعاً جداً لأمه.

نعم فالسعادة الحقيقية هي أن تصل إلى الآخرين وترشدهم وتقوم بدورك في توسيع أفقهم. بالطبع كان هذا دور والدة چوني.

كان چوني سجيناً، محبوساً في قيود جسده المعاق. كانت مهمة والدته (وكنت أسمعها وهي تقول إنه امتياز لها) أن تجد طرقاً يستطيع بها أن يتخلص ولو جزئياً من هذا السجن.

وعلى قدر الوقت الذي كانت تقضيه مع چوني، كانت بنفس القدر تقضي وقتاً في قراءة الكتاب المقدس وفي الشركة مع إلهها. ونتيجة لذلك كان اقتناعها يزيد يوماً بعد يوم أن عند الله خطة خاصة سيتممها في حياة چوني هجاي.

وأنا مقتنع أن الله أعطى كرستين امتياز أن تعلّم واحداً من أولاده المتميزين. فليس لنا أن نتساءل «لماذا؟» عن حالة ابننا الجسدية التي كانت بمثابة سجن له، لأن هذا السجن (كما سأشرح لاحقاً) تحوّل إلى ساحة جهاد لإظهار المواهب من كل أنحاء العالم، وأصبح مكاناً لتحقيق غرض الله، ولتسبيحه.

الفصل السابع

نستطيع أن ندرك من كلمة الله أن الحياة المثالية تتطلب نمواً في الحكمة والقامة والنعمة لدى الله ولدى الناس. وكان چوني ينمو في ثلاثة منها فقط: في الحكمة، وفي النعمة لدى الله، ولدى الناس. إلا أنه كان محروماً من أمر جوهري هو الجسد السليم (القامة). وكلما مرت الشهور كنا نراه يجتاز المراحل الطبيعية التي يجتازها الأطفال، فهو سليم داخلياً لكنه غير طبيعي من الخارج. كان يرانا نسير في الحجرة، ونجلس، ونقف، ونحرك أيدينا ونلتقط الأشياء بها، وكان يريد أن يُقلدنا. ويعلم الله مقدار الألم الذي كان يعتصرني من الداخل وأنا أرى چوني يحاول جاهداً أن يحرك جسده. فكنا نرى في عينيه الرغبة والاشتياق ليقف ويمشي ويمسك الأشياء بيديه. وبمرور الوقت كانت تبدو على وجهه مرارة النفس عندما أدرك أن عالم الأصحاء ليس هو عالمه، لكنه أحب هذا العالم.

وعندما كبر قليلاً بدأنا نأخذه للخارج، في نزهة بسيارتنا. وكانت أمه وجدته تأخذانه كثيراً في عربة الأطفال للنزهة في الخارج. كان يريد أن يكون حيثما يوجد الناس. كان يجلس ساعات طويلة يراقب الأولاد وهم يلعبون ويصرخ بفرح لمزاحهم. ويتمايل بجسده العليل عندما يرى كرة البيسبول وهي تسجل هدفاً، أو في لحظات إثارة في مباراة التنس أو كرة السلة.

كنا دائماً نبحث عن أي إمكانات تستطيع أن تجعله قريباً من الحياة الطبيعية. فعندما كان طفلاً صغيراً، عرضناه على أخصائي للعلاج الطبيعي، فقرر أن يقدم له ما نسميه «العلاج بالمحاكاة». وفي هذا النوع من العلاج يضع المعالج أطراف الطفل في وضع يشبه وضع السباحين، حتى يتأقلم عقل الطفل على ممارسة هذا الوضع ويكون قادراً على ممارسته بنفسه. وتعلم الكثير من الأطفال غير القادرين على الحركة الزحف من خلال مثل هذه التمارين.

وبالنسبة لچوني تطلب العلاج بالمحاكاة إجراءات أكثر تعقيداً، ولكي نحصل على أية نتيجة أخبرنا الطبيب المعالج أن چوني قد يحتاج إلى خمس جلسات يومياً، ويمكن أن تتم هذه الجلسات وهو في المنزل، لكنه يحتاج إلى خمس سيدات في كل جلسة، أي أنه يحتاج إلى خمس وعشرين سيدة يومياً. وقد قامت صديقتنا المحبوبة المخلصة السيدة و . ج. بروك بتجنيد هؤلاء لنا. وأغلب السيدات كنَّ يحضرن جلسة واحدة أسبوعياً، وبذلك أصبح عدد المتطوعات أكثر من مائة سيدة أسبوعياً، إلا أن كرستين كانت تقوم بالجهد الأكبر في هذا النوع من العلاج.

وحاول چوني بكل جهده أن يصل إلى نتيجة من العلاج، ولا أظن أن لاعباً في الألعاب الأوليمبية بذل جهداً في التدريب أكثر منه. كان يجاهد، وتبدو على عينيه علامات الإصرار!

وتعلم كيف يحبو. وبالرغم من أن ما وصل إليه في هذا المجال كان قليلاً، إلا أن العلاج بالمحاكاة كانت له آثار إيجابية، فعندما بدأ يُصاب

بهشاشة العظام أفادنا طبيبه المعالج أنه بدون هذا النوع من العلاج قد تتحول عظامه إلى ما يشبه البودرة.

وبعد مدة استخدمنا آلة للعلاج بالمحاكاة كانت تتعامل مع چوني بقسوة، إلا أنه بذل قصارى جهده ليتأقلم عليها. وكان يتوقع، كما كنا نحن نتوقع تحسُّناً في حالته الجسدية، وكان على استعداد أن يبذل أي مجهود مهما كان مؤلماً في سبيل تحسين حالته. فكنت أقول له «أنت مقاتل حقيقي يا حبيبي» وكان وجهه يشرق عندما يسمع هذه الكلمات.

كان هدفنا من هذا النوع من العلاج أن يبدأ الجسم في تكوين مسار للأعصاب بدلاً من التي تلفت، وبهذا يتعلم كيف يمشي. وفي عام ١٩٥٥ وبعد حوالي سنتين من العلاج المتواصل غير المثمر، استسلمنا واعترفنا بالفشل.

أعتقد أن چوني شعر بالارتياح، لكنه أصيب بالإحباط مثلما أصبنا نحن أيضا.

ورغم أنه لم يكن هناك أي تحسن في ملكاته الجسدية، إلا أنه كان ينمو ذهنياً، وأخذت كرستين على عاتقها أن تنمي فيه الملكات الذهنية، فعلّمته رائحة الورود، ويبدو أن حاسة اللمس كانت طبيعية لديه، وجعلته يلمس ويشعر بأشياء كثيرة في البيت، واكتشف الأشكال المختلفة لنوعية الملابس، وتعلم الألوان، وكان حساساً للأصوات المختلفة سواء داخل المنزل أو خارجه.

كان لدينا جيران رائعون: أب وأم وأولاد، وكانت ابنتهم الصغيرة وهي أصغر بقليل من چوني تأتي بصفة يومية إلى بيتنا لتراه. وفي بعض الأيام كان يبكي كثيراً وتفشل كرستين في إسكاته، لكن ما أن يدق جرس الباب وتحضر صديقته الصغيرة تراه يبتسم ابتسامة عريضة. وفي عيد ميلاده الرابع، أقامت له كرستين حفلة، كانت بحق مهرجاناً بديعاً في حدود الإمكانات. وحضر إلى بيتنا الأولاد من جيراننا ولعبوا كثيراً، وكانت كرستين تقدم الكيك والأيس كريم، ومن اللحظة التي أتى فيها الأولاد حتى نهاية الحفلة، كانت عينا چوني تتلألآن.

أما بالنسبة لحفلة عيد الميلاد (الكرسماس)، فكانت كرستين تزين شجرة الكرسماس والمنزل خصوصاً حجرة چوني، وفي عيد القيامة كانت تلوّن البيض وتضعه في سلة. كنا نأخذ چوني ليشاهد الألعاب النارية التي كانت تُعرض في الرابع من يوليو (وهو عيد الاستقلال الأمريكي). وكنا نحاول أن لا نحرمه من رؤية أي استعراض. لقد جعلنا حياته ممتلئة بقدر ما استطعنا.

عندما كان في الثانية من عمره أحضرنا له كلباً صغيراً، وكان چوني يحب أن يكون في أرضية الغرفة مع الكلب أكبر وقت ممكن، وكثيراً ما كانت كرستين تراهما وقد احتضنا بعضهما وراحا في نوم عميق. وكان چوني يملك جاذبية خاصة للكلاب. حتى الكلاب الغريبة كانت تنجذب إليه كما لو كانوا يعرفون حالته ويريدون أن يحيّوه، ويحموه.

وكان لدينا جار يُدعى أولي ميرشانت، لم يكن يسمح للكلاب أن تقترب من منزله، مع استثناء واحد. فقد كان في جيرتنا كلب من نفس فصيلة الكلب الذي أحضرناه لچوني. وعندما يكون چوني مع ميرشانت كان هذا الكلب يسرع ويذهب إلى حديقة ميرشانت ويجلس بجوار كرسي چوني، وما أن يعود چوني إلى البيت كان هذا الكلب يترك حديقة ميرشانت بهدوء وبدون أن يطلب منه أحد هذا.

كان لجارنا الآخر كلب، كان يأتي إلى حديقة منزلنا بمجرد أن يرى كرستين تجر عربة چوني، هذا الكلب كان يحمي چوني بشدة. وعندما مات أحضر جيراننا كلباً بدلاً منه وأصبح في علاقة بچوني مثل الكلب الأول تماماً.

أما آخر كلب من كلاب جيراننا في حياة چوني، فلم يتذوق طعاماً ألذ من الطعام الذي كان يأخذه من يد چوني.

في هذه الفترة علمنا الرب دروساً رائعة في قيمة الروح البشرية، ولربما تكون ضربة يستخدم فيها إبليس دهاءه الذي يجعل كثيرين (بمن فيهم المؤمنين) أن يأنفوا من أي شخص غير صحيح جسدياً، ويحسبونه أقل قيمة.

وكثيراً ما سمعت كرستين تقول «أشكر الله لأني لم أستمع لمشورة الذين نصحوني أن أضع چوني في مصحة». قال لها أحد الأطباء «يا سيدتي، لماذا لا تتسامين عن موقف الشهداء وتضعين ابنك في

مصحة؟ أنت ستهدمين حياتك، وربما علاقتك الزوجية، بل وستعرضين مستقبلك العائلي للخطر».

لكن بعد عدة أشهر، وبعد أن خضع جوني للعلاج الطبيعي، بدأ الاتجاه الطبي يتغير، فقال أحد المعالجين «إنه متعاون جداً. لقد أثبتنا أنه في غاية الذكاء، فهو يفهم كل ما نريد منه أن يعمله، إلا أن مشكلته الوحيدة هي عدم قدرته أن يتحرك بتناسق».

قضت كرستين ساعات طويلة تحاول أن تساعده لتنمي لديه القدرة على أن تكون حركاته متناسقة، وحاولت بكل الطرق، فأحضرت له قطعاً دائرية صغيرة وساعدته ليضعها في فتحات مستديرة، وأحضرت له قطع مكعبات ليضعها في فتحات مربعة، وكنت ترى في عينيه أنه يفهم جيداً ما ينبغي أن يفعله، لكنه لم يستطع بسبب عدم قدرته على تحريك أصابعه بتناسق.

كانت كرستين دائماً إيجابية معه، فعندما يفشل في عمل بعض الأمور التي تدربه عليها، ويعبر عن هذا بنوع من العصبية كانت تهدئه وتقول له «سنتدرب على ذلك في يوم آخر، ونستطيع أن نتعلم هذه المهارة فيما بعد».

وكلما كبُر جوني في السن كان يعاني أكثر وأكثر من مشاكل في جهازه الهضمي، وسألت كرستين طبيبه «هل من المحتمل أن يكون الإحباط الذي يشعر به أحد أسباب هذه المشكلة؟». فأجابها «يا سيدتي، إنه ليس أحد الأسباب، بل هو السبب».

إذاً هل كان يجب أن نضعه في مصحة ليجلس في أحد أركان العنبر، يوماً بعد الآخر، لا يرى إلا سقف الحجرة؟ ألعل هذا كان أفضل له من محاولتنا تعليمه طريق الحياة الذي عجز عن أن يختبره. هذه أسئلة كثيرة كانت تراودنا.

لكننا الآن نعرف جوني معرفة تامة، وندرك أنه إن كنا قد وضعناه في مصحة، كان عمره سيكون أقل بعشر سنوات من العمر الذي عاشه بيننا. كما أن وجوده في المصحة سيزيد من إحباطه عندما يحاول أن يتعلم ويعبر عن نفسه لكنه يفشل، فهو ذو حساسية مفرطة، ويتمتع بعقل راجح. فالمصحة كانت بالنسبة له سجنا داخل سجن.

وكلما مرّ الوقت، كانت أبعاد سجنه الداخلي تزداد وضوحاً، فالدواء قلل إلى حدٍّ ما من نوبات الصرع بالرغم من معاناته البالغة في بلعه والاحتفاظ به في معدته.

أصبح برنامجي أكثر ازدحماً. حاولت أن أنظم وقتي حتى يمكنني أن أقضي بعض الوقت مع أسرتي. الآن أقول إنه كان يجب أن أقضي وقتاً أطول مع ابني، فأن يكون لك ابن مثل جوني هو أحد الخبرات التي تجعلك تستحضر الماضي وتتأمل فيه.

أجمع كثير من الأطباء أن عناية كرستين بجوني ساهمت في إطالة عمره. كان كل يوم يمرّ عذاباً لجوني، لكن كانت هناك أيام أسوأ من الأخرى. وفي بعض الأيام القاسية، كنت أرى كرستين واقفة على قدميها من الصباح الباكر حتى الليل بصفة متصلة، وبالرغم من أنها

ليست من الذين يعيشون في حالة رثاء الذات، لكن كانت تأتي عليها أوقات لا تستطيع فيها أن تمنع دموعها.

أتذكر يوماً بعد مجهود شاق ، اختلست كرستين بعض اللحظات لتجلس وتسترخي، لكن كان چوني يحتاج لمن يراقبه فأخذته في حجرها، وبدأت الدموع تنساب من عينيها. ولما رأى چوني دموعها ضحك ضحكة مليئة بالتوتر.

وفي يوم آخر، وصل بها التعب إلى القمة، فوجدت نفسها تبكي بصوت عالٍ، وهنا انفجر چوني في الضحك. ربما رأيت طفلا يتأرجح في مشاعره بين البكاء والضحك. كان هذا حال چوني في ذلك اليوم. بعد قليل أدركت كرستين أنها يجب أن تتوقف عن البكاء فمسحت دموعها، وبدأت ترنم هذه الكلمات البسيطة «يسوع يحبني» الترنيمة التي كان عندما يسمعها چوني يستجيب لها بحماس شديد. كانت تهمس في أذنه «إنه يحبنا يا چوني. يحبنا يحبنا كثيراً».

وبعد حضور الجدّة باركر، استطاعت كرستين أن تختلس بعض الوقت لتقضيه خارج البيت، وإلا ما استطاعت أن تستمر في الحياة! كانت غريزة الأمومة تجري بعمق في عروقها، وكان لديها إحساس جارف بالمسئولية تجاه ابنها، لذلك كان من المستحيل أن تعطي نفسها راحة لفترة طويلة.

وعندما أتت الجدّة باركر واستقرت معنا، وكان چوني يكبر، بدأت كرستين تتلقى دروساً في الصوت، وبدأت تظهر في المجتمعات

العامة، وكان أشتراكها معي بالترنيم في الخدمات الكرازية التي كنت أقوم بها يضفي لمسة مميزة للبرنامج.

ولحسن الحظ بدأ چوني يغير من ردود أفعاله تجاه الموسيقي التي كانت تعزفها كرستين. وشجعها على الترنيم، بل كان يحاول بحماس أن يرنم معها.

نحن وكلاء على أوقاتنا ومواهبنا فكلاهما عطية من الله. ومن الأشياء الكثيرة الرائعة المختصة برؤيتها للحياة   كانت كرستين تؤمن أن فرص الغد ستضيع إن لم نجهز لها من اليوم. لقد تقابلنا مع آباء أطفال أصحاء، إلا أنه من وجهة نظرنا، أعاق هؤلاء الآباء أبناءهم لأنهم لم يحثوهم ليُخرجوا أفضل ما لديهم من طاقات كامنة. إن كنا نريد أن يصبح أبناؤنا مؤمنين لهم هدف في حياتهم، علينا أن نوجّه أفكارهم إلى هذا منذ طفولتهم.

أنت تحصد ما تغرسه في عقول أبنائك. إلا أن الغرس والاهتمام يستلزمان وقتاً وجهداً، وللأسف كثير من الآباء يشغلون أوقات أولادهم بمشاهدة التلفزيون.

كانت زوجتي تؤمن أن عطية الأولاد هي أفضل استثمار أعطاه الله لنا. فنحن نستطيع أن نؤثر في أولادنا في مراحل عمرهم المختلفة، بتعليمهم كلمة الله، وإعطائهم القدوة الصالحة. كانت زوجتي مقتنعة أن تأثيرنا على أولادنا يؤثر في أجيال المستقبل بطريقة أكثر فاعلية من حضورهم حلقات لدرس الكتاب المقدس، بالرغم من إدراكها لأهميتها.

برغم أن كرستين لم تدرك ما الذي يدفعها للتصميم على رعاية جوني بنفسها، إلا أنها ستدرك في يوم ما خطة الله العظيمة لحياة ابننا. كانت مسئوليتها وفي نفس الوقت فرصتها أن تعده لإتمام هذه الخطة. أصلي أن يعطينا الله آباء وأمهات يستطيعون أن يربوا أولادهم، ويكون هدفهم أكبر من مجرد توفير الطعام والكساء والترفيه.

شعرت كرستين بالضيق من السيدات اللاتي يعتذرن عن عدم قدرتهن على الخدمة في مدارس الأحد بسبب انشغالهن بأولادهن. يا له من موقف مؤلم أن نتجاهل أحد أعظم الفرص والمسئوليات. تُرى كم يساوي التأثير الذي تتركه كأب على ابن واحد، هذا التأثير الذي يمتد إلى بُعدٍ أطول من عمرك. وبالطبع يتضاعف هذا التأثير عندما تربي طفلين أو أكثر.

كانت زوجتي تؤمن أن عائلاتنا هي مسئوليتنا الأولى، لكن لا يجب أن تحجب هذه المسئولية التزامنا بتتميم خطة الله العامة في حياتنا. وبالرغم من الساعات الطويلة والعمل الشاق الذي كانت تؤديه كرستين مع جوني، إلا أنها استطاعت أن تخلق وقتاً للمسئوليات الأخرى، فبذوقها الرفيع، وحبها للنظام والترتيب، استطاعت أن تجعل منزلنا آية في الجمال، وإن كانت الظروف حتمت عليها أن تتخلى عن الموسيقى إلى حين، كان من الممكن بسهولة أن يبتلعها الحزن نتيجة العبء الثقيل الملقى على كاهلها، إلا أن الله أعطاها نعمة وكل الذين كانوا

يزورونها شهدوا عن إشراق وجهها. كانوا يأتون ليشجعوها ويباركوها، لكنهم يخرجون محمَّلين ببركات لا تُحصى.

كانت كرستين تخبرني دائماً بمدى تقدُّم حالة چوني، وزيارته للأطباء ولأخصائي العلاج الطبيعي، لكنها كانت تحاول أن لا تجعل من أي مشكلة عائقاً في طريق خدمتي، فعندما كنتُ ألقي عظة كرازية في الكنيسة المعمدانية في مدينة برمنجهام بولاية ألاباما كانت إحدى السيدات تساعد كرستين في العلاج الطبيعي لچوني، لكن لسوء الحظ استخدمت هذه السيدة بعض العنف في علاجه كان سبباً في كسر عظمة الفخذ، ونتج عن هذا أزمة كبيرة، وكانت كرستين تدرك أني في طريقي إلى المنبر، فلم تخبرني إلا بعد أن انتهى الاجتماع فعدت فوراً إلى البيت.

أكثر وأكثر كانت كرستين تمتص كل الضغوط التي يمكن أن تؤثر على خدمتي. وقد أعلنتُ دائماً أن أعظم شيء حدث لي بعد اختبار الخلاص هو أني تقابلت مع كرستين وتزوجتها. وبدونها لم يكن يمكنني أن أتمم الرسالة التي أخذتها من الله.

ومنذ نعومة أظافر چوني، كانت كرستين تشجعه ليهتم بوالده، وكنت أقضي وقتاً معه على قدر استطاعتي، لكن بالطبع لم يكن بقدر الوقت الذي كانت تقضيه أمه وجدته معه.

وكانت كرستين تقول لچوني عندما تتسخ ملابسه بالطعام «دعني أنظفك قبل أن يأتي بابا إلى المنزل، لأنه يحب الواعظ الصغير النظيف والمهندم».

يرد چوني «بيه» ويقصد بها «نعم».

وبدأ تعلق چوني بي ينمو فوق كل التصورات حتى تصورات زوجتي. كان يمكن أن كرستين تتضايق من العلاقة التي تربطنا، فهي تهتم بابننا كل ساعة، لكن ما أن يسمع وقع قدميَّ حتى ينسى كل من معه وينتظر قدوم أبيه.

لم يكن سهلا على كرستين أن تراني وأنا أستغل كل الفرص المتاحة لي بحرية، وأن أستمتع بنجاحاتي في الخدمة. من يستطيع أن يقول أن خدمة الترنيم لو قامت بها كرستين صاحبة الصوت الجميل كان سيكون لها نفس التأثير أو ربما أكثر من خدمتي كواعظ أو راع؟. لو أن الوضع كان معكوساً، بالتأكيد ما كنت أستطيع احتمال ما تحملته. نعم! أحياناً كان الأمر يفوق احتمالها، وربما كانت تعبِّر بطريقة ما عن شعورها بالإحباط.

إلا أن كرستين وجدت سندها الحقيقي في وعود الله ««تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩). وكان هذا تأكيد الله لنا، فلا نحتاج أن نكون قديسين من نوع معين لكي يمدنا الله بالإمدادات اللازمة لحياتنا، لكن ما نحتاجه هو أن «انْمُوا فِي النِّعْمَةِ

وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ المَسِيحِ» (٢بطرس ٣: ١٨).
والالتزام معناه أن نكشف عن ضعفنا أمام قوته.

وبما أننا نؤمن في كفاية إمدادات الله، لماذا لا نسأله أن يصنع معجزة شفاء؟ بالتأكيد طلبنا من الله أن يلمس جسد چوني، لكن بحسب إرادته الخاصة وسلطانه بالنسبة لچوني.

تؤمن كرستين وأنا في قوة الله للشفاء، وكنا نطلب هذا على الأخص عندما كنا نرى چوني يتألم ويتضايق، وكنا نشتاق أن نرى الله يلمس جسده فيصحّ فوراً، إلا أننا كنا نؤمن أن العمر الذي عاشه هو نتاج صلاح الله ونعمته.

ومهما كنا في علاقة نامية مع الله، فنحن نواجه كل يوم أسئلة لا نجد لها إجابة.

الفصل الثامن

قد تكون أيامنا حانية وقاسية، وبالنسبة لنا كنا نختبر رحمة الله في الأيام والأسابيع والشهور بل والسنين. وأصبحنا مع الأيام أكثر إدراكاً لإعاقة جوني الجسدية وذكائه الحاد. إلا أن الوقت كان قاسياً بالنسبة لي ولزوجتي، فكلما مرَّ الوقت كنت أشعر أن هناك سوراً يرتفع بيننا.

أنا شخص غامض في أمور عديدة، وأبدو مثل اللغز بالنسبة لكثير من الناس، حتى بالنسبة لنفسي. فمن الخارج أبدو وكأني شخص اجتماعي، إلا أني مثل جبل الجليد، ما أحتفظ به تحت السطح أكثر مما يظهر فوق السطح، حتى بالنسبة لأصدقائي المقربين. وأنا لديَّ صداقات عديدة لأني أسافر كثيراً وأقابل أشخاصاً كثيرين، إلا أني أحتفظ بعدد محدود من الأصدقاء المقربين لأني أميل أن أحمي نفسي من العلاقات التي تستنفد الوقت.

وعبر السنوات، كان هناك لوم على السلوك الأخلاقي لكثير من الذين لهم علاقة بالرب يسوع، لكني كنت أسعى لكي أوجد بلا لوم. وكنت عن قصد أتجنَّب أي نوع من العلاقات خصوصاً مع الجنس الآخر التي قد تجلب عليَّ اللوم حتى لو كان هذا سيضعني في موقف حرج. ولم تشكّ كرستين في محبتي أو أمانتي لها على الإطلاق.

إن موقف الزوج والزوجة من حياة الزوجية لا ينبغي أن يكون موقف المتفرج، بل يجب أن يكونا شريكين، يكملان بعضهما. وقد تتعرض

الحياة الزوجية لبعض الجروح في العلاقات، الأمر الذي قد يتسبب في انتهائها. أو قد يعملان معاً في بناء بيتهما، من خلال التعلم من دروس الحياة المتعاقبة، مستثمرين أوقات النجاح والفشل، بل أيضاً يبنيان بيتهما في جو من الحب المتبادل والاهتمام والمشاركة. ومثل هذه الأمور تحدث في الظروف الطبيعية. إلا أن ولادة ابننا معاقاً فرضت علينا ضغوطاً من النادر أن تحدث في أي زواج، بل ربما لم يختبرها الكثيرون.

تأمل في زوج مشغول بل ومنهمك في الخدمة، وزوجة جذابة جداً ومتعددة المواهب. في الظروف الطبيعية سيقضيان وقتاً كثيراً معاً، فهي جزء أساسي وهام في خدمته. لكن ماذا لو أن الظروف سمحت بانعزالهما عن بعضهما؟ فحتى لو كانا في ذات البيت، فهي مشغولة بمسئولية ابنها وليس لديها الوقت لتجلس مع زوجها ليتحدثا معاً.

كنت أحاول أن أكون حساساً تجاه وضع زوجتي، لكن يبدو أن طاقتي الداخلية الهائلة لم تجعلني أقنع بالوضع القائم ، فلم أكن قانعا بالعمل الرعوي المعتاد قي الكنيسة. فإن كان عدد سامعيَّ خمسمائة، أعتقد أنهم ينبغي أن يزيدوا ليصبحوا ألفاً، وإن كانوا ألفاً يجب أن يصبحوا ألفين. وأعطتني الكرازة طاقة مضاعفة. والإنجاز المتواصل، مهما كانت دوافعه جيدة، يخلق نوعاً من التوتر على العلاقات الزوجية، وهكذا أصبحت علاقتنا الزوجية في خطر.

يحتاج الزوجان إلى أوقات طويلة لكي يتأقلما معاً ويعرفا بعضهما بعضاً ليعرف كل طرف متى يعطي ومتى يأخذ. وعندما أتى چوني تعقدت هذه الأمور. وبعد أن أصبحت كرستين يوماً بعد يوم أكثر اقتناعاً بحالة چوني الفريدة وحاجته إلى الرعاية الخاصة، بدأ اهتمامها به يزداد ولم يقل. وكنت أنا مشغولاً في البداية بعمل رعوي في كنيسة نامية، ثم بعد ذلك في خدمة كرازية متسعة.

بعد يوم شاق مع چوني أتت إليَّ كرستين وقالت لي بنبرة حادة «أنت منهمك في عملك وتهتم به أكثر من اهتمامك بابنك وزوجتك. ولا شك أن مقابلة الناس وثناءهم على ما تعمل أمر مثير ومبهج، أليس كذلك؟».

عندئذ ذهبت إلى التليفون وشرعت في إدارة القرص لأطلب مكالمة. وهنا أسرعت إليَّ كرستين وقالت «ماذا تفعل؟». أجبتُ «أريد أن ألغي موعداً لي الليلة مع أحد الأشخاص». فأسرعت وخطفت التليفون من يدي وقالت «بالمناسبة، اتصلت بك السيدة بلانك. وهي تريد أن تذكرك بموعد العشاء مع الأسرة مساء يوم الأحد، وعبَّرت عن أسفها أني لا أستطيع الحضور معك بسبب چوني».

مكثت في البيت هذا المساء، لكننا تحدثنا قليلاً، فكنت أنا مشغولا بقراءة أحد الكتب.

كرستين زوجة لا تعرف النكد، إلا أن ما حدث هو أن كلينا كان يعاني من ضغوط يومية رهيبة. أنا أعاني من ضغوط أكثر مما تعرفها، وهي

تعاني من إرهاق أكثر مما أدركه. كانت ضغوطها معلنة أمام الجميع، أما ضغوطي فكانت تظهر على السطح من خلال ظروف لا نتوقعها تماماً.

في صباح أحد الأيام تلقت زوجتي مكالمة تليفونية من سيدة سألتها «هل تعتقدين أنه من الصواب أن تعتنيا بطفل معوق وتحاولان في نفس الوقت أن تخدما كنيسة كبيرة؟»

وقبل أن تفيق كرستين من صدمة هذه الكلمات اتصلت بها سيدة أخرى قالت لها: «تعلمين أنه من السهل أن تحصلي على شخص ليهتم بابنك، لكنك تصرين علي الاهتمام به شخصيا لتحصلي علي تعاطف الآخرين من حولك، لكن لا تتوقعي مني أي تعاطف».

ثم استقبلت مكالمة بخصوصي، وكان المتكلم يصرخ في وجهها ويقول «إنه يمزق كنيستنا». وتحدث معها شخص آخر قائلاً «زوجك يجمع حوله مجموعة من المعضدين الذين يقفون في وجه أعضاء الكنيسة الذين عاشوا بأمانة طوال السنوات الماضية. لماذا لا تأخذان هذا الطفل وتتركان المدينة؟».

ذهبت كرستين إلى حجرة نومها وأغلقت الباب خلفها، وصلت أن يعطيها الله نعمة لتحب هؤلاء الذين اتصلوا بها وتكلموا معها بهذه الكلمات المهينة. ثم أسرعت إلى المطبخ وبدأت في إعداد مائدة جميلة، لعلها أجمل مائدة أعدتها خلال عام مضى.

وعندما دخلت البيت استقبلتني بالغناء بصوتها الجميل وكانت تقول (ما معناه) «بالهنا والشفا». نظرتُ إلى المائدة، وكانت مثل الموائد المعدة للملوك وسألتها «ترى عيد ميلاد من اليوم!؟».

وهنا ابتسمت كرستين، وطلبت مني أن أذهب لأغسل يديَّ وجلسنا حول المائدة لتناول العشاء. وتحدثنا سوياً وضحكنا كثيراً أثناء تناول الطعام. وبعد ذلك قامت الأم باركر بتنظيف المائدة وذهبت إلى المطبخ. وهنا بدا على ملامح وجه كرستين التوتر الشديد. فسألتها: «ما الذي حدث؟». قالت «كان هناك.. لكني أريد أن أساعدك لتتصرف التصرف السليم». ثم بدأت تقص عليَّ المكالمات التليفونية التي تلقّتها. وعادت تقول «لم أكن أدرك ما تجتاز فيه. لماذا لم تخبرني بكل هذه الأمور». قلت «ولماذا أضع حملاً ثقيلاً على كاهلك؟».

قالت «سيكون أسهل عليَّ، إن عرفت وشاركتك في كل الأمور التي تضايقك. أنت تريد أن تعرف كل شيء يختص بجوني وهو يقدّر ذلك جداً». وهنا تعانقنا. ويا له من أمر جميل!

أليس من الغريب أنه يبدو أننا كنا في حاجة أن نمرّ بكل تجارب الحياة قبل أن ندرك أهمية وضع أولويات حكيمة؟ لو أني كنت أعمل في وظيفة من الساعة الثامنة صباحاً إلى الخامسة مساءاً. كانت أمورنا ستكون أسهل. وأنا أقول دائماً للموظفين الذين يعملون معي «أنا لا أتطلع إلى شخص يبحث عن وظيفة يعمل فيها أربعين ساعة أسبوعياً، لكن إلى شخص يريد أن يعمل أربعين ساعة يومياً». إن سمحنا لعجلة

لخدمة أن تتوقف، قد يكون من الصعب علينا أن نديرها مرة أخرى.
هل هذه الأيام الطويلة في المشغولية تبعدني رويداً رويداً عن زوجتي وابني؟

وإن كانت بركة الله واضحة في خدمتي، لماذا لا أتوقع منه أن يشفي جوني حتى يمكن أن يكون هو وزوجتي جزءاً لا يتجزأ من خدمتي؟
قال لي أحدهم «لا بد أن في حياتك خطية لم تعترف بها بعد. لو كانت علاقتك بالله سليمة لأمكنك أن تطلب منه أن يشفي ابنك. ولاستجاب لك في الحال».

وكان الذين يقولون إنهم أصحاب مواهب شفاء يأتون إلى مدينتنا، وطلب مني الكثيرون أن آخذ جوني لهم. وكلما كنا نقرأ عن معجزات الرب يسوع، لا نستطيع إلا أن نفكر ونقول: كم يكون رائعاً لو أن الطبيب الأعظم يأتي إلينا ويلمس جوني ويشفيه.

أنا أؤمن أن الشفاء الإلهي حدث في حياتي، فعندما كنت طفلاً أصبت بمرض الكوليرا وحدث لي نزيف لمدة ثلاثة أيام، وأخبر الطبيب والدي أني ربما لا أعيش. لكن كان لله خطة بالنسبة لچون هجاي. منذ لحظة ولادتي كرسني والداي لله، وعندما مرضت بهذا المرض صليا بلجاجة لكي يلمسني الله لمسة شفاء. وطلبا إرادة الله، ونفّذ الله إرادته.

وأتذكر أنه في اليوم التالي لعيد الميلاد في عام ١٩٤٠، كنت أقود سيارة فورد من الموديلات القديمة ومعي أحد أصدقائي. وكنا نسير في طريق جانبي. وكان الجليد يغطي المنطقة لمدة أسابيع، لكن فجأة

أشرقت الشمس ولم يكن لنا دراية بما يمكن أن يحدث خصوصاً في الطرق المتربة، وفجأة وجدنا السيارة تترنح ولم أستطع التحكم فيها، وسقط زجاجها على رجليَّ، ولولا عناية الرب لكان سقط على صدري ولكنت مُت في الحال.

أصيب جرح غائر في رجلي بالميكروب السبحي، وكوَّن خراجاً في حجم البرتقالة، وأصبت بجلطة في رجلي تحركت في اتجاه القلب، وكان الطبيب يائساً من شفائي، وقال لوالدي «أعتقد أنه من الأفضل أن نبتر رجله».

إلا أن أبي كان رجل إيمان واثق وقال للطبيب «من فضلك أعطه فرصة أخرى». وطلب من الأصدقاء أن يشاركوه في الصلاة.

وبعد عدة أيام رآني الطبيب وكان ملحداً وقال لأبي «لا أستطيع أن أفسر ما حدث. والتفسير الوحيد هو كما قلتَ أنت. إن قوة خارج نطاق البشر قد تدخَّلت».

فأنا أؤمن بالشفاء الإلهي، لكن لا أؤمن أن المرض دائماً يكون نتيجة شر الإنسان، فالمرض يحوي بين طياته بعض بصمات القوى الشريرة، إلا أن الطفل الذي يولد معوقاً لا يمكن أن يكون مسئولاً عمّا ألمَّ به.

أنا أؤمن أن الله يشفي بخمس طرق.

أولاً: هو يشفي باستخدام الطب الحديث «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ

تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يعقوب ١ :١٧). وهناك تطور مستمر في الطب، فيكتشف الباحثون ما أمدنا به الله، فالمواد الموجودة في قرص الأسبرين كانت موجودة من قبل، لكن العلماء صنعوا منها دواءً. وإن كان الأسبرين يشفي من الصداع فينبغي أن نستخدمه. وأعطانا الله الأسنان لنمضغ بها الطعام، لذلك نحن نستخدمها في المضغ، وأعطانا العيون لنرى بها، فنستخدمها لنتجنب حوادث الطريق!

ينبغي أن نستخدم الدواء عند الحاجة إليه. لكن علينا أن نفهم أن صلاة الإيمان هي التي تشفي. ويطلب منا الكتاب أن ندهن المرضى بالزيت (يعقوب ٥ :١٤). وفي القرن المسيحي الأول كان الزيت يُستخدم كدواء، فالرجل الذي وقع بين اللصوص وأنقذه السامري الصالح، صبَّ على جرحه خمراً وزيتاً، كانا يمثلان العنصرين الرئيسيين في العلاج في ذلك الوقت.

ثانياً: أنا أؤمن أن الله يشفي من خلال أدوات الطبيب (كان لوقا أحد كتاب الوحي الإلهي طبيباً). وزوَّد الله الأطباء بحكمة ليعالجوا المرضى. وبين الحين والآخر نسمع من يقول «لديَّ طبيب عظيم. إنه شفائي». وأنا أدرك أن العبارة ليست دقيقة، وما فعله الطبيب أنه أزال انسداداً أو تعامل مع مشكلة، لكن قوانين الله للشفاء هي التي فعلت فعلها. إنه الله الذي شفي.

ثالثاً: أؤمن أن الله يشفي بأن يزيل التوتر الذي يمكن أن يكون السبب في بعض الأمراض العضوية التي يسببها هذا التوتر، ومن المسلمات

الطبية أن هناك بعض الأمراض التي لها علاقة بالتوتر مثل ضغط الدم المرتفع، قرح المعدة والإثني عشر، الصداع، وأمراض أخرى كثيرة. وعندما ينمو الشخص في معرفة الرب ويتعلم أن يفرح بالرب، عندئذٍ سينال الشفاء، لأنه سيتخلص من التوتر الذي سبَّب له الأمراض.

رابعاً: أؤمن أن الله يشفي بالتدخل المباشر، كما حدث معي مرتين من قبل. عندما كنت طفلاً أنقذني من الكوليرا، وعندما كنت في السادسة عشرة أنقذني من حادث سيارة. وفي الحالتين، أنا أؤمن أن غرض الله بالنسبة لي هو أن أشفى. وقد شفاني مباشرة إذ تدخَّل بسلطانه وبقوته.

أخيراً: الله يشفي من خلال القيامة. وهذا هو الشفاء الدائم. فكلنا سنموت في يوم من الأيام (إلا إذا كنا على الأرض وقت مجيء الرب يسوع ثانية). في هذا اليوم سيتغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١). هناك لن يكون مرض ولا ألم ولا موت.

إن المأساة التي أراها أن ينشغل الناس بأجسادهم لا بنفوسهم، فالجسد سيذهب في النهاية من حيث أتى إلى التراب (إلا إذا جاء الرب يسوع ثانية قبل الموت) لكن النفس لن تموت.

وفي كثير من الأحيان يتمجد الله في المرض. ولو لم يكن المرنم العظيم «فاني كروسبي» أعمى، ما كانت ستكون لدينا هذه الترانيم الجميلة التي كتبها والتي يزيد عددها على الثمانية آلاف.

قال الرسول بولس «وَأَمَّا تُرُوفِيمُسُ فَتَرَكْتُهُ فِي مِيلِيتُسَ مَرِيضاً» (٢تيموثاوس ٤: ٢٠). فالاعتقاد بأن ضعف الإيمان سبب في عدم

الشفاء لا يتفق مع كلمة الله. ماذا عن المولود أعمى المذكور في يوحنا ٩؟ ماذا عن الرسول بولس الذي كان يعاني من ضعف البصر فكتب للغلاطيين «اُنْظُرُوا، مَا أَكْبَرَ الأَحْرُفَ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي!» (غلاطية ٦: ١١). وكان تيموثاوس يعاني من أسقام في المعدة فقال له الرسول «اسْتَعْمِلْ خَمْراً قَلِيلاً مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ» (١تيموثاوس ٥: ٢٣)

هؤلاء الذين يؤمنون أن المرض دائماً ينتج عن الخطية أو ضعف الإيمان، لماذا يستخدمون أسناناً صناعية؟ لماذا يُصابون بالصلع؟ ولماذا في النهاية يموتون؟ «وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ» (مت ١٠: ٢٨).

أنا أؤمن بالشفاء، لكن ما أتحفظ عليه هو ما نسمعه من «أصحاب مواهب الشفاء» الذين يقولون بسلطان «نحن نأمر بالشفاء». وأنا أرى في هذه العبارة تحدياً للقدير. لماذا لا نستعير كلمات السيد ونقول في مثل هذه المواقف «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لوقا ٢٢: ٤٢)..

إن كانت الصلاة بلجاجة الصاعدة بثقة من أولاد الله المتواضعين يمكن أن تُحدث معجزات، فبلا شك كان چوني سيقوم، وكنا سنراه الآن شاباً وسيماً مملوءاً حيوية في أواخر العشرينات من عمره. والكتاب المقدس يسمح لنا أن نصلي من أجل شفاء المرضى، لكنه يدعونا أكثر لنصلي

لأجل الغِنى الروحي وامتداد الخدمة. وهذه الأمور أهم بكثير من الصحة الجسدية التي كان يمكن أن يتمتع بها چوني. وكانت أمه الجميلة، التي تتمتع بحساسية خاصة تجاه إرادة الله، وطاعة كاملة لروحه القدوس، هي التي ستقوده إلى نبع الغنى الروحي.

الفصل التاسع

يحمل هذا الكتاب في طياته خبرات مؤلمة من جهة أمور كثيرة، لكن إذا نظرتُ إلى الوراء أستطيع أن أرى الذكريات المؤلمة قليلة بالمقارنة مع الذكريات المفرحة الكثيرة. والذي دفعني لكتابة هذا الكتاب هو أن أساعد وأشجع. أريد أن يقع هذا الكتاب في أيدي آباء يجتازون ظروفاً مثل ظروفنا. ولمن لم يجتازوا في مثل ظروفنا أرجو أن اختبار كرستين واختباري يساعدهم ويهيئهم ليكونوا مستعدين لمواجهة أي مشاكل صعبة قد يتعرضون لها. وأريد أن أوضح أن الله يستطيع أن يستخدم أي شخص مهما كانت معوّقاته، فقط إن كان على استعداد لذلك.

وكما كتبت في المقدمة، إني أريد أن يكون هذا الكتاب هدية لزوجتي كرستين. ومثلها مثل كثيرين من الناس لا تقبل أن يمدحها أحد على ما تستحقه. أقولها بكل صدق: إني لم أرَ في حياتي شخصاً ينكر ذاته مثل كرستين. إنها شخصية عظيمة، جذابة، مشرقة، غاية في الذكاء.

قالت لي مرة «لديك فرص كثيرة للنمو، لكن ليس لديَّ مثلها». وأجاب الرب عليها، ففي أول كنيسة كنت أرعاها، قرر مجلس الكنيسة أن يزيد مرتبي، وأتى رئيس المجلس وقال لي «إننا نشعر أن زوجتك ينبغي أن تأخذ جزءاً من راتبك لأنها امرأة رائعة، وهي تقوم بخدمة عظيمة مثل خدمة الراعي».

كرستين امرأة فاضلة لم تركز يوماً على ذاتها، ولا بحثت عن راحتها الشخصية، ولا عن كيانها الأدبي، فقد أعطت نفسها لاحتياجات ابنها. هذه هي كرستين في علاقتها بچوني. وحتى يومنا هذا، لم تدرك المعاني الهامة الجميلة للخدمة التي قدَّمَتْها له، ولا تعرف مدى تأثير حياتها الآن، عندما يرى الناس رد فعلها تجاه موته.

ومثلها مثل كل الفتيات في عمرها، كانت تتوقع طفلاً طبيعياً، ليس فيه كل ما حدث. «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨). لقد كُتبت كلمات هذا الوعد بحروف تحمل في طياتها المحبة النابعة من قلب الله، وما أجمل عبارة «هكذا قال الرب» إنها عبارة تجعلنا نلقي كل احتياجاتنا وكل كبيرة وصغيرة في حياتنا عليه، لأننا نثق في إرادته الصالحة لنا.

كانت كرستين وأنا مقتنعين تماماً أن چوني أتى إلينا من إرادة الله وسلطانه المحب، فعاش چوني حياة ذات معنى، وكان البُعد الإنساني فيه كان أكبر بكثير مما يتخيله أغلب الناس.

فمثلا هناك بنت أتت إلى عالمنا بملامح دميمة، وولد لم ينْمُ أكثر من ستين بوصة، نحيف ووجهه شاحب. وجاءت بنت أخرى كانت تعاني من الشفة الأرنبية، وجاء شاب عندما يتحدث في التليفون يظنون أنه فتاة. وقد ننظر إلى كل هؤلاء نظرة دونية وكأنهم أشباح بشرية.

لكن ماذا عن الوسيم الشهواني، الذي يقضي كل عمره في شهواته؟ وماذا عن الجميل الذي يعيش حياة متكلفة أو مفعمة بالكبرياء ومستقبل بلا معنى؟... نعم، فالجمال هنا هو الجمال الخارجي. أليس كذلك؟ هناك أناس يرون قُبحاً في بعض الأمور الجميلة، وذلك عن جهل. وهكذا يري بعض الناس أموراً جميلة أنها قبيحة بسبب عدم فهمهم لمعني الجمال الحقيقي.

كان چوني يتمتع بجمال متألق وعميق، وإن كانت هذه الكلمات تجعلك تبحث عن نقاط الجمال في الأشخاص الأقل حظاً، فعندئذٍ سأشعر أن هذا الكتاب أثمر ثمراً وفيراً.

كان چوني أكبر من أن يكون شخصاً جديراً بالشفقة. وفي الواقع كان أكثر من مجرد شخص جميل . لقد أصبح شخصاً ذا هدف واضح ولديه دور يجب أن يتممه، ومصير عليه أن يدركه.

ولم تكن العناية به أمراً هينا، فآلاف الكتب إن كتبت لا تعبر عن مدى تقديري لزوجتي، على سنوات الصبر وإنكار الذات التي قضتها في خدمة ابننا.

كنت أسأل زوجتي، حتى بعد وجود الأم باركر معنا «ألا يمكن أن نستعين بشخص آخر ليساعدنا؟». فكانت تجيب «من هو الشخص الذي يمتلك الصبر الكثير؟ فأي شخص سيهتم بچوني، ينبغي أن أدربه، ومن الممكن أن أدربه عدة أسابيع، لكن إن لم يكن هذا الشخص ذا مواصفات خاصة، فلا أظن أنه سيستمر أكثر من أسبوعين، لأنه

سيرى أن العمل أكبر بكثير من احتماله. أنا أحب چوني من كل قلبي، ولا أتصوَّر أن هناك شخصاً سيهتم به إن لم يكن يحبه بعمق».

لقد أحبته الأم باركر من كل قلبها، وأتذكر هنا أمراً حدث بينها وبين چوني قبل أن تأتي الأم باركر لتعيش معنا بصفة مستمرة.

كان چوني قد تخطى السنتين من عمره، وكان عليَّ أن أذهب في رحلة كرازية في ولاية فلوريدا. وطلبت من كرستين بإلحاح أن تأتي معي، فترددت في ترك چوني، لكنها كانت تحتاج أن تخرج خارج البيت لمدة أيام قليلة. وهنا جاء دور الأم باركر التي قالت لكرستين «لا تقلقي. سأتعايش أنا وچوني تماماً». ثم أتت قبل سفرنا بعدة أيام لتتعود على طريقة خدمة چوني.

وحدث تآلف بين الأم باركر وچوني بسلاسة، حتى بدأت تقدم له طعام الإفطار، وأخطأت بأنها بدأت تعمل أصواتاً (طقطقة) بطاقم أسنانها، وهذا لفت انتباه چوني كثيراً، الأمر الذي جعله يرفض أن يتناول الطعام. وعندما حاولت الأم باركر أن تضع الطعام بالقرب من فمه كان يحوّل رأسه بعيدا فكانت أسنانه تظهر.

كانت حماتي شخصية راقية متزنة، لكنها في ذات الوقت كانت مرحة جذابة، نظرت إلى حفيدها، وابتسمت له بخفة، وبدأت تحرك طاقم أسنانها بهدوء داخل فمها، وهنا بدت علامات السعادة على وجه چوني وطالبها بأن تكرر الحركة مرة ومرات. وفي النهاية ساد روح المرح وملأ المكان. وكانت الأم باركر تقوم بهذا العمل المدهش الذي قد

يصيب چوني بلحظات من الصمت، فكانت تنزع طاقم أسنانها من فمها فيضحك چوني، وهكذا تحوّل وقت الطعام إلى مجموعة من الحركات المرحة التي تضفي السعادة على چوني.

وبفضل الأم باركر، استطعت أنا وكرستين أن نقضي وقتاً ممتعاً في فلوريدا. فكثير من الناس أتوا ليحضروا الخدمات الكرازية، وقبل كثيرون منهم المسيح مخلصاً شخصياً لهم. وقدَّمت المشورة لكثيرين، ومع هذا قضينا وقتاً ممتعاً أنا وكرستين لم يكن من الممكن أن نقضيه في بيتنا. وكان لديَّ وقت للتفكير بعمق. وكان أمراً طيباً النسبة لي أن أكون في العمل الكرازي بعيداً عن العمل الرعوي في كنيستي، وبدأت أسترجع في ذاكرتي نصيحة أحد أصدقائي، وفوق هذا كله كنت أفكر في كرستين، والعبء الثقيل الذي سيقع على كاهلها عندما أذهب كثيراً في رحلات كرازية، حتى لو كانت لأيام قليلة.

عدنا إلى منزلنا، وبدأت أنغمس في عملي في الكنيسة، وبدأ چوني يكبر ويصير أكثر وعياً، وكان يستنفد كل جهد كرستين.

وفي عام ١٩٥٦ عندما كان ابننا في الخامسة من عمره، أدركت أن دعوة الله لي للعمل الكرازي لا تحتمل التجاهل أو التسويف. وكانت كرستين تشعر أن هناك أمراً ما يجول بخاطري فسألتني «هل هناك مشاكل كثيرة في الكنيسة؟». ابتسمتُ ابتسامة عاقلة، وكنتُ أود أن أجيب، لكني لم أعرف ماذا أقول. وذهبت لتضع چوني في السرير، ثم عادت بعد بضعة دقائق، فقلت لها «كرستين، أنا أحبك ولا يمكن أن

تسعفني الكلمات لأعبر لك عن تقديري لما تفعلينه». ثم صمتُّ. ثم قلت لها «أنت تدركين مدى صعوبة الأمر بالنسبة لي كراعٍ، فالكنيسة تنمو وتحتاج إلىَ جهد أكبر». فأسرعت تقول «قُل لي ما الذي يدور في ذهنك. أخبرني». فقلت لها «أنا أدرك أني لا أقدم لك عوناً كثيراً بالنسبة لچوني». فقالت «باستثناء سعادته ونسيانه لكل شيء في اللحظة التي يسمع فيها وطأ أقدامك». قلت لها «أشكرك. كان من السهل أن تجعليه لا يهتم بي، لكنك دائماً أبداً كنت تضعينني في قلبه وتزرعينني في عقله، بل تجعلينه يهتم بعملي». ثم عدت للصمت مرة أخرى، وكانت كرستين تنتظر إجابتي على سؤالها. وقلت لها «أظن أن موهبتي ليست في الرعاية لكن في الكرازة».

قالت لي «إن كنت تشعر أن الله يريدك أن تكون كارزاً، فعليك أن تفعل هذا».

«وأتركك وحدك مع چوني؟»

أنا أستمتع كثيراً معه حتى ونحن وحدنا، فإن التزاماتك الرعوية في الكنيسة الآن تستلزم منك أن تخرج في الصباح الباكر وتعود في ساعة متأخرة من الليل، ونحن لا نستمتع بك. لكن في العمل الكرازي على الأقل في الأوقات التي ستأتي فيها إلى البيت، سيكون بمقدورك أن تعطينا اهتماماً أكثر».

وكانت الأم باركر قد حضرت في العام السابق لتقيم معنا بصفة دائمة، وبدأ المنتقدون يتهامسون «الآن يتطلب الأمر سيدتين ليضحيا

بحياتيهما، فالطفل أصبح الآن عبئاً، وعندما يكبر ستزيد الأعباء. وإن كان لدى عائلة هجاي إحساس ولو أقل من الذي لدى ابنهم، لكانوا أودعوه مصحَّة».

ولا يستطيع أحد أن يتخيل مدى القسوة التي عانيناها من بعض الناس. ومن الجانب الآخر نحن نعترف أننا فشلنا في التواصل معهم. لعله كان ينبغي أن ندعوهم إلي بيتنا ليعرفوا من هو چوني، كما نعرفه نحن ونحبه.

كانت كرستين تتذكر اليوم الذي سبق يوم تقديم استقالتي من الكنيسة، فقد حضرت إحدى السيدات لمنزلنا لتقضي مهمة خاصة بشعب الكنيسة، وكان چوني قد استيقظ لتوّه من غفوة طويلة. وفجأة وبلا مقدمات صدر منه صوت مثل صوت أزيز الباب، وهو أقرب للصوت الذي يصدر من طفل طبيعي، فتنهدت السيدة بصوت عالٍ وقالت «يا إلهي!» وخرجت مسرعة من البيت.

كانت تصدر من چوني أحياناً أمورٌ تنفّر زائرينا. إلا أنه لم يكن شاذاً. وعليك أن تعرف چوني معرفة كافية لتستطيع أن تكتشف أن وراء سجنه الجسدي روحاً متوهجة متدفقة.

وفي معهد فيلادلفيا لتنمية القدرات البشرية أكد الدكتور جلين دومان (المتخصص في أمراض الشلل الدماغي) على قناعتنا بأن يكون چوني معنا في البيت، وقال «الأطفال الذين يعانون كما يعاني ابنكم تكون حالتهم الذهنية والعاطفية أفضل بكثير إذا تربوا في المنزل عنها إذا

ذهبوا إلى المصحات. وفوق كل هذا لا توجد مصحات تستطيع أن تعطي الطفل العناية التي ينالها في البيت». أنا شخصياً لم أكن أتوقع أن چوني سوف يعيش في المصحة، لأنه إن لم يتمتع بدفء وسعادة وبهجة البيت، سيستسلم للأسى والكآبة.

وقال طبيب آخر لكرستين «إن كنت تشعرين أنك محرومة لأنك عاجزة عن الخروج في بعض الأمسيات بسبب ابنك، فذكّري نفسك أنك ما كنتِ ستشعرين بالحرمان، إذا كان ابنك طبيعياً وأصيب بأحد أمراض الطفولة. فبالنسبة لچوني كان الأمر سيطول، لكنها ذات القصة. ولهذا السبب فشعورك وموقفك أمران في غاية الأهمية، سواء بالنسبة له أو بالنسبة لك». وأمام هذا الأمر كانت كرستين رائعة، وأنا أتساءل: كم من السيدات استطعن أن يتحملن كل هذه السنوات من التعب كما تحملت هي؟

استمرت كرستين تستشير الأطباء بصفة مستمرة، لكن عنايتها بچوني لفترة طويلة أكسبتها خبرة تضاهي خبرة الأطباء، ففي أكثر من مرة، كان الأطباء يسألونها عن نوع الدواء التي تستحسنه لأنها كانت تعرف مدى تفاعل چوني مع مختلف الأدوية.

وكلما كان چوني يكبر، لم يعد الأمر بالنسبة لنا مجرد قبوله كأمر واقع، لكن بدأنا ندرك أن الله أعطانا طفلاً غير عادي، وغالباً ما نسمي الأطفال المعوقين أطفالاً «غير عاديين» لنقلل من العبء النفسي الذي

يقع على الوالدين، إلا أن چوني لم يكن غير عادي بهذا المفهوم، لكن الله أرسله لنا بهدف.

استقلتُ من رعاية الكنيسة وبدأتُ خدمتي الكرازية، وباستطاعتي أن أكتب كتباً عن اختباراتي فيما فعله الله. ويرجع الفضل إلى الله أولاً، وإلى كرستين وإلى چوني في تحقيق هذه الاختبارات العظيمة. وما كان يؤثر فيَّ بشدة هو محبته الكبيرة لي واهتمامه بعملي الكرازي، مما جعله عزيزاً وقريباً جداً مني.

قالت لي كرستين «إنه يريد أن تخبره بما حدث في الاجتماع».

وبدأت أخبره وأنا متردد بعض الشيء، لكن عندما رأيت مدى إصغائه لما أقوله، بالرغم من صغر سنه، وجدت نفسي أشاركه بالتفاصيل. وكلما كبر زاد اهتمامه وحماسه، فقد كان له فكر متقد، وأتعجب كيف كان يستطيع أن يستوعب هذا الكلام الذي أتحدث به إليه في جو من ظلمة المعاناة والألم غير المتناهي. هذا ما لم أستطع أن أفهمه.

وبينما كان ينمو كالشجرة اللينة التي تنحني أمام العاصفة، كانت معاناته مع الألم تزيد، كان متشبثاً جداً بالحياة. وكانت كرستين والأم باركر تعلمانه كيف يعيش من يوم إلى يوم بل ومن ساعة إلى ساعة في بعض الأحيان، فابننا عاش لأن هاتين السيدتين ساعدتا جسده ليقوم بوظائفه.

يتعلم أغلب الأطفال من تقليدهم للكبار، لكن چوني لم يكن يستطيع أن يقلدنا. وكل شيء كان يعمله كان يجب أن يتوافق مع حالة جسده، فمثلاً

استطاعت كرستين أن تعلمه مضغ الطعام وبلعه، بعد مجهودات جبارة من خلال التجربة. وعندما كانت أمه تعلمه شيئاً كان يعبرّ عن امتنانه لها بنظرات عينيه.

لم تكن نظرتنا له كطفل غير طبيعي، بل كطفل له احتياجات خاصة، فلم يكن تقييمنا له كما يُقيِّم الناس الأطفال المعوقين. إن أحد الأبعاد الغنية في الحياة هو أن تتعلم اكتشاف معدن الأشخاص، وشخص مثل چوني قد يعلمك مثل هذا الدرس. كان متجرداً من كل الصفات الجسدية الطبيعية، ولم يكن ممكناً أن يتواصل مع الناس بطريقة طبيعية، ولم يكن في استطاعته أن يكون في علاقة طبيعية مع كثير من الناس الذين تقابل معهم، إلا أن چوني تعلم أن يُشبع الناس من الداخل، فكنا نغض النظر عن كل إعاقته ومحدوديته، فكان هناك تواصل بين أعماقنا وأعماقه.

كنت عندما أعود من الرحلة الكرازية، أجد چوني وهو نظيف تماماً وفي انتظاري، وعندما أدخل الحجرة كان يطفر فرحاً، وبالطبع كانت تحيتي له تختلف عن تحية أب طبيعي لابن طبيعي، لكنها لم تكن أقل تعبيراً. وبالرغم من صغر سنه بدأت أتواصل معه، الأمر الذي نما مع السنوات ووصل إلى حد التفاهم المشترك. كان يستوعب كل كلمة، ويتفاعل معها بعينيه، وبجسده. وكلما كان يكبر كنت أرى فيه شخصاً حقيقياً عادياً كالأشخاص الذين أراهم. ولهذا لم يكن يغضبني أن أرى

بعض الناس عاجزين عن فهمه، فكنت أعتبرهم معوقين مثله (وربما في بعض الأحيان أكثر منه).

لم تسبّب لي حالة چوني أي إحراج، وكان أي شخص لا يقبل ابني لا يقبلني أنا أيضاً. ولا أستطيع أن أتذكر أني وُضعت في موقف المدافع عنه على الإطلاق. كان الأمر الوحيد الذي يقلقني هو أن الناس ترى فيه شخصاً أقل من حقيقته وتعامله بطريقة تحط من قدره. كان البيت (الجسد) الذي يعيش فيه چوني خرباً، لكن الساكن كان صحيحاً ورائعاً! ولهذا السبب عندما كبر، كنت أشجعه أن يذهب هو وكرستين معي إلى الرحلات الكرازية. كانت زوجتي مترددة في بادئ الأمر، إلا أن چوني كان مستعداً بل ومتلهفاً. فكانا يأتيان معي أحياناً. وكان الأمر صعباً على كرستين لأنها لا تمتلك الأدوات الخاصة بچوني التي تتركها في البيت، لكنها كانت تتصرف. وكنت في غاية السرور عندما كنت أراهما معي.

وكان كثير من الناس رائعين، ففي أوقات كثيرة عندما كان چوني يذهب معي في الرحلات الكرازية، كان الناس يصرون أن يلتفوا به، وكان چوني يستمتع بهذا، كان صادقاً في داخله وكان من السهل عليه أن يصل إلى قلوب الناس. وبالطبع كانت كرستين تدرك أن بعض الناس يتضايقون أحياناً من وجود چوني معنا، فكانت تنقل كرسيه المتحرك إلى مكان بعيد.

وكان كثيرون يتحدثون مع چوني بطريقة تدعو إلى الاشمئزاز، لكن كانت هناك استثناءات جميلة. كان محرر الأخبار پول هارڤي صديقاً حميماً لعائلتنا لسنوات كثيرة، وكان يقدم في كثير من الأحيان بعض الأخبار عن الخدمة في العالم الثالث، وكان پول صديقاً لچوني. وكان بوب بيرس مؤسس هيئة (World Vision) صديقاً لچوني وكان يقول له بطريقة مميزة «أهلاً حبيبي، أنا أعتمد عليك لتصلي من أجلي وأنا ذاهب إلى كوريا الشهر القادم». وكان چوني يستمع إلى تقارير بوب بسرور عن رحلاته عبر البحار.

وبدأت خدمة الرحلات الكرازية تنمو لدرجة أني لم أستطع أن ألبي كل الدعوات. وعندما كانت تأتي دعوة لرحلة كرازية في هونولولو (جزر هاواي) كانت كرستين توافق أن تأخذ چوني وترافقني. وكان هناك غرام خاص بين چوني وهاواي، فكان هو وأمه والأم باركر يقضون الساعات الطويلة يتنزهون ويتمشون في حدائق أحد أحياء هونولولو.

وذات ليلة أخذناه إلى أحد المطاعم التي على البلاچ، وكانت هناك مجموعة من المغنين يرحبون بالحاضرين بأغاني هاواي المعروفة، وكانت إضاءة المطعم خافتة، ولم نلاحظ أن إحدى السيدات التي كانت تجلس بالقرب منا كانت متوترة جداً، وفجأة قامت وأسرعت نحونا وتكلمت معنا كالعاصفة وقالت «أليس لديكم عقل! تحضرون هذا الطفل البائس إلى هذا المكان العام الذي فيه يريد البعض أن يهنأ بطعام جميل». ثم تركت المطعم.

شعرت بالأسى على هذه السيدة وأمثالها، فهي لا شك من الأغنياء وتتمتع بكل الامتيازات العالمية، ولعلها تتمتع بمكانة محترمة في مجتمعها الصغير. لكن ما أقل معرفتها بالحياة، وكم هي فارغة من الداخل. شعرتُ بحب وعطف عليها، وعلى كثيرين من أمثالها.

كان بعض الناس أحياناً يشعرون بالأسى تجاه ابننا ويضعون بعض النقود الفضية في جيبه، أحياناً كنا نرى قطع نقود معدنية قد تصل إلى دولار في جيب سترته. وأحياناً كانت كرستين تداعبه وتقول له «في يوم من الأيام سنضع في يدك هذا الكأس وسندعك تجلس في الشارع لتجمع النقود». وكان جوني يفرح لمثل هذه المداعبات.

كان الأطفال يهتمون به اهتماماً خاصاً، وكانوا يسألون أسئلة كثيرة عنه ويقولون «ما الذي حدث له؟ هل تعرض لحادثة».

كانت كرستين ترد بطريقة هادئة وهي تتناول هذه الأسئلة وتقول «هل تعرفون مرض شلل الأطفال؟» (ولم يكن قد ظهر التطعيم ضده بعد) «إن حالة جوني شبيهة بحالة طفل يعاني من حالة متقدمة من مرض شلل الأطفال».

ولم تتعثر أبداً في الإجابة على أي سؤال. وإن سألها شخص غريب كانت تقول له قصة جوني، وكم من المرات كانت تجعل من هذا الحديث باباً للشهادة، وأحياناً يكون جوني مُتعَباً ومُحبَطاً، لكن عندما كان يسمع أمه تتحدث عنه كان يهدأ، فيبدو أنه كان يستمتع بسماع قصته.

إن الشهادة معناها أن تكون أداة في يد الروح القدس، وإن كنا نخضع، وإن كنا نريد أن يكون الرب يسوع هو الأول في حياتنا، فسيفتح أمامنا الروح القدس أبواباً للشهادة. وكان هذا هو الوضع مع كرستين.

ذات يوم جاء موظف إدارة الكهرباء ليقرأ عداد الكهرباء، وقدمت له كرستين التحية وسمحت له بالدخول، ثم قالت له «يا له من يوم جميل!» فردَّ بنوع من التذمر «هذا يتوقف على نظرتك له» فأجابت زوجتي «يقول الكتاب المقدس: هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ».

وقف قارئ العداد ونظر إلى أوراقه وقال بصوت حاد «أنت زوجة راع، تسكنين في بيت بالمجان، وربما أعطوا زوجك سيارة، ويدفعون له ثمن الوقود، وأناس مثلكم لا يعرفون معنى المعاناة في الحياة».

ابتسمت كرستين وأشارت إلى العداد لكي يقرأه. وعندما انتهى من عمله، واتجه نحو الباب ليخرج، اعترضته كرستين وقالت له «هل لديك مانع أن تصعد معي إلى الغرفة الأخرى لدقيقة واحدة؟ أريدك أن تتقابل مع ابننا». فذهب معها على مضض.

كان چوني في تلك الحجرة ممدداً على سريره الخاص، واتسعت عيناه السوداوتان تحية لهذا الرجل، وكانت هناك ابتسامة عريضة على شفتيه.

قالت كرستين «چوني، هذا قارئ عداد الكهرباء. وأنت أيها الشاب أريدك أن تقابل چوني».

في ذلك المساء، ذهب قارئ العدادات إلى مدينة جورج تاون بولاية كنتاكي، وبينما كان يزور أحد أصدقائه، حدَّثه عن لقائه مع چوني، وكيف ترك تأثيراً قوياً على حياته الروحية. وكان هذا الصديق يعيش بجوار زوجين لهما ابنة مصابة بنوع من الشلل، وكانا يعيشان في مرارة شديدة بسبب ابنتهما. وبعد أن انتهت زيارة قارئ العدادات، ذهب هذا الصديق إلى جاره وقصَّ عليه قصة كرستين وما حدث بينها وبين قارئ العدادات، ورحابة صدرها، ولقاء قارئ العدادات مع چوني. فانبهر والدا البنت المريضة بما سمعاه، وذهبا إلى كنيسة محلية قريبة منهما في ذلك المساء، وقبلا الرب يسوع مخلصاً شخصياً، وأصبحا عضوين مكرسين في الكنيسة.

وفي مرة أخرى، رن جرس التليفون وكانت هناك سيدة تقول إنها علمت أننا اشترينا ثلاجة وهي تنوي أن تشتري ثلاجة مثلها. ثم سألت «هل يمكن أن آتي لأراها؟». ورحبت بها كرستين من كل قلبها. وعندما أتت هذه السيدة كانت كرستين تطعم چوني، فقالت لها إنها مُلزمة أن تستمر في إطعامه، وطلبت منها أن تأخذ حريتها كاملة في أن تفحص الثلاجة وهي على استعداد لإجابة أسئلتها. ولم تكن تلك السيدة تعرف حالة چوني، وأرادت أن تعرف قصته، ونسيت تقريباً الهدف الذي من أجله قد حضرت.

قالت لها كرستين «هل يمكن أن أقدم لك فنجاناً من القهوة؟» قالت السيدة «لا داعي لتزعجي نفسك». قالت «لن يكون هناك إزعاج». وأحضرت فنجان القهوة.

ثم سألت السيدة «كيف تتعاملين معه؟»

طبعت كرستين قبلة غالية على وجهه وقالت «إنه حبيبي الغالي».

وكان چوني يعاني في ذلك الوقت من بعض أمراض جهازه الهضمي المزمنة، عندما أسرعت كرستين لتقدم له بعض المهدئات.

وقالت الضيفة «لعله يستنزف ساعات طويلة من يومك».

قالت لها كرستين «يسمح الله بأمور لأهداف في حياتنا. إن كنتُ أمينة فسيباركني الله من أجل أمانتي، وإن رفضت ما يسمح لي به الله فأنا الخاسرة».

واستأذنت كرستين للحظات لتساعد چوني. وفجأة أخذت الضيفة تبكي، فسألتها عن سبب بكائها، فقالت «مات زوجي منذ ستة شهور بنوبة قلبية، وكنت ألوم الله لأنه أخذ زوجي مني».

وأعطى الله كرستين أن تشارك بعمق من واقع الاختبار ومن كلمة الله ما تعلمتُه عن الثقة في الله وقبول إرادته. وساعد هذا الاختبار الضيفة غير المتوقَّعة أن تقبل المسيح في حياتها، وتصبح شاهدة أمينة له.

الفصل العاشر

من أعظم الدروس التي تعلمتها في حياتي أن الله لا يسمح باحتياج إلا ويملأه بغنى. قال أحدهم «إن إلحاحنا يصبح فرصة لله». وهناك وعود صريحة بذلك في كلمة الله، مثل «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٤: ١٩). قال بولس هذا بعد أن تكلم عن كيف مجَّد أهل فيلبي الله بأمانتهم في الوكالة. فنحن أمام طريق من اتجاهين: الاتجاه الأول أن نأخذ من الله، لكن الاتجاه الثاني هو رد فعلنا إذ نقدم له ذواتنا وما نملك.

بالتأكيد كانت أم كرستين عطية الله الثمينة لأسرتنا. لقد عاشت معنا وكان صوتها يضفي الفرحة والبهجة على بيتنا كل صباح. كانت بارعة، واسعة الحيلة، تتمتع بذكاء خارق. من اليوم الأول ببصيرتها وفهمها، أثبتت أنه يمكن الاعتماد عليها. فكانت تحوّل اليوم الكئيب إلى يوم مشرق، وتعطي لمسات الدفء والعون عندما تكون الأمور صعبة. وبلا شك سيعد الله مكاناً في السماء لكل أم اعتنت بأسرتها، وأخذت على عاتقها أن تتحمل مسئوليات الآخرين. فالانتقال إلي بيتنا، والمشاركة في الاهتمام بجوني يساوي الاهتمام بأطفال كثيرين. فلم يكن العمل المطلوب أن توقظ جوني في الصباح، ثم تساعده في ارتداء ملابسه، ثم ترسله إلى المدرسة، أو أن تعطيه «ساندويتشاً» وزجاجة

لبن وترسله ليلعب. لكن كان عليها أن تلاحظه باستمرار، ففي أوقات كثيرة كان يمكن أن يختنق ويموت ما لم يكن أحد بجواره.

وفي السنوات الأولي كانت الأم باركر تهتم بچوني، فكانت تطعمه، وتحممه، وتلبسه، وتلاعبه بين الوجبات. ولأنه كان يعاني من مشاكل مزمنة تتعلق بهضم الطعام، لم يمرّ يوماً في حياته لم يتقيأ، إذ لم يكن باستطاعته أن يحتفظ في معدته بكل الطعام الذي أكله. وكثيراً ما كان يتقيأ كل الطعام. كان يتعايش مع هذه المشكلة، لكنه لم يكن يتقبلها. وعندما كان هذا يحدث، كانت تظهر على عينيه علامات اليأس والمرارة. وعندما كان يتقيأ كانت الأم باركر تهدئه وتقول له «لا تهتم ولا تقلق. سأعتني بكل هذه الأمور».

كانت تخلع ملابسه المتسخة، وتنظفه، وتنظف فراشه، وتطمئنه وتحول أنظاره إلى أمور أخرى وتداعبه. ولكي تجعله لا يشعر بالإحباط، كانت تحضر له ملابس جميلة مشرقة وتلبسها له، وبعد ذلك تساعده لكي ينهي طعامه كما لو لم يكن قد حدث شيء غريب.

كثيراً ما كنت أقول لها «لا نستطيع أن نعبر عن مدى تقديرنا لمساعدتك لنا، فهي تعني الكثير». فتردّ «أنا أحب چوني». وكانت تعني ما تقول، وكان چوني أيضاً يحبها.

إن طبيعة احتياجات ابننا، فرضت علينا جميعاً نوعاً خاصاً من المشاركة في طريقة تعاملنا مع چوني طوال اليوم، وكان هناك نوع من التفاعل الدائم بيننا. وهذا الأسلوب كان يمكن أن يسبّب لنا نوعاً من

التوتر، إلا أن هذا لم يحدث، ويرجع الفضل في هذا أساساً إلى الأم باركر.

ولا عجب إن كان چوني مولعاً بها. فالأم باركر لها جاذبية خاصة، فسواء كانت في الكنيسة، أو تتمشى في النادي، أو تحضر مناسبة اجتماعية، كان الأطفال يلتفون حولها. وكان قائد لجنة التربية في كنيستنا بأتلانتا يدعوها «محبوبة كبار السن». وكانت تجمع أحفادها من حولها وتضفي عليهم روح المرح التلقائي.

إنها الأم باركر التي علمت چوني الكتابة على الآلة الكاتبة، فكانت بكل رفق تمسك بيده الصغيرة وتختار أصبع السبابة، وتريه كيف يضغط على مفاتيح الحروف، ولمدة ساعة كانت تجلس معه وهو يحاول أن يكتب بالآلة، وكانت تشجعه وتقول له «اكتب حرفاً إلى جدتك». فكان يكتب بصعوبة.

ومنذ صغره، كان لديه حب استطلاع واسع، فكل صوت غريب يلفت نظره، فيظل مشدوداً له إلى أن يعرف مصدره، وكان يستطيع أن يدرك أي شيء جديد في حجرته، مثل زهرية ورد، أو صورة جميلة، أو ملابس جديدة.

وكانت الأم باركر تبتهج عندما تأتي وتُلبسه أرقى أنواع الملابس، وكانت سعادتها غامرة عندما تحمله وتضعه أمام المرآة وتقول له «حسناً. الآن أنت أكثر أطفال هذه المدينة أناقة». فكان ينفجر ضاحكاً.

كان لدينا مدفأة تسبب إزعاجاً، وبدأ چوني يتنبه لهذا الأمر كلما بدأنا

في تشغيلها وكلما أوقفناها. وقالت له الأم باركر «إنها المدفأة التي في البدروم، وهي لازمة لتدفئتنا». وليتها ما ذكرت هذا الموضوع لأن جوني لا يقتنع بمجرد سماع الكلمات، لكنه كان يطلب أن يرى بعينيه، وفوراً! لذا كان يريد أن يري تلك المدفأة، فأنهضته الأم باركر من على كرسيه وحملته بالرغم من أن وزنه كان قد بدأ في الازدياد، ونزلت به على السلم إلى البدروم.

ولم يكن جوني قد ذهب إلى مكان غريب ومظلم من قبل، ولم تكن عيناه قد رأتا هذا الشيء الضخم (المدفأة). فبدأ يُصدر أصواتاً من جوفه. وفي بادئ الأمر ظنت الأم باركر أنه يضحك على ما رآه، لكنها سرعان ما تنبهت إلى أنه لا يضحك، فهو يتلوى ويترنح ويحاول أن يتجه بجسده في اتجاه السلم. لم يشعر بالراحة في الأماكن المظلمة والغريبة، لذلك استلزم الأمر وقتا طويلا قبل أن يستطيع أن يجازف ويبحث مرة أخرى عن المجهول.

أحب وأقدر والديَّ، وسأتكلم عنهما بالتفصيل فيما بعد. لكني لا أشعر بالذنب عندما أقارن حماتي بأمي. فالأم باركر كانت فريدة من نوعها. فأنا لا أقبلها فحسب، لكني أعتز بها جداً، وقد أصبح لها مكانة خاصة وثابتة في عائلتنا، تماماً كما لو كانت عضواً أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في أسرتنا. وانطباعاتها السلبية عني عندما رأت صورتي مع ابنتها في مجلة أخبار الطلبة السنوية لكلية لاهوت مودي، كانت بداية

لدفء شديد في علاقتنا، ولم تذكر لي هذه القصة من بعيد ولا من قريب. لكني أحب أن أذكر أنها اعتبرتني واعظها المفضل.

كانت تحب كتابها المقدس، وكنا بين الحين والآخر نتناقش في بعض المواضيع الكتابية، وكانت مغرمة بالأمور التي يبدو فيها تناقض. فذات يوم سألتني عن معنى قول المسيح في لوقا ١١: ٤٤ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ» وهم طبقة السياسيين في أيامهم. وكانت مغرمة بالسياسة وعضواً ملتزمة في الحزب الجمهوري، وتأثرت جداً بفضيحة ووترجيت، لأنها كانت تثق جداً في كل الجمهوريين ولا تثق إطلاقاً في الديمقراطيين.

كانت تحب كرة البيسبول، ولم يكن لدي «هانك إرون» عندما كان يمثل أتلانتا في اللعب مشجِّع مخلص مثلها، وكانت تحب فريقها بجنون، لدرجة أنه لو كان يلعب ثم انهزم كانت تغلق التليفزيون ولا تكمل مشاهدة المباراة مهما كانت المباراة مثيرة.

كانت شخصية مملوءة نعمة وجذابة، كنت أتمنى أن تقف بجانب كل شخص يشعر بالوحدة في مدينتنا، لتخبره عن جمال الحياة، وكيف يجعل حياته سعيدة وكيف يحوِّلها إلى حياة ذات قيمة.

وعندما يكون الحمل ثقيلاً، وعندما يمر چوني بأوقات عصيبة، كانت الأم باركر تستمد طاقتها من اعتمادها على الرب. كانت امرأة متزنة روحياً لا تعيش في تزمت ناموسي أو في فورات عاطفية.

وكلانا ننتمي إلى الكنيسة المعمدانية الجنوبية، وهي متَّهمة بأنها تتوقع

مكاناً مخصصاً لأعضائها وحدهم في السماء (لكن بكل أمانة وحيادية أقول إن المعمدانيين الجنوبيين انفتحوا أكثر وأكثر على كل الطوائف الإنجيلية في هذه الأيام). وحماتي كانت أولاً مؤمنة، وثانياً عضواً في الطائفة.

لكن بالإضافة إلى ذلك، كان لها فضيلة أخرى، فكانت إنسانة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، ومن هذا المنطلق كانت تهتم بچوني. كانت سيدة متوازنة، تعرف الكم الذي تداعب به الطفل، وتعرف كيف تستطيع أن توبخه.

لم تكن الأم باركر من النوع الذي يرضخ لطلبات الأطفال، ومع مرور الوقت زاد تصميم كرستين على تربية ابنها كشخص طبيعي، فكان لزاماً عليها في بعض الأحيان أن تؤدبه كسائر الأطفال لتعزز فيه مبادئ أخلاقية سليمة. وكانت كرستين تؤمن أن التأديب، إن كان بالقدر المناسب وبحكمة، هو أفضل تعبير عن محبة الوالدين، والتأديب الحكيم يعطي الطفل إحساساً بالأمان وبالقيمة، الأمور التي تجعله يحيا الحياة المتزنة، وكانت الأم باركر مقتنعة تماماً بكل هذا.

الأجداد يمكن أن يفسدوا أحفادهم، إذ يقدمون لهم ما لا يسمح به آباؤهم. ولم تكن حماتي من هذا النوع. وقد تختلف مع ابنتها أحياناً لكنها لم تخالفها.

وكلما كبر چوني أصبحت شخصيته أجمل. كنا نحبه لشخصيته الجميلة. لكن كان ذا إرادة حديدية، حتى أن كرستين قالت لي مداعبة

ذات يوم «لماذا أعطاني الرب ثوبين من نفس النوع؟».

كان چوني في أغلب أيام عمره محتملاً للألم، مهما كانت الظروف، وقالت الأم باركر إنها لم ترَ حفيدها يعبِّر عن غضبه إلا في أواخر أيامه. كان يمكن أن يغضب لكنه كان يكتم غضبه، ولم تنساق كريس ورائه عندما كان يغضب.

وعليَّ أن أعترف إني كنت على النقيض من هذا، فوجدت أنه من الصعوبة أن أكون حازماً، فكنت دائماً ألهو معه، وأقص عليه القصص، وأخبره عن اختباراتي. لكني كنت أرتبك عندما يضطرب، وأنادي على كرستين وأقول لها «هل يمكن أن تأتي لتري ما الذي يريده چوني؟».

ذات يوم دعانا هومر رودهيفر في بيته على شاطئ بحيرة وينونا. وكان رودهيفر قائد برنامج التسبيح في يوم الأحد في كنيسة بلي جراهام لمدة سنوات عديدة، وكان مهتماً بالكرازة، فانتهز فرصة وجودي معه وقضينا الساعات معاً نتحدث ونتبادل الخبرات، وأراد أن يعرف ما يميز قلب الكارز وعقله.

وأخذت أنا وكرستين چوني بعد ظهر أحد الأيام على كرسيه وتمشينا على طول الشاطئ، إلى أن وصلنا إلى منطقة سباحة خاصة، وبالرغم من أن المياه كانت باردة إلا أن چوني كان يريد أن يسبح، وبالطبع كان يريد أن يفعل هذا في التو واللحظة، وكان يعتبرني الحصن الذي يلجأ له عندما ترفض أمه طلباته.

قالت له أمه «لا يا چوني، اليوم سنستمتع بمنظر المياه، لكن لن نسبح فيها»

وفي الحال التفت چوني إليَّ، فقلت له «إن كلامها صحيح يا حبيبي».

لكن لم أقل ذلك بحزم يعني أن الموضوع انتهى. فبدأ يلقي بنفسه على كرسيه معبراً عن اعتراضه، فقلت له بنوع من التأنيب اللطيف «لا يا چوني»، إلا أنه أصر في عناده.

وفجأة أخذتُه من على كرسيه ووضعتُه على رجليَّ وضربته ضربة أبوية، الأمر الذي أدهش كرستين وچوني، بل وأدهشني أنا أيضاً. ثم قلت له بهدوء لكن بحزم «بعد ذلك يا حبيبي، عندما نقول لك شيئاً ينبغي أن تطيعه». وكان سلوك چوني مثالياً بقية ذلك اليوم.

كان الأمر ذا أهمية بالغة أن يكون كل أفراد البيت متفقين معاً في الرأي على أسلوب تربية بابننا، بالأخص عندما نجد تعاون الأم باركر التي بالرغم من أنها تتمتع بقوة شخصية وإرادة، إلا أنها اشتركت بكل خضوع في منظومة تربية چوني، وكانت تعمل هذا بقلب مملوء بالنعمة، وساهمت بإيجابية في تنمية شخصية وصفات حفيدها.

كانت تتمتع بالخصائص التي تؤهلها للاهتمام به والتأثير فيه، كانت تمدحه على كل شيء حسن يقوم به، كانت تظهر له الحنان عندما يتألم، وتحاول أن تشجعه عندما تشتد الغيوم مبشرة إياه أن الشمس ستشرق. أتساءل! ما مدى السعادة والبهجة التي كان سيتمتع بها هذا الكون لو أنه كان يحوي كثيرين من أمثالها.

الفصل الحادي عشر

عندما أخذنا جوني لمعهد فيلادلفيا لتنمية الطاقات البشرية، كان له لقاء مع الدكتور يوجين سبيتز، رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا. وقال الدكتور سبيتز «يتمتع ابنك بعقلية فذة. إلا أننا للأسف لا نملك الوسائل التي بها نستطيع أن نقيس مستوى ذكاء من هم في مثل حالته. ولو كنا نمتلك مثل هذه الوسائل لكان ابنك سيوضع في قائمة العباقرة». وأنا أعتقد أن مستوى ذكائه يتراوح ما بين ١٦٠، ١٧٠.

ولم نستطع أن نطبق اختبارات الذكاء على جوني، كما لم نستطع أن نقدم له اللعب التي تكشف لنا عن مستوى ذكائه.

لقد تحدثت من قبل في هذا الكتاب عن جارنا وصديقنا أولي ميرشانت. الذي أخذ على عاتقه أن يظهر الحب والعناية بجوني، الأمر الذي كان يقدِّره جوني تماماً ويعبِّر عن هذا ببشاشته. واعتاد ميرشانت أن يُحضر بعد ظهر كل يوم سبت آلة قص الحشائش ليعتني بالحديقة، وكانت كرستين تُخرج جوني خارجاً ليرى ميرشانت وهو يشذّب الحشائش. وكان ميرشانت يترك جزءاً من الحشائش كل يوم سبت بدون تشذيب تحت الشجرة التي كان يستظل بها جوني وهو يجلس تحتها ليراقب عمل ميرشانت، إلي أن يشترك معه في تحريك آلة قص الحشيش قليلاً. وكان ميرشانت يتعمَّد أن يجعل الآلة تفرغ من الوقود ليقوم

بإعادة تعبئتها أمام چوني بل وإعادة تشغيلها. وكنت أرى في عيني چوني رغبةً في أن يشد سلك الآلة ليبدأ تشغيلها بنفسه.

أصبح چوني إلى مساعد طباخ عندما كان السيد ميرشانت يقوم بشي اللحوم، كان يقول له جارنا كما كان يقول لأي شخص «سأذهب لأشذّب الحشائش في الجزء الذي يحيط بالبيت. أرجوك أن تلاحظ اللحم وهو يُشوى، فإن ارتفعت النار عالياً، نادِ عليَّ».

وكان چوني يركز نظره على اللحم وهو يُشوى. وفي اللحظة التي تبدأ فيها النار في الارتفاع، كان ينادي بأعلى صوت لديه ويقول «ييه» (ويقصد بها: نعم).

وهنا يرجع ميرشانت بسرعة ويقول «أشكرك يا چوني».

كان چوني يعشق أي شيء ميكانيكي ويصدر عنه أصوات. فصوت المضخات التي تعمل بالكيروسين كان يطربه. وعندما كان الميكانيكي يصلح سيارتنا، كنا ندع چوني يراقبه. ولو كان جسده يتمتع بيدين ثابتتين تستطيعان أن تمسكا بالآلات التي يستخدمها الميكانيكي، أعتقد أنه كان سيحاول أن يفك كل آلة في البيت ليكتشفها ثم يعيد تركيبها.

ولديَّ انطباع أن هذا الميل الفطري الذي كان يتمتع به، يتفق مع ما تتميز به عائلة هجاي، فأخي «تيد» مولع بالآلات، وهو الذي ابتكر جهاز التشويش أثناء حرب فيتنام، الأمر الذي أنقذ حياة أمريكيين كثيرين. وكواحد من أكبر خمسة علماء في شركة هيوز للطيران، كان تيد يرأس فريق العمل الذي طوّر القمر الصناعي، فجعل من الممكن

نقل إشارات التليفزيون فوراً إلى أي مكان في العالم، وقد نال عن هذا العمل جائزة (L.A. Hyland Patent Award) للإنجازات العالمية. وأتخيل أن جوني ورث بعض من هذه الجينات من عمه تيد هجاي.

وأنا أتحدث عن شجرة العائلة لأني أعتقد أن هذا سيساعدنا على فهم جوني، فدعوني أتكلم قليلاً عن «توم» أخي الأصغر، الذي أسمّيه «كارز الأسواق» وكان دائما يقول «عندما لا يأتي الناس إلى الكنيسة، يجب أن نأخذ الكنيسة لهم». كان توم رئيس مجلس إدارة شركة (IGA) وكان متحدثاً لبقاً، وقد كُرم بأن أخذ جائزة (Silver Buffalo) وهي جائزة قيمة لا تُعطى إلا للصفوة المتميزين (أعطيت على سبيل المثال للرئيس دوايت أيزنهاور، وبرنارد باروخ، ودوجلاس ماك أرثر). كان توم يشبهني كثيراً في الشكل الخارجي، وأتذكر أنه يوم زارنا لأول مرة نظر إليه جوني طويلاً باستغراب بسبب التشابه الكبير بيني وبينه. حتى أصواتنا تكاد تكون متماثلة، إلا أن لهجته في الكلام تميل أكثر إلى اللهجة الجنوبية.

دعونا نعود مرة أخرى إلى حب ابننا للأدوات الميكانيكية، ففي الصيف الذي زرنا فيه هومر رودهيفر، أظهر مضيفنا حباً خاصاً لجوني، وبدأ يرحب به ويُظهر كرم ضيافته، وبدأ يشاركه بعض الأنشطة المعروف عنها أنها تجذب عيني أي طفل يميل للمغامرات.

في ظهر ذلك اليوم قال «عندي فكرة يا جوني، أريد أن أعرف رأيك فيها. انظر إلى هذه البحيرة الواسعة التي أمامنا، أنا أدرك أنك تحب

الماء، وأنا أمتلك أسرع قارب للسباق في بحيرة وينونا، هل تريد أن تذهب معنا لرحلة بحرية في القارب؟»

أجاب چوني من كل قلبه «بيه» أي (نعم)

ثم أعاد رودهيفر الحديث بطريقه بها نوع من المداعبة «لكن بالطبع إذا لم تكن تريد أن تذهب..» ولم يكمل الجملة حتى صاح چوني بصوت أعلى وقال «بيه». فأخذنا چوني بكرسيه المتحرك إلى الشاطئ بينما كان رودهيفر يجهز القارب للرحلة.

كان رودهيفر يحب الغناء، فكان من الممكن أن يأخذ جزءاً من الكتاب المقدس ويحوّله إلى قطعة أوبرالية غاية في الجمال، ولعل البعض يذكر أنه في أيامه جعل أمريكا كلها تغني ترنيمة Brighten the corner وكانت زيارتنا له بعد أن لحَّن ترنيمة دكتور أزوالد سميث الجميلة «ثم أتى يسوع». ونحن نبتعد عن الشاطئ، بدأ هذا الرجل الذي يقود أعظم جوقات الترنيم، ويغني أمام الملوك والرؤساء يرنم:

«كان يجلس وحيداً يستعطي

كان أعمى لا يستطيع أن يرى النور

يمسك بأسماله البالية، ويرتجف من خياله.

ثم أتى يسوع فانقشع الظلام».

كان چوني يستمع بفرح، لقد أحب هذه الترنيمة، وبالطبع لا أحد يستطيع أن يرنمها كما كان يرنمها هومر رودهيفر سواء بمصاحبة

الموسيقي أو بدونها. وبعد فترة صمت، بينما كانت المركب تسرع، أكمل هذا المرنم والموسيقي المشهور ترنيمته:

«عندما يأتي يسوع ستنكسر قوة المجرِّب.

عندما يأتي يسوع ستُمسح كل الدموع.

سينقشع الظلام ويمتلئ القلب بالمجد،

فالكل سيتغير عندما يأتي يسوع ».

كان چوني سيصغي بابتهاج إلى الترنيمة حتى نهايتها، إلا أن أزيز المركب وهي تسرع في المياه لفت انتباهه، فكان بالنسبة له اختباراً جديداً، لعله اعتبره من عجائب الدنيا! فهو أمر ميكانيكي، يعبر عن قوة هائلة، وقد ملأه هذا الصوت بالبهجة.

كانت حساسية چوني للأمور التي تسرّه والأمور التي تزعجه، هو الأمر الذي ساعدنا لنكتشف ذكاءه. كانت كرستين تذهب لتستشير الأطباء أكثر مني، وتتذكر الوقت الذي طلب منها الطبيب أن تُدخله المصحة.

في ذلك الوقت قالت كرستين للطبيب «عندما نركب السيارة، هو يعرف الطرق والاتجاه الذي سنسير فيه». فقال الطبيب «ربما أنتِ تتخيلين هذا الأمر». فأضافت «عندما نتوجه للعودة إلى المنزل، وعندما لا تكون لديه الرغبة في العودة، يغضب. لكن من الجانب الآخر هو يحب الحديقة التي بجوار منزلنا لأن فيها هزم جدُّه أباه في

كرة التنس. وإن رآنا نقود السيارة في اتجاهها، تتسع عيناه من الفرح، ويبذل أقصى ما في وسعه ليعبّر لنا عن مدى سعادته».

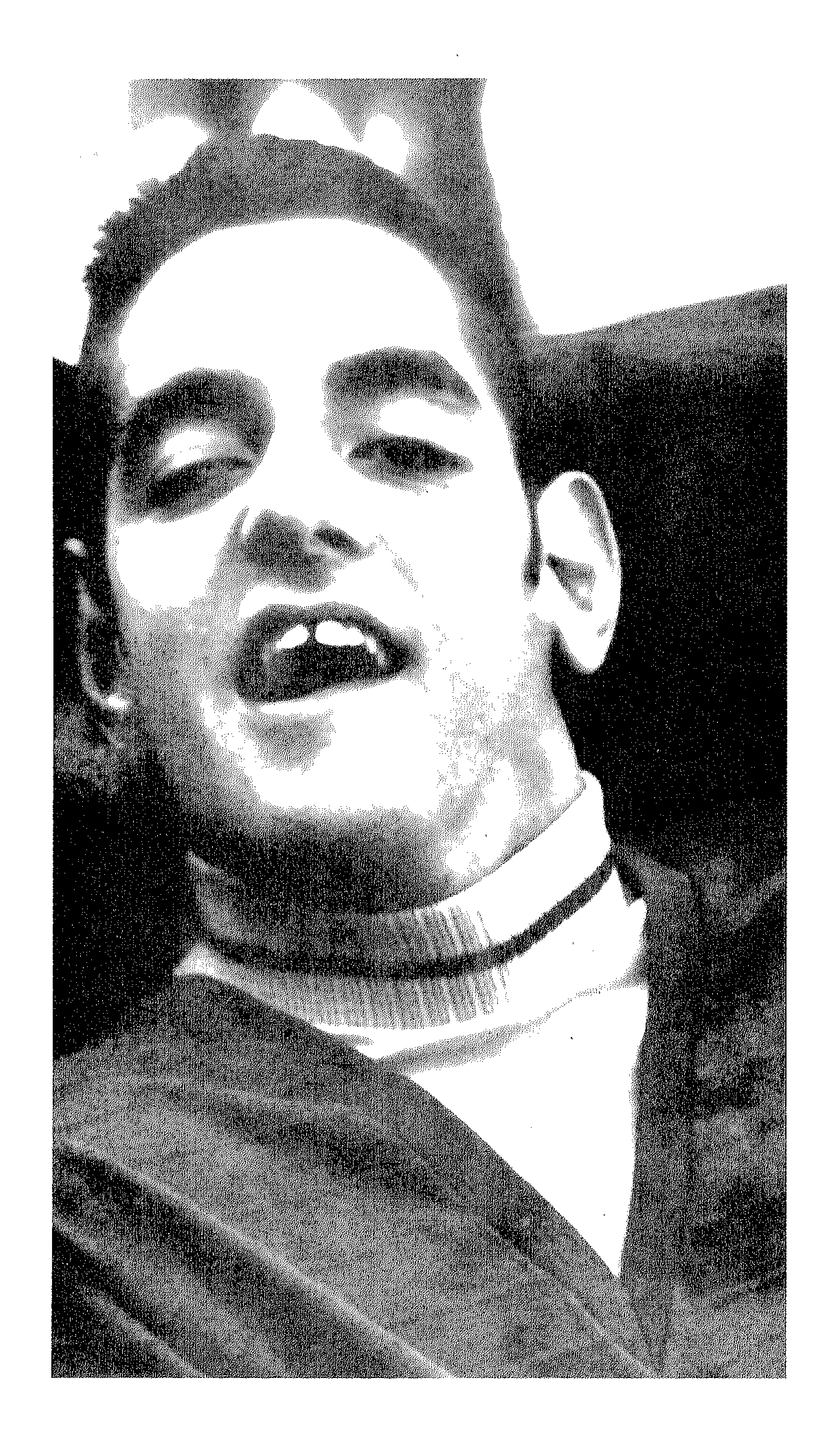
هزَّ الطبيب رأسه، مقتنعاً أن كرستين لا تريد أن تواجه الحقيقة المُرّة الخاصة بابنها.

تشبه المحبة مياه نهر متدفقة، تبحث عن مجرى لها بالرغم من انحناءات النهر الكثيرة، ولا يوجد نهران متشابهان في كيفية تدفق المياه. وتفاعل الأم مع أولادها يختلف من أم لأخري. وأصلي أن هذا الكتاب الذي يتحدث عن قصة چوني وما فيها من ومضات جميلة تعبّر عن صفات أمه وتكريسها، يساعد الآخرين ليروا كيف أن إلهنا مخطط بارع.

الله لديه خطة لكل إنسان. فالفتاة لا تحتاج أن تصبح ملكة جمال أمريكا، ولا يحتاج الفتى أن يكون بطل العالم في الرياضة ، ليؤكدا إبداع الله في خلقه، لكن ما نعمله بأمانة مع مولود جديد وضعه الخالق بين أيدينا لنرعاه هو الذي يبرز إبداع الله.

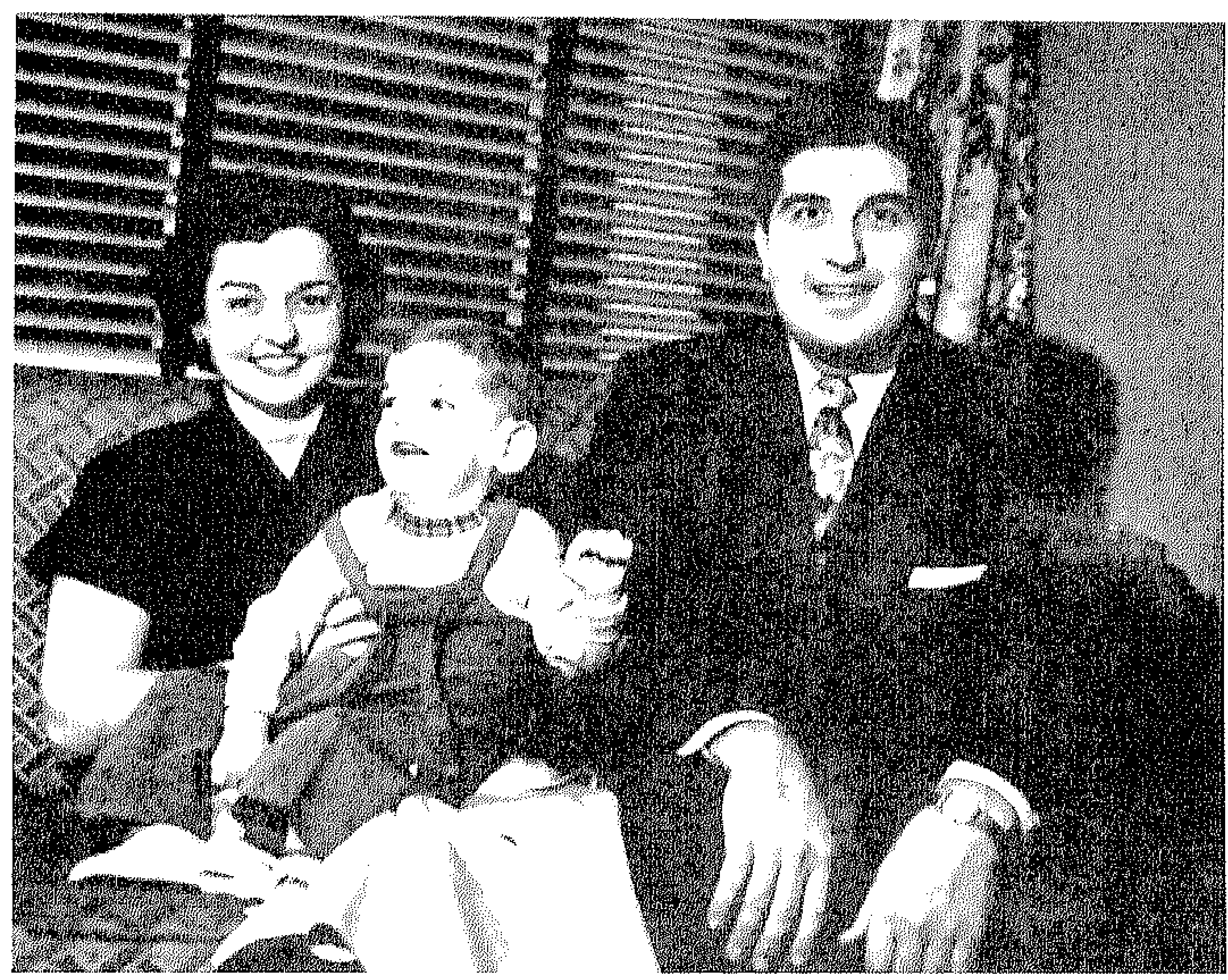
كثير من المشكلات الاجتماعية التي تواجه مجتمعاتنا يمكن أن تُحل بسرعة إذا أدرك الآباء أنهم في أحيان كثيرة ينبغي أن يكونوا مثل الفخاري، والأطفال مثل الطين القابل للتشكيل، فإن النمو العقلي يستلزم إرشاداً، وتحفيزاً، بل وتشجيعاً.

كانت كرستين تتمني أن يكون لچوني أصدقاء أكثر ليلعبوا معه. وكانت بنت صغيرة من جيراننا صديقة له. لكن لم يكن أحد من أطفال الجيران



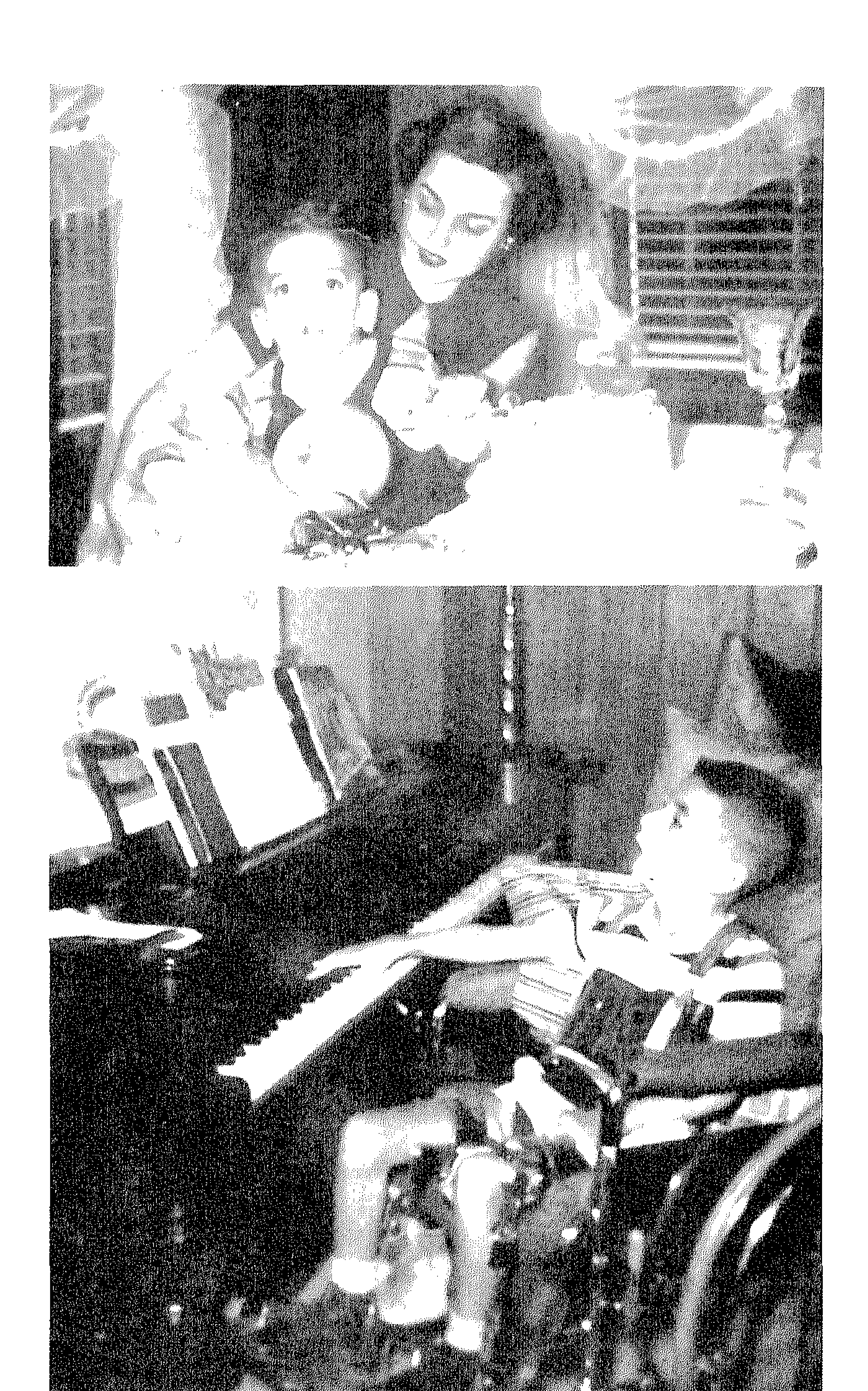
ابتسامة چوني الدافئة التي لمست قلوب كل من تلاقي معهم





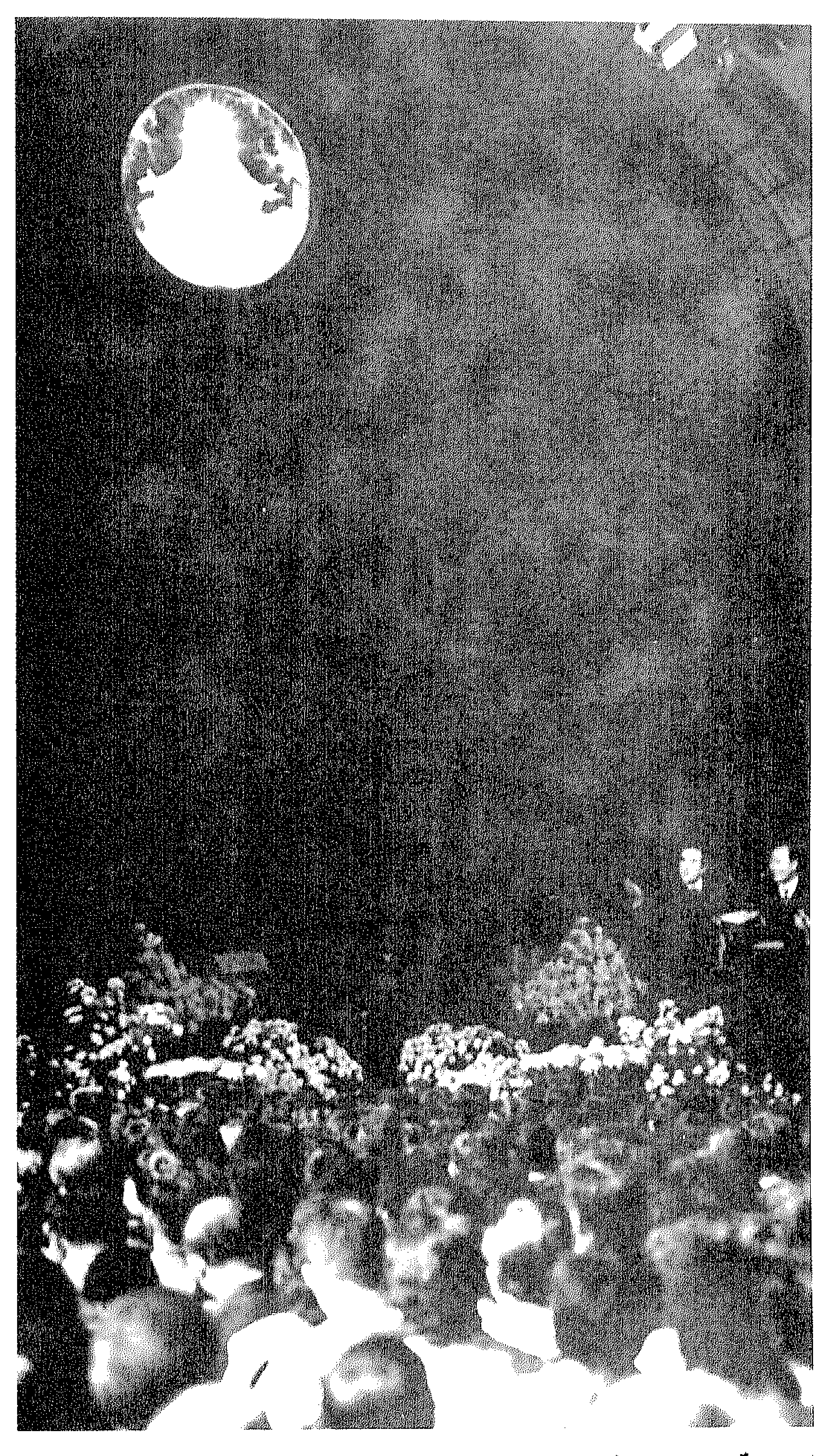
كرستين و چوني (البالغ من العمر أربعة أشهر) وهم علي سلم منزلنا في شاتانوجا تينيسي

عيد الكريسماس ١٩٥٣ في شاتانوجا عندما كان عمر چوني ثلاث سنوات



عيد ميلاد جوني الخامس في لوفيل كنتاكي ١٩٥٥

جوني في السادسة من عمرة وهو مغرم بالبيانو ، فقد كان يشارك والدته حبها للموسيقي



الكنيسة المشيخية بونج ناك في سيول –كوريا (أكبر كنيسة مشيخية في العالم) في عام ١٩٧٠ ويقوم بالترجمة الدكتور القس شو شون بارك



نوفمبر ١٩٦٧ في جاكرتا إندونيسيا، في وسط مجموعة من الشباب



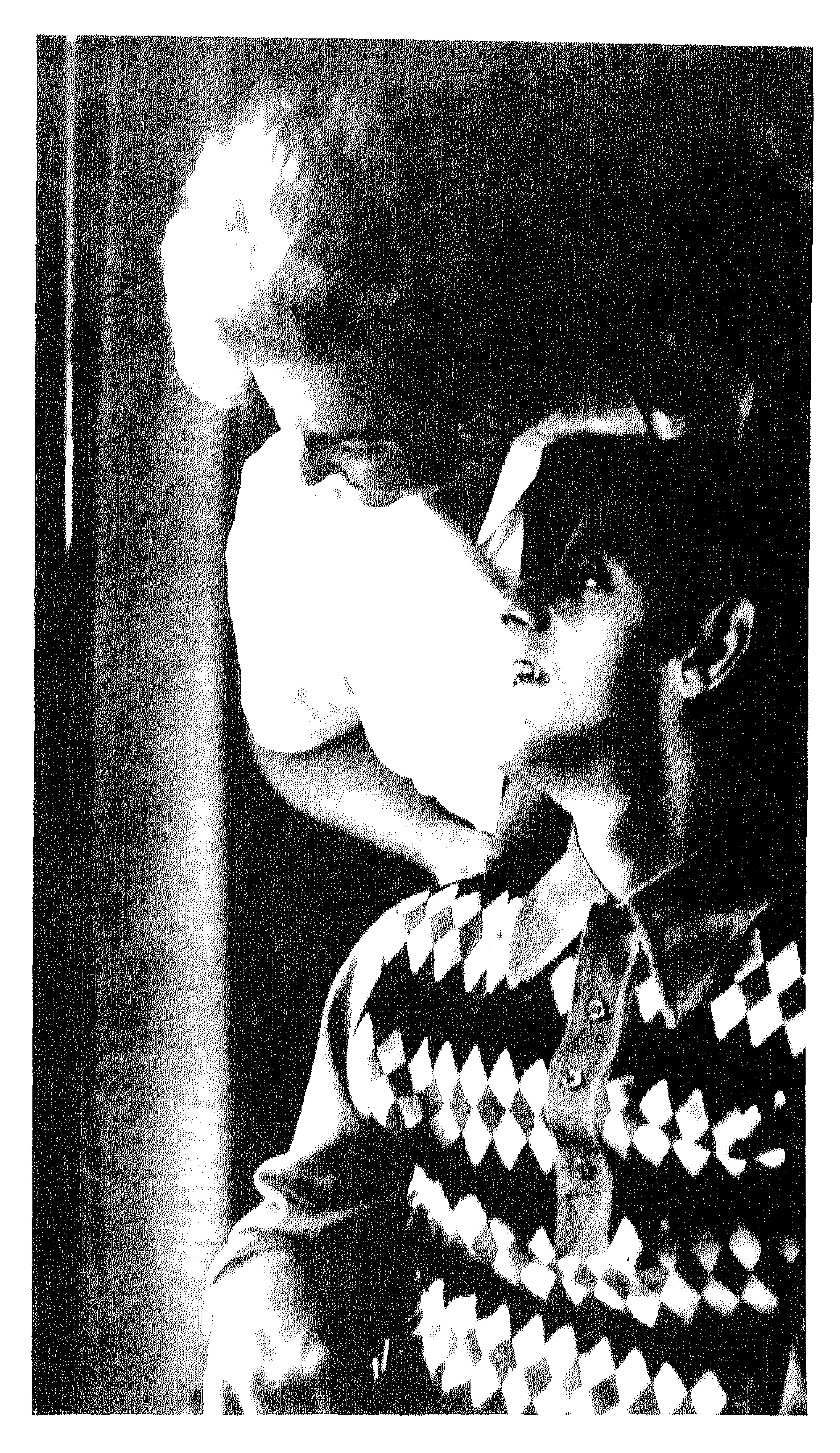
ومن اليسار لليمين الدكتور القس هينكي تان، جاي چوبان، فيلكس سنيبس
الحفلة السنوية لمعهد هجاي في ٢٤ بناير ١٩٧٥ وعلي يمين كرستين
دكتور غاندي راي المحاضر بالمعهد والذي كان راعيا للكنيسة الأسقفية
بكراتشي باكستان



كريسماس ١٩٧٢ في جبال ستون بچورچيا ، وكان چوني في الثانية والعشرين من عمره



مايو ١٩٧٥ كرستين وأنا في جولة حول العالم للتعريف بخدمة معهد هجاي



كرستين وچوني ينظران من خلال النافذة قبل رحيل چوني بأيام

يقضي معه وقتاً كافياً ليستمتعوا معاً بعالم الطفولة، وبالتالي كبُر ابننا في عالم الكبار فلم ينعم بطفولته.

أنا متأكد أنه لا توجد عائلة شاركت ابنها المعاق في كل شئون حياتها كما فعلنا نحن. وصدقوني أن إشراكنا له لم يكن إشراكاً رمزياً، لكننا كنا نجعله ملمّاً بكل شيء، فنأخذ رأيه، ونشاركه في اتخاذ القرار. ونتيجة لذلك كان تفاعله مع الأمور يزداد تميزاً مع الوقت.

وكان عجزه عن الكلام سبباً في قدرته الفائقة على الاستماع. كانت له ذاكرة قوية مثل ذاكرة الكمبيوتر، فهو يتذكر عبارات قيلت منذ أيام كثيرة، فقد يكون هناك نوع من الحوار، وهنا قد يصطنع چوني بعض الأسئلة، ونكتشف أن الإجابة عليها يعتمد على بعض العبارات التي ذُكرت منذ أيام.

عندما اتجهت إلى العمل الكرازي أنشأت مجلساً للعمل، وكنت أتقاضى مرتباً معقولاً، بالإضافة إلى مصاريف السفر والإقامة. وأي مبالغ كانت تتبقي بعد مصاريف الرحلة الكرازية كانت تذهب إلى أمانة صندوق المجلس. وهناك خطر من أن يحيط الشخص الذي يُكوِّن مؤسسة نفسه بالأشخاص الذين يقولون دائماً «نعم». وكان المجلس المشرف على عملي الكرازي رائعاً ومنجزاً، يتمتع أعضاؤه باتجاهات واضحة وفكر نقي سليم. أما الوضع بالنسبة لخدمة معهد هجاي الحالية فقد قال أحد أعضاء مجلس عملي الكرازي «أنا أشارك في بعض المجالس الهامة في أمريكا سواء كانت على المستوى الروحي أو

العالمي، ولا أظن أن هناك مجلساً في أي مكان به هذه المجموعة من الرجال الأكفاء الذين يخدمون في إدارة هذا العمل» ووافقته تماماً. وأنا أستمع إلى أعضاء المجلس لأني أثق في قدراتهم وكفاءتهم.

كان چوني في مرحلة المراهقة عندما أدركت أنه شغوف بأن يعمل في مجلس العمل الكرازي. كان بإمكانه أن يجلس ساعات طويلة وأنا أقص له ما دار في اجتماعات المجلس. وكان يحب أن يعرف الأمور المالية، ويريدني أن أتحدث بالتفصيل في الأمور الاقتصادية، خصوصاً عندما اتجهنا للعمل في برنامج التدريب لدول العالم الثالث.

عندما كنت أعمل في مجال الكرازة، كعملي الآن في خدمة العالم الثالث، كان الأمر لا يخلو من المشاكل، فكان چوني يقرأ حالتي النفسية، ويشعر أن عليَّ ضغوطاً غير عادية، ويريد أن يعرف عنها. كان أحياناً يضطرب جداً حتى تظن أنه المسئول عن هذه المشاكل، وكنت ألاطفه وأقول له «أنت تعرف يا چوني، هناك كتاب بعنوان كيف تتغلب على القلق، ولقد نسيت اسم مؤلفه» (مؤلف الكتاب هو د چون إدموند هجاي!). وكانت هذه الكلمات تعيد إليه البسمة الهادئة، حتى وهو في أحلك الظروف. ثم اقرأ جزءاً من كتابي له. وعندما كبر كان يحضر مؤتمرات كنت أقدم فيها محاضرات مبنية على هذا الكتاب. ولعلي لا أحيد كثيراً عن الحقيقة عندما أقول إن كتابي «كيف تتغلب على القلق؟» كان له دور في حياة چوني جعله قادراً أن يتقبل ما هو عليه بقلب راضٍ.

وكلما كبر جوني كان يحب أن يخرج من المنزل، سواء لمحلات البقالة أو للسفر إلى دول العالم المختلفة. وكنت أتمنى لو أننا أخذناه إلى أماكن أكثر، لأننا بعد كل رحلة كنا نكتشف أن تفكيره تغير وآفاقه اتسعت. ولا تتعجب إن قلت لك إنه لم ينسَ أي مكان ذهب إليه أو أي شخص التقى به. كانت له قدرة خارقة على تذكر معالم الأشياء. كان دائماً يتذكر الطرق التي كنا نحن ننساها، وكان سؤالي المألوف له وأنا أقود السيارة «جوني، هل نسلك في هذا الطريق الفرعي أم نظل في طريقنا الرئيسي؟» وكان يدلني دائماً على الطريق السليم.

وعندما انتقلنا إلى أتلانتا كان في العاشرة من عمره، وهناك قضى بقية عمره. أذكر أني أخذته في مهمة، وكان فكري منشغلاً ببعض الأمور الأخرى، وبالرغم من أني وجدت المكان الذي كنت أقصده بسهولة، لكن عند عودتي اختلط بي الأمر وكنت مشوشاً بالنسبة لاتجاه السير. وفجأة اعترض جوني بقوله «أمن» أي لا. فسألته «هل سلكتُ في اتجاه خاطئ؟» أجابني «بيه» أي نعم. ثم أدرت السيارة وعدت إلى النقطة التي بدأنا منها وأشرت إلى الطريق الذي أنوي الدخول إليه وسألته «هل هذا هو الطريق الصحيح؟» فأجابني «أمن»، وكان دائماً يجيبني على جهلي بالطرق عندما يصحح لي الموقف بنوع من الدعابة اللذيذة. سرنا بالسيارة مسافة وكنا قد اقتربنا من تفرع الطريق، وفجأة قال جوني بصوت عال «بيه»، فالتفت إليه وسألته وأنا فعلاً في حيرة من أمري «هل أتجه إلى اليسار»، وأجابني جوني «أمن»، وهكذا

عندما وصلت إلى هذه النقطة اتجهت إلى اليمين، وهنا قال چوني «بيه». وهكذا كان چوني الذي يبلغ من العمر عشر سنوات يرشد والده ليصل إلى البيت بسلام.

عندما ذهبت إلى هاواي لأول مرة استأجرت سيارة مكشوفة، وأخذت چوني في جولة في ويكيكي، وكان سعيداً للغاية، ويحيي كل من رآه.

وكان چوني شغوفاً بالسياسة، وعندما كبر كان يريد أن يذهب ويعطي صوته في الانتخابات. وكنا نريد أن نحقق رغبته لكننا فشلنا. ومع أنه تفهَّم الموقف، إلا أنه أصيب بإحباط.

وعندما كان في منتصف الخامسة عشرة من عمره، أدخلنا له خطاً تليفونياً في غرفته ليستخدمه بمساعدة أمه أو جدته. وكثيراً ما كنت أتصل به، واستطاع بعض الأصدقاء أن يتكيفوا في الحديث معه تليفونياً. وكان لا بد من وجود أحد بجواره لأن بمجرد ما كان جرس التليفون يرن كان يريد أن يرد فوراً.

كنت أداعبه قائلاً له «من الجميل أنك لا تعمل في مكتبنا، ففاتورة تليفونات المكتب عالية جداً، وإن كنت أنت تعمل معنا فأنا متأكد أنك كنت ستتصل بكل مكان في العالم».

فيبتسم ويقول «بيه».

كنت أشعر أنا وكرستين أن إحدى العلامات التي تؤكد لنا ذكاء ابننا الحاد هو طريقته في تعامله مع الفن، وكان قبوله للذات نوعًا من الفن. وكما قلت سابقاً أنه كان يتأخر في استجابته لأي شيء اثنتين وعشرين

ثانية، الأمر الذي قد يفسره البعض على أنه لم يفهم، لكنه كان يحاول أن يعيد ترتيب تفكيره على نوع الرد أو الاستجابة. وكلما كان أكثر راحة واسترخاءً قلّت الفترة التي يحتاجها لترتيب أفكاره، أما بالنسبة لنا في البيت وعلى الأخص كرستين، فكانت استجابته فورية.

وبالطبع فكرنا أن نرسله إلى مدرسة متخصصة. وفي إحدى نهضاتي الكرازية، سمعت عن مصحة تبدو أنها مناسبة لحالة چوني، فبدل من أن تكون كالمصحة كانت أشبه بمدرسة خاصة، فهو يأتي إلى المنزل في العطلات الرسمية ويقضي أجازة الصيف معنا. وكان الأمر يبدو مناسباً.

وتصادف أني كنت في نهضة كرازية بعد عدة شهور لنفس المكان، وقررت كرستين والأم باركر أن يُحضرا چوني في الأيام الأخيرة للنهضة. وكان چوني مسروراً لذهابه إلى النهضة. وقالت له كرستين «سنذهب لنرى المدرسة». وعلى الفور أبدى چوني استياءه، فقالت له «ذهب أبوك ورأى المدرسة، ويمكنك أن تذهب من الآن وتندمج مع بقية الأطفال».

توقفت كرستين عند المدرسة، وتركت چوني مع بقية الأولاد، وأخذت جولة مع الأم باركر لمدة خمس وأربعين دقيقة داخل المدرسة، وعندما غابا عن نظر چوني انفجر في البكاء، فقد انكسر قلبه، وظل يبكي إلى أن عادا. فقال مدير المدرسة لكرستين «ابنكم لا يمكن أن يتأقلم على هذا المكان».

وعندما أخذناه بعد ذلك إلى معهد فيلادلفيا لتنمية الطاقات البشرية كانت لديهم سياسة حازمة، فكانوا يمنعون الوالدين من رؤية أبنائهم في أول شهرين. ولكن انكسار قلب چوني جعل المدرسة تطلب من كرستين أن تأتي ونأخذه، وقال لها أحد الموظفين «لم نستطع أن نتعامل معه، بل إننا لم نستطع أن نطعمه».

وسبَّب هذا اضطراباً لكرستين، فكانت تريد الأفضل لچوني. إذاً لماذا لا يستطيع أن يذهب للمدرسة؟

قال أحد أخصائيي العلاج الطبيعي يوماً ليطمئن كرستين «أحيانا بل ونادراً ما نقابل طفلاً مثل چوني. إنه ذكي فهو يدرك مدى قسوة حالته، وهو يثق فيكِ ثقة عمياء، لأنه يدرك أنك ستهتمين به جداً، بل ويدرك أيضاً أنك تستطيعين أن تساعديه بكفاءة عندما يتعرض لظروف صحية صعبة. وهو يخشى أن تتركيه مع الغرباء، حتى ولو كان يدرك أنهم أكفاء. وفي حالة ابنك، لا يوجد شيء أقوله لك إلا أنه ينتمي إلى البيت».

ليس لدينا أي نوع من الشعور بالذنب تجاه عنايتنا بابننا، فقد بذلنا أفضل ما لدينا، ولم يكن بإمكانه أن يحصل على تدريبات أفضل من التي قدمتها له أمه، لكن عندما أفكر في أخويَّ تيد وتوم وفي الفرص التي أعطاني إياها الله لخدمته أستطيع أن أتخيل القدرات الكامنة في عقل چوني، مثلها مثل الذهب الخام الذي قد لا يعرف قيمته الكثيرون، لكنه غالي الثمن.

قلت له يوماً «چوني عندما نذهب للسماء من فضلك لا تكشف لنا عن مدى غبائنا؟».

وقلت لكرستين «أعتقد أنها كانت صدمة عنيفة للشيطان، أن يأتي چوني إلى عالمنا بمثل هذه الحالة. كان الشيطان يظن أنه يمكن أنه يوقف خدمتنا الروحية المؤثرة». لكن كم هو مخطئ!

الفصل الثاني عشر

في خدمتي كراعٍ أو كارز، التقيت كثيراً بمؤمنين لا يستطيعون أن يحددوا مكان ميلادهم الثاني أو تاريخه. وفي خدمتي الرعوية كنت أركز على الكرازة. والكرازة تمثل لب رسالة معهد هجاي في سنغافورة وهاواي وفي كل الدوائر الأخرى الممتدة لهذه الخدمة. أنا أؤمن بحاجتنا إلى النمو المسيحي، لكن في الاختبار المسيحي، الميلاد يسبق الحياة، ولن يكون هناك نموٌّ إلا عندما تكون هناك حياة.

في خدماتي الكرازية، أقدم رسائلي مستنداً على الحجج المنطقية، وأركز على الجانب الإرادي في الإنسان، أكثر من الجانب العاطفي. وكلما مرّ الوقت، كان چوني يستمع إلى عظاتي أكثر وأكثر، لذلك ظننت أنا وكرستين أن الحماس والاهتمام الذي يبديه في الاستماع إلى العظات لا بد، وأنه نابع من علاقته الشخصية بالرب يسوع. وهناك أمور كثيرة كانت تدور في عقل چوني لا نستطيع نحن أن نعرفها ولو أننا كنا نخمنها.

فنحن مثل كثير من الأباء المؤمنين، كانت لنا توقعات كثيرة. لقد كنا ندرك أن الإنضباط في السلوك ليس معناه أن الطفل أصبح ابنا لله. فكل مؤمن سواء تذكر لحظة قبوله المسيح أم لا، ينبغي في وقت ما أن يختبر معجزة المعجزات ألا وهي الميلاد الثاني. قال يسوع «ينبغي أن تولدوا من فوق» (يوحنا ٣: ٧)

وبالرغم من أن چوني كان يحب الوعظ، إلا إنه كان مهتماً بالفترة الختامية التي فيها أقدم دعوة للناس ليقبلوا المسيح مخلصاً شخصياً لهم. وكانت نظرات التعجب تشع من عينيه. قالت لي كرستين إنها تتذكر بصفة خاصة الوقت الذي رأت الدموع في عينيه، في هذه اللحظة بكت هي أيضاً لأنها أدركت أن ابننا لديه هذا الإدراك للعمل الإلهي الذي يغير حياة الناس.

ومرت السنوات، وكانت كرستين تأخذ چوني للنهضات الكرازية بقدر الإمكان، فلم يكن من الممكن أن يحضرا كل النهضات، فعندما كنت أعود من أي رحلة كرازية كان چوني يريد أن أقدم له تقريراً مفصلاً. كنت أقول له «يا حبيبي، لقد استجاب الله صلواتنا مرة أخرى، وأنا أقدر دعمك لي». ولن أنسي على الإطلاق نظرات عينيه وهو يسمع هذه الكلمات.

وبينما كان يفرح بعمل الله المتنامي وبركاته في الاجتماعات، إلا إننا لاحظنا اضطراب في داخله.

كان يبدو متقلباً وهو يستمع إلى بعض الترنيمات خصوصاً التي تتحدث عن الدعوة للخلاص مثل «كما أنا، وليس لي عذر لديك إلا الدم المسفوك عني من يديك» وتسوء حالته النفسية عندما أعظ عن الجحيم، حتى أن كرستين كانت تتعمد أن لا تحضره مثل هذه الاجتماعات. كان عمره وقتها ثماني سنوات، وكثير من المؤمنين الأتقياء قبلوا المسيح وهم في هذا السن.

نستطيع أن نفهم أن چوني لا يحب العظات التي تتحدث عن الموت، ولم يحبها إطلاقاً طوال حياته. لكننا افترضنا أن كراهيته للعظات التي تتحدث عن الجحيم نابعة من اهتمامه بالأشرار، وكيف أنه يتضايق عندما يفكر في أي شخص يهلك مع أن الله أعد الخلاص في المسيح للجميع. أما كراهيته لموضوع الموت فيرجع إلى أنه كان يشعر أن الموت يحوم دائماً حوله، مثل الشبح المخيف. ومرت الشهور ولم ندرك ما هي الأمور الروحية التي تشغل ذهن ابننا.

في الصيف التالي ذهبت إلى ولاية ميسِّسبي لأخدم في نهضة كرازية، وطلبت من كرستين وچوني بإلحاح أن يحضرا معي. وكان چوني قد قضى عدة أسابيع بدون مشاكل صحية، لكنه لم يكن يخرج من البيت كثيراً، لذلك وافقت كرستين أن يأتيا معي. وبالرغم من أن الجو كان شديد الحرارة والرطوبة، إلا أن الله بارك النهضة، وكان الحضور كثيراً وكنا نلمس تأثير روح الله من ليلة إلى ليلة.

ولم يبدِ چوني اهتمامه بالنهضة، كما أنه لم يكن متوتراً.

قالت لي كرستين «أنا بدأت أتساءل: هل كان يجب أن نحضره معنا. إنه يحب الموسيقي والعظات، لكنه الآن يبدي عدم ارتياح».

كانت الاجتماعات الانتعاشية تُعقد في إستاد كرة القدم، وهو مكان مناسب جداً لحالة چوني، وكان يشعر براحة عندما تكون الاجتماعات في أماكن مفتوحة. لكن في الليلة التالية لحديثي مع كرستين، كنت أراه مضطرباً. وفي اللحظة التي بدأت أدعو الناس لقبول الخلاص، بدأ

چوني يتمايل للأمام على كرسيه المتحرك. كان يرتدي أحزمة معدنية لتجعل جسمه معتدلاً إلى حد ما، وكان أحد هذه الأحزمة مربوط بالحذاء، وعندما كان يريد أن يتحرك، كان يحرك الحزام في اتجاه مكان القدم فيحدث صوتاً، وفي تلك الليلة عندما أراد أن يتحرك، أحدث ضوضاء!

نظرت كرستين إليه وابتسمت، لكنه لم يبادلها الابتسامة، كانت تبدو على عينيه علامات الكرب الشديد، وكانت شفتيه ترتعش من شدة التوتر، والعرق يتصبب من جبينه. ولم يسبق لكرستين أن رأته في مثل هذه الحالة. تُرى هل كان على وشك الدخول في نوبة من النوبات التي يُصاب بها؟ وعندما سألت چوني، وضح لها أن هناك شيئاً آخر قد حدث.

في تلك اللحظة خطر خاطر بقلب زوجتي فبدأت تصلي في صمت «يا أبي السماوي، هل من الجائز أن چوني لم يختبر الميلاد الثاني بعد؟» ثم بدأت تتحدث إلى نفسها وتقول «عندما يحضر شخص الاجتماعات الكرازية، هل نسأل إن كان هذا الشخص من بيت مسيحي؟ هل يحضر كنيسة مستنيرة؟ ما هو رأيه في الكتاب المقدس؟ بالطبع لا، فاهتمامنا الأول هو: هل هذا الشخص مولود ثانية أم لا؟.. إذاً لماذا نستثني ابننا من هذا الأمر؟».

وهنا همست كرستين في أذن چوني «هل تريد أن تتقدم إلى الأمام مثل الآخرين؟»

أجاب على الفور «بيه».

وهنا أسقط في يد كرستين وشعرت بالتوتر وهي تتساءل: ماذا سيقول الناس عندما يرون جوني وهو مازال يحدث أصواتاً عالية بحزامه وهو على كرسيه المتحرك؟

قالت له كرستين «هذا أمر مدهش. لكن دعنا ننتظر حتى نرجع إلى بيتنا وسآخذك لراعي الكنيسة لتتحدث معه، وأنا متأكدة أنه سيرتب لك الأمر لتتقدم للأمام في كنيستنا، حيث تستطيع أن تسلم قلبك للرب يسوع. ألا تعتقد أن هذا أفضل؟».

لم يجب جوني بأي كلمة، إلا أن شعر رأسه بدأ يبتل أكثر من العرق، ثم ابتلّ جسده كله من العرق كما لو كان يجلس تحت المطر.

وأرادت كرستين أن تخضع له، إلا أنها ترددت حيث أننا كنا قد اتفقنا معاً أن نتجنب ظهور ابننا الذي قد يُفسر تفسيراً خاطئاً من بعض الناس، فلو تقدمت به كرستين للأمام سينتقدنا البعض أننا خططنا لذلك وانتهزنا الفرصة الذهبية لنكسب تعاطف الناس، لذلك لم تتقدم به كرستين للأمام.

وكلما اقترب موعد البركة الرسولية بدأت علامات اليأس تتسرب إلى جوني، فتحركت كرستين به وهو على كرسيه المتحرك لأحد الأركان وبدأت تتحدث معه طويلاً، شارحة له ما حدث، وما معنى الإيمان وحقيقة الخطية.

قالت: يقول الكتاب «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد» (رومية ٣: ١٢). چوني، أنا شخصياً كنت خاطئة، ولهذا فتحتُ قلبي للرب يسوع وأنا مازلت بنتاً صغيرة. أنت أيضاً أخطأت، فأنت تخطئ مثلاً عندما تغضب أو لا تطيع وترفض أن تنفذ ما نقوله لك».

تقبّل چوني كل كلمة بعينين واسعتين، وبدون شك كان الروح القدس يعمل في داخله، كما كان يعمل في قلب أمه أيضاً. لماذا نهتم بما يقوله الناس؟ هل من الصواب أن أدعو الآخرين ليعلنوا إيمانهم أمام الجميع وأنكر هذا الحق على ابننا؟

وعندما عدنا إلى الفندق لاحظت مدى اضطراب چوني، ولم أتكلم بكلمة إلا بعد أن وضعته كرستين فى السرير ونام، ثم بدأت تشرح لي ماذا حدث، سألتني «ماذا كان يجب أن أعمل؟ الناس في الاجتماع يعرفون چوني، ويعرفون أنه ابنك، وإن كنت قد ذهبت به وهو على كرسيه المتحرك إلى الأمام ربما يقولون أن هذا مشهد مسرحي».

قلت لها «نحن نريده أن يعيش حياة طبيعية بقدر الإمكان» إلا أني كنت متحيراً كما كانت هي أيضاً، وفي داخلي لم أكن أريد أن أنفذ رغبة چوني.

وكانت الليلة التالية هي الليلة الختامية في النهضة الكرازية، وكان الإستاد مزدحماً، لكننا استطعنا أن نشق طريقنا وسط الزحام، وأخذنا

مكاناً هادئاً في أحد الأركان، ونظر چوني إلى أمه، وكأنه يبحث بعينيه عنها، فابتسمت له.

كانت جوقة الترنيم ترنم: «إن كانت خطاياك ثقيلة، دع يسوع يدخل قلبك». ورنمت جوقة الترنيم ترنيمات أخرى بهذا المعنى، الأمر الذي جعل چوني يتضايق ويتململ.

بدأت العظة، والكارز دائماً يريد أن تكون عظاته شخصية، بغضّ النظر عن عدد الحاضرين، وفي تلك الليلة كانت العظة تتعلق باحتياجات الإنسان الخاصة: احتياجات چوني، وبدأ يتوتر أكثر فأكثر، محاولاً أن يحرك كرسيه، وبدأ توتره يزداد كلما قاربت الرسالة على الانتهاء، ثم قدمت الدعوة لقبول الخلاص.

في تلك الأيام كنت أطلب من الناس أن يحنوا رؤوسهم، ثم أطلب من الذين يريدون أن يقبلوا المسيح أن يرفعوا أيديهم.

وقعت عيناي على چوني وكرستين، رأيته يحاول أن يرفع يده، وأدركت كم هو مضطرب، إلا أننا كنا قد قررنا أن لا ندعه يعلن عن قراره علانية، إلا عندما نرجع إلى بلدتنا ويعلن هذا في كنيستنا المحلية.

إلا أن چوني أصر، وحاولت كرستين أن تهدئه، إلا أنها فكرت، ماذا لو أننا تعرضنا لحادث بالسيارة في طريق عودتنا ، وفقد ابننا حياته؟

وبدأ چوني يحدث أصواتاً عالية بحزامه المعدني، وكان إصراره في هذه الليلة أكثر بكثير من الليلة السابقة. وفي دعوتي للخلاص، كنت

أركز على أن الليلة هي آخر أيام النهضة، ولعلها تكون آخر فرصة لك لتكون في عداد المؤمنين. وجعلت هذه الكلمات ابننا أكثر تصميماً.

وبدأ چوني يصدر أصواتاً أعلى وأعلى، وهنا انحنت كرستين وهمست له «سنذهب إلى الأمام».

حرك چوني جسده للأمام معبرا عن فرحته، حتى كاد يقع. دفعت كرستين چوني في كرسيه حتى وصلت به إلى المقدمة بدأت تحرك كرسيه المتحرك بهدوء وبطريقة تدريجية. ووقفت في أحد أركان المكان المخصص للذين يريدون تسليم حياتهم للرب يسوع. ولم يرهما في البداية إلا الجالسون في الصفوف الأولى، لكني رأيتهما قبل أن يراهما الجمع، وكان الأمر بالنسبة لي مفاجأة أحدثت شللاً لحظياً في تفكيري. وكما قالت لي كرستين فيما بعد، إن هذه اللحظات كانت بالنسبة لها أصعب من اللحظات التي فيها تقدمت للأمام عندما كانت بنتاً صغيرة لتسلم حياتها للرب يسوع. لكنها كانت تدرك أن ما فعلته هو الأمر الصحيح، فهو أهم حدث في حياة ابننا.

وأصبحت الهواجس التي كانت تسيطر عليَّ أنا وكرستين بخصوص كلام الناس بلا معنى، فلم تكن هناك معوقات بالنسبة لچوني، لأنه أراد أن يعترف علانية بإيمانه بالرب يسوع وأراد أن يكون هذا في تلك الليلة.

وسرى الصدق الذي لمسه الناس من دوافع ابننا كالشحنة الكهربائية على جميع الحاضرين في الإستاد، ومن خلال تأثير شهادة چوني

وشجاعته، بدأ يدب اتجاه جديد في الاجتماع، فكثير من الذين كانوا قد أجلوا اتخاذ قرار إتّباع المسيح تقدموا للأمام. وعندما وصلت كرستين للأمام زال عنها كل ارتباك، وبدأت تعمل مع المجموعة التي تجلس مع الناس وتقودهم إلى معرفة المسيح وإلى صليبه. في تلك اللحظة لم يكن چوني ابنها، لكنه كان أحد الشباب الذين يريدون أن يعلنوا توبتهم ويدخلوا في علاقة جديدة مع الرب يسوع المسيح.

فتحت كرستين كتابها المقدس وبدأت مع بقية المشيرين الذين أتوا ليساعدوا الناس، في شرح خطة الله للخلاص.

الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله

الرب يسوع أتى إلى عالمنا ليخلص الخطاة

الرب يسوع مات من أجل خطايانا، ودُفن ثم قام

كل من يدعو باسم الرب يخلص.

كان چوني قد سمع كل هذه الآيات من قبل، نزلت البذار الصالحة من السماء فمنحت الحياة، وبدأت تعمّق جذورها في قلبه.

بدأت كرستين تقود چوني في الصلاة بهدوء وقالت «يا ربي يسوع، أعلم أني إنسان خاطئ»

أجاب چوني «بيه»

«أنا أعلم أن يسوع مات على الصليب ليخلصني من الخطية»

«بيه»

«والآن أنا أقبلك كمخلص شخصي لي»

«بيه .... بيه»

كان الأمر عجيباً ومؤثراً، وبدأت الدموع تنهمر من عينيَّ وأنا أرى ابننا أصبح خليقة جديدة في هذا المساء. قال الكتاب «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (٢كورنثوس ٥: ١٧). هذا ما حدث مع جوني في تلك الليلة. ولم تتكلّل أية ليلة ختامية في أية نهضة سابقة بهذا القدر من النصرة، ويا له من اجتماع عائلي رائع عقدناه معاً عندما رجعنا إلى الفندق.

قالت كرستين والدموع تنهمر من عينيها «في هذه الليلة لم يخلص جوني فحسب، لكني أشعر وكأني أنا أيضاً تغيرت، فأنا لم أعد كما كنت من قبل».

وفي أثناء حديثنا المشترك، قرع على باب غرفتنا رئيس اللجنة المنظمة للخدمة الكرازية، وقال بطريقة حاسمة «لا يمكن أن نوقف النهضة» ثم نظر إلى جوني وقال له «الرب يباركك أيها الابن، لقد لمستنا كلنا في هذه الليلة». وساد الصمت على الغرفة، ثم أضاف هذا الرجل «دكتور هجاي، أرجوك أن تستمر معنا أسبوعاً آخر. إن روح الله يتحرك في المدينة بصورة عجيبة. ينبغي أن تستمر!».

ومكثنا أسبوعاً آخر، وكان من أكثر الأوقات إثماراً في أيام دعوتي أنا وجوني ككارزين، فكنا شركاء معاً في الخدمة التي شرفنا الله بها.

الفصل الثالث عشر

بعد اختبار إستاد كرة القدم أصبحت لچوني اتجاهات جديدة في الحياة، فالترانيم التي كانت تزعجه أصبحت له مصدر سعادة وبهجة. وفي المرة التي قررت أن أتحدث فيها عن الهلاك الأبدي أخذت چوني معي، وكان يصغي باهتمام، ولم يعد متوتراً.

وعبر السنوات، كنا نرى إيمانه وثقته بالله تنمو كل يوم، وظهر الثمر في حفظه آيات الكتاب المقدس، والشغف الروحي الذي كنا نراه بادياً عليه عندما نصلي معه.

وعندما كان چوني في العقد الثاني من عمره، ذهبت كرستين وچوني معي إلى نهضة كرازية في سان دييجو بولاية كاليفورنيا، وكنت في أحيان كثيرة أثناء النهضات الكرازية أعقد يوم الأحد بعد الظهر اجتماعاً خاصاً للشباب، نتحدث فيه بحرية عن مشاكلهم. ولم نكن نسمح لچوني أن يحضر مثل هذه الاجتماعات، فمن الصعب أن نتناول بعض الأمور الجنسية أمامه. فهل كان ينبغي أن نبعده ولو وقتياً عن مناقشة هذه الأمور، خاصة ونحن ندرك أنه من المستحيل أن يعيش مع زوجة؟

وعندما سمعني چوني أعلن من على المنبر في أثناء نهضة سان دييجو، أنه بعد ظهر الأحد القادم سيكون هناك اجتماع خاص بالشباب، أعلن رغبته في الحضور، فسمحنا له.

وبعد الرسالة وجَّهتُ الدعوة للشباب المؤمن أن يسمحوا لروح الله أن يمتلك حياتهم تماماً: مواهبهم، ووقتهم، وميولهم الجسدية وكل شيء. ولم نكن أنا وكرستين نعرف ما كان يدور في عقل چوني، لكنه تجاوب مباشرة مع الدعوة. وحتى قبل أن يتقدم أحد من الشباب للأمام، كان چوني يصدر الأصوات بحزامه الحديدي تعبيراً عن رغبته في التقدم للأمام.

همست كرستين في أذنه «هل أنت متأكد؟»

أجابها «بيه». وبدأت عيناه تلمعان بينما كرستين تقوده للأمام.

وللمرة الثانية أثناء خدماتي الكرازية، لا يوجد شك إطلاقاً في إخلاصه، أو في صدق ما حدث داخل قلبه.

قالت له كرستين بعد ذلك «تستطيع أن تكون مؤثراً في عمل الرب مثل أي شاب من هؤلاء الشباب. وأكثر ما يحتاجه الله هم هؤلاء الذين يصلون. وبابا يحتاج إلى صلواتك، وتستطيع أن تكون مقاتلاً تقف بجوار والدك في تنقُّله العظيم بالكرازة عن طريق صلواتك».

وهنا قال چوني بقوة «بيه!».

وعندما كبر چوني أكثر كان مثل الصبي يسوع ينمو في «الحكمة والنعمة عند الله والناس»، لكنه لم يستطع أن ينمو في «القامة». فكانت مشاكله الجسدية تتفاقم ثم تضاعفت، فقلت لكرستين «يجب أن نُوظف أحداً ليساعدك أنت ووالدتك، ويعمل معكما بالتناوب». فقالت

«أن تُوظف أحداً هذا شيء. لكن أن تجد شخصاً يحاول أن يتأقلم مع احتياجات چوني فهذا أمر مختلف».

قلت «دعينا نحاول».

في مساء أحد الأيام ألحّت الأم باركر على كرستين لتخرج وتقضي بضعة ساعات مع صديقة عزيزة لديها. في تلك الليلة قالت لها صديقتها «سمعت أن سيدات كثيرات من أيرلندا الشمالية يردن أن يأتين إلى أمريكا. وأخبرتني صديقتي أنها أعلنت في إحدى الصحف، ووجدت بنتاً رائعة في الحال». فنشرنا إعلاناً في جريدة «بلفاست تلجراف» ثم تلقينا خطاباً من «الآنسة مجريث» وهي بنت غاية في الروعة، لعبت دوراً هاماً في أواخر حياة چوني.

وكان من الطبيعي أن تمرّ كرستين بحالة من التردد والتوتر. ومنذ أرسلنا خطاب الدعوة للآنسة مجريث في أيرلندا الشمالية وحتى تقابلنا معها في مطار أتلانتا، كانت تتزاحم الأسئلة في عقل كرستين: هل هي فكرة حكيمة أن نُحضِر أحداً من مكان بعيد؟ لنفترض أنها لم تصلح للعمل؟ ماذا لو كنا شخصيتين مختلفتين؟ هل ستكون مخلصة؟ ماذا لو رفضها چوني؟

ولعل أسئلة مماثلة كانت تدور في ذهن الآنسة مجريث، تلك الفتاة المنطوية جداً التي عانت في طفولتها من جروح قاسية، لكن الرب استخدم في شفائها «جلاديس إيلوارد» المرأة الصينية التي اشتهرت

بأنها «المرأة الصغيرة». وفي ما بعد قصَّت الآنسة مجريث لزوجتي ما حدث معها.

قالت الآنسة مجريث: «عزمتُ أن أكتب إلى الآنسة إيلوارد. كنت في الحادية والعشرين من عمري، وكنت أريد أن أمجد الله في حياتي، لكن كل جروح الطفولة سلبت مني أفضل ما لديَّ، وكنت أعاني من انهيار نفسي».

وبينما كانت الآنسة مجريث تتماثل للشفاء، رأت أمها إعلاننا في صحيفة بلفاست فقالت لها «لعل هذا ما أنت في حاجة إليه. أنت تريدين أن تقومي بعمل مرسلي مع الأطفال. تُرى هل الاهتمام بهذا الولد يُعتبر أحد الأعمال المرسلية؟».

ولم تهتم مجريث بما قالته أمها، فهي أولاً لم تتغرب إطلاقاً بعيداً عن أيرلندا. ومع أن التفكير في الخدمة المرسلية كان متعمقاً داخل قلبها، إلا أن شبح الخوف من أنها ستترك بيتها وأصدقاءها لفترة من الزمان بدأ يطاردها.

كما أن الاهتمام بچوني قد لا يضعه البعض تحت بنود العمل المرسلي، بالرغم من أنه كان لچوني إرسالية، وكنا مقتنعين أن الرب أعدَّ الآنسة مجريث لتشاركه في هذه الإرسالية، وبعد ذلك صارت لها هذه القناعة.

والله الذي صنع أمور حياتنا في مصنعه البديع لكي يتمم إرادته الكاملة، بدأ في الحديث مع هذه الفتاة الرقيقة الحانية.

وتطوع بيلي فلانجان (أحد أصدقائنا في بلفاست) أن يُجري المقابلة مع المتقدمين للإعلان.

قالت أم الآنسة مجريث لها «قدِّمي طلب تعيين موعد للمقابلة كما جاء في الإعلان، فلن تخسري شيئاً». وقاومت لعدة أيام وقالت لأمها «ربما لا يختارونني».. وفي ذلك الوقت بينما كنا في أمريكا نصلي طالبين قيادة الرب، كان هناك تثقل أكثر وأكثر على قلب الآنسة مجريث وصلّت «يا رب، هل تريد أن تخبرني شيئاً؟ هل أنت حقاً تريدني أن أذهب لهذا العمل؟ أريد أن أخدمك كمرسلة، لا كمربية أطفال». واعترفت لزوجتي فيما بعد أن الخطية التي كانت تقلقها أنها كانت تحاول أن تساعد الرب فيما يجب أن يقرره أو لا يقرره لحياتها.

وفي النهاية كتبت على مضض لجريدة بلفاست تطلب المقابلة. ووصلها خطاب من «بيلي فلانجان» يحدد الموعد في مدينة بلفاست التي تبعد حوالي عشرين ميلاً من بلدتها، إلا أنها لم تذهب.

لكن التثقل في قلبها ازداد وقالت «طار النوم من عينيي ولم أستطع أن أنام، وحاولت أن أقنع نفسي أن هذا يرجع إلى بعض الضغوط النفسية، إلا أن التبكيت الداخلي ازداد أكثر فأكثر، كان إحساسي بدعوة الله لي للعمل المرسلي تزداد إلحاحاً».

وقررت الآنسة مجريث أن تسأل الرب وتفعل ما فعله جدعون في القديم وسأل عن «جزة الصوف» (قضاة ٦). فإن كان الله يريدها أن تذهب إلى أمريكا، فليصلها خطاب ثان لإجراء المقابلة، الأمر الذي

يندر حدوثه لأنها أهملت المقابلة الأولى ولم تحضرها ولم تعتذر عن عدم حضورها. وارتعبت عندما وصلها بعد أسبوعين خطاب ثان!

وبدت المقاومة في داخلها تزداد، وصوت الطائرات التي تمر فوق قريتها والذي تسمعه يزعجها ويرعبها. كيف يمكنها أن تسافر هذه الرحلة الطويلة إلى أمريكا؟ وكيف تسافر وحدها؟ وكيف تقابل أشخاصاً لم تعرفهم من قبل؟ وكيف ترعى رجلاً معاقاً؟

كنا قد أرسلنا لها صورة چوني، وحاولتْ ألا تنظر إليها، وفكرت في أن ترميها، لكن بدلاً من ذلك وضعتها في كتابها المقدس، لعلها تكون من مقتنياتها المقدسة. وبينما كانت تختلي وقتاً بعد وقت مع كتابها المقدس، طالبة إرشاد الله ومعونته، كانت ترى صورة چوني أكثر وأكثر.

قالت لكرستين «هناك شيء في هذا الوجه. كنت أرى عليه علامات الألم الجسدي، لكني كنت أرى أيضاً صفاته الروحية. أنا في أيرلندا فتاة منطوية يائسة، وفي أمريكا ولد لا يستطيع أن يتكلم، ولا يمشي، ولا يطعم نفسه. ما هي الخدمة المرسلية التي أقدمها؟ كل ما أقدمه هو أن أجعل حياة والديه أسهل».

وعندما وصلها خطاب ثان من بيلي فلانجان، رأت «جزة الصوف» قد ابتلّت، فأدركت أن مقاومتها لم تكن مؤسسة على موضوع چوني، ولا بسفرها لأمريكا من عدمه، بل بإجابة السؤال: هل هي بإخلاص تريد إرادة الله لحياتها؟ ووجدت نفسها ترنم «حيث قادني أسير». وفي

اليوم التالي سافرت إلى بلفاست. وعندما فتح بيلي فلانجان الباب نظر إليها قال: «أنا أؤمن أنك أنت الشخصية التي نبحث عنها!».

ولم تعلّق الآنسة مجريث بكلمة.

وفي المطار، بدت الطائرة التي ستقلها عبر الأجواء إلى أمريكا وكأنها حيوان ضخم أتى من العصور المظلمة.

وقالت الآنسة مجريث بعد وصولها بعدة أشهر «جلستُ في الطائرة وكأني مشلولة، لم أستمع حتى إلى المضيفين وهم يطلبون منا أن نربط الأحزمة عند الإقلاع، فأتت المضيفة وربطت لي الحزام. لم أكن أفكر في الطعام. كنت خائفة جداً لدرجة أني لم أذهب إلى دورة المياه».

هبطت بها الطائرة في واشنطن ومنها استقلّت طائرة أخرى متجهة إلى أتلانتا. وقبل حوالي نصف ساعة من موعد هبوط الطائرة في أتلانتا هبَّت عاصفة قوية، وبدأت موجات البرق العنيفة تملأ السماء، وكانت الطائرة تترنح، وعندما لمست عجلات الطائرة الممر في أتلانتا، حدث برق عنيف ملأ سماء أتلانتا حتى ظننت الآنسة مجريث أن الطائرة انفجرت.

لكن من اللحظة الأولى التي رأيناها فيها، أدركنا أنها العطية التي أرسلها الله لنا من أيرلندا فأحببناها كلنا وأحبتنا هي أيضاً. احتضنتها كرستين وقبّلتها لأنها لاقت قبولاً من چوني.

وكان الإعجاب المتبادل بيننا في بادئ الأمر بلا أساس من الطرفين، فوضّحت كرستين للآنسة مجريث أسلوب حياتنا اليومي بكل تفصيل،

وأصبحت الآنسة مجريث بسرعة جزءاً من عائلتنا. فمجيئها إلى أمريكا كان بالنسبة لها إحدى العجائب كما لو كانت صعدت إلى القمر، فكانت تفكر في أمريكا على أنها أرض الأحلام. وبالرغم من حدوث بعض الخلافات القليلة بين كرستين والأم باركر، إلا أن الآنسة مجريث كانت تتوافق مع كليهما.

وبسرعة استطاعت كرستين أن تعتمد عليها في تلبية احتياجات چوني الجسدية والروحية. كانت الآنسة مجريث مسئولة عن إفطار چوني وكانت تهتم به من الساعة الثامنة والنصف صباحاً حتى السابعة والنصف مساءً، تتخللها بعض ساعات الراحة. وكانت فترة راحة ممتازة لكرستين، أعطتها مساحة من الحرية لم تذقها من قبل. وفوق هذا كله، أن الله أرسل الآنسة مجريث لتساهم مساهمة فعالة في النمو الروحي والذهني لابننا. ولم تكن استجابته للدعوة التي قدمتها في اجتماع الشباب في أمسية الأحد في سان دييجو حادثة عابرة، فقد كان لله خطة في حياة هذا الشاب، وأرسل الآنسة مجريث لمساعدته في إتمام الخطة.

الفصل الرابع عشر

كيف يصف الإنسان الألم؟ كانت آلام چوني متعددة وعميقة، تمتد من هامة رأسه إلى أخمص قدمه، تستطيع أن تقرأها في عينيه، وفي الصمت القاسي على شفتيه، وفي العجز الذي في يديه، وفي الجمود الذي يشبه القيد في قدميه.

كنا ندرك آلامه، ولم ننسها بل لم نتهرب إطلاقاً من وجودها، إلا أن چوني لم يدعنا نجعل آلامه محور تكوينه، فقد ارتفع فوق آلامه وأصبح ينبوعاً من الحب والاهتمام المتدفق للناس بعد أن تحررت روحه من الذات.

كنت أعظ بفعالية أكثر بسبب تأثير چوني عليَّ، فهو ابني حسب الجسد، ورفيقي في علاقتنا معاً كأولاد لله. قال لي أحد الزائرين «زرتُ بيوتاً كثيرة فيها معوَّقون لا يُقدمونهم للضيوف ولا يجلسون معهم. إلا أن الطريقة التي قدمت بها ابنك لي جعلتني أشعر أني أمام شخص نبيل ووقور». وعلى حد تقديري كان هو كذلك.

وكل ما أنجزته وتمتعت به كان لچوني القدرة على إنجازه، بل كان يمكن أن تكون لديه القدرة على إنجاز أعظم منه. عندما كنت أسافر كنت أفكر في چوني. كان لي امتياز أن أتقابل مع أشخاص مميزين، وكنت عندما أقابلهم أتمنى أن چوني يستطيع أن يقابلهم أيضاً. ولهذا فإن چوني هجاي، بطريقة فريدة كان في محور ومحيط دائرة خدمتي.

ومنذ طفولته، منذ أن كان صوتي يفجر فيه رد فعل تلقائي، أصبحنا متقاربين أكثر فأكثر في الروح. كان اختباراً جميلاً وعميقاً، بالرغم من أننا لم نختبر العلاقة الطبيعية بين الطفل وأبيه، فكانت علاقتنا تميل أكثر إلى علاقة رجل برجل.

كنت أحتفظ بعلاقتي معه عن قرب، لهذا قررت أن أستخدم التليفون في هذا الأمر حيث أني كنت كثير السفر، وكانت كرستين تضع سماعة التليفون على أذنه، وأحياناً تطول المكالمة لتصل إلى نصف ساعة، وكنت أتحدث معه كما أتحدث مع أي شخص.

لقد حدث تغيير لچوني فأصبح أكثر مراعاة للآخرين، وأقل في طلباته، وأكثر احتمالاً. ولا غرابة، فقد صار «خليقة جديدة في المسيح يسوع» أو كما يسميه الكتاب المقدس أنه اختبر «الميلاد الثاني». لكن الشيء الأكثر أهمية أنه كان ينمو في تكريسه الروحي، كان يريد أن يسمع أجزاء أكثر من كلمة الله ليحفظها. كان يقضي ساعات أكثر وأكثر في صلواتٍ توسلية لأجل الأقارب ولأجل آلامه، لكن من الجانب الآخر كان يقضي وقتاً أطول متوسلاً لأجل الخطاة الذين لا يعرفون مصيرهم الأبدي لينالوا الخلاص.

وبلا شك أن إعاقة چوني الجسدية، وحالة النسك الإجبارية التي كان يعيشها، كانت كفيلة أن تجعله يتبنى لنفسه فكر الرهبنة. لكن في واقع الأمر كان مظهره الخارجي لا يعبر عما بداخله، ففي داخله كان إنساناً ذا روح ثائرة، ومغامرات مكبوتة، بل ولاعب كرة محترف.

ومن المهم أن يتفاعل الأب مع ابنه جسدياً، ومن طفولته المبكرة كنت أتصارع أنا وچوني كثيراً، الأمر الذي كان يحبه، وعندما كبر أكثر كان يحب لعبة (الرست) وكانت لديه قوة معقولة، كان من الممكن أن يخطف الشيء من يدك، وكان متعصباً لبعض الأندية، ويغضب بشدة عندما يخسر فريقه مباراة. كان يريد أن يشترك في الألعاب الرياضية مثل البولنج، وتنس الطاولة. وكنا ندعه يجرب بقدر استطاعته، وكانت لعبة الشطرنج تسحره، وحاولنا أن نعلمه اللعبة لكنها كانت لعبة بطيئة بالنسبة له، وبمرور الوقت كنا نأخذ رأيه في كل احتمالات تحريك القطع، لكنها أصبحت بعد ذلك محبطة له.

كان چوني منذ أن يقوم في الصباح حتى يذهب إلى سريره ليلاً يعتمد علي الآخرين، الأمر الذي كان محبطا له جداً. وكنت أنا وكرستين نحاول أن نخفف من وطأة هذا الأمر عليه بقدر استطاعتنا، لكنه كان متهوراً، يقرر قراراته بسرعة ويريد تنفيذها فوراً.

ولأنه كان يعاني من آلام كثيرة وضيق، كان يشعر بعدم الراحة عندما يذهب إلى الأماكن العامة وعلى الأخص إلى الكنيسة. كان مغرماً بعظاتي، فهو من أكثر الناس الذين حضروا عظاتي، ولم يكن يركز في أي عظة عندما يعتلي المنبر شخص آخر.

وفي المرة الأولى التي أخذناه إلى نهضة كرازية كانت في مدينة موبيل بولاية ألاباما، ولم يكن قد رأى مثل هذا الحشد من الناس من قبل، وبدأ الشعور بالزهو يشع من عينيه عندما علم أن كل هذا الجمع

أتى ليسمع والده يعظ. وأثاره هذا جداً فبدأ يُصدر أصواتاً مزعجة، حتى اضطرت كرستين أن تنتهره. وحاول أن يكون هادئاً لكن سرعان ما نسي نفسه وابتدأ يصدر أصواتاً أكثر إزعاجاً، ورأت كرستين أنه بدأ يزعج من حوله، فأخذته للخارج، وما أن خرجت به حتى انفجر في البكاء.

قالت له كرستين «چوني، أنا لا أعاقبك. نحن نريد أن يسود الهدوء أثناء وعظ بابا، حتى لا تتشتَّت أفكار الناس الذين لا يعرفون الرب يسوع، ولا يسمعون الرسالة التي تُقدم إليهم».

بدأ الناس يأتون إلى كرستين وچوني ويتساءلون «هل هذا ابن دكتور هجاي؟».

ويغني چوني ويقول «بيه»

أتي الوقت الذي كان يريد أن يكون على المنبر معي، وكان هذا سيسرني لأن هذا كان يعني الكثير بالنسبة له، إلا أننا كنا ندرك أن بعض الناس سيتهموننا بالاستغلال.

فإن كنت تريد أن تضع يدك على الجوانب الطيبة في شخصية چوني، عليك أن تذكر أولاً كيف أنا وهو يشبه أحدنا الآخر في أمور كثيرة، منها أنه كان يريد أن يشاركني في أصولي العرقية، السورية، وبدقة أكثر الجنس العربي.

أحياناً كنا نسأله «هل أنت أمريكي؟» يجيب «أمن» أي «لا»

ثم نسأله «هل أنت سوري؟» يقول «بيه» أي «نعم».

كان يحب بلده، لكنه يعشق جذوره الأجنبية، وبمرور الوقت نما لديه اهتمام عميق للاحتياجات الروحية للعرب، وكان يؤلمه سماع تقارير سلبية من العالم الثالث، وأن القليلين يسمعون بشارة الخلاص، وأقل منهم يقبلون الرسالة.

كان والدي السوري يستمتع بصداقة حميمة مع حفيده، وكان چوني يسمع ربما لأكثر من عشر مرات في اليوم الواحد قصصاً من حياة جده.

كان والدي على وشك أن يفقد حياته عندما كان شاباً، فقد كان الأتراك وقتها يحكمون سوريا، وكانوا يجندون الشبان السوريين وهم في العشرين من عمرهم ليخدموا في الجيش التركي، وكان الشبان المسيحيون يدركون أنهم لن يرجعوا أحياء لأنهم كانوا يُوضعون دائماً في أخطر المواقع.

وقرر أبي وأخواه الأكبر منه أن يهربوا إلى أمريكا، فاختبأوا في عربة يجرها الخيل متوجهين من دمشق إلى بيروت. وفي الطريق أوقفهم أحد الجنود وسألهم أين هم ذاهبون، فأجابوه إنهم في نزهة. نظر تحت العربة، ووجد أن معهم مؤناً وأشياء تدل على أنهم في رحلة طويلة، فأوقفهم وقبض عليهم.

كان أبي الأصغر، وظن الجنود أنه الأسهل في الاستجواب، إلا أنه تمسك بالقصة وأصرّ أنه هو وأخواه في نزهة. وهدده الجنود وقالوا له «قل الحق وإلا سنقطع رقبتك».

وفجأة ظهر شخص يحمل أوراقاً معتمدة من سلطان تركيا وقال «كيف تجرؤون أن تفعلوا هذا مع أصدقاء السلطان؟». وفي الحال أطلق الجنود سراح الإخوة الثلاثة. وحتى هذه اللحظة لم يعرف أبي من هذا الرجل الذي كان سبباً في إطلاق سراحهم.

كان چوني يحب أن يستمع إلى بعض النوادر التي كان يقصها والدي عن نفسه بعدما جاء إلى أمريكا. فذات يوم أحد بينما كان يسير في الشارع سمع ترنيماً يقول «تقدموا للأمام أيها الجنود المسيحيون» فارتعب والدي وظن أن أعداء بدأوا يخرجون إلى الشوارع.

ساعدت خبرات والدي في شبابه چوني على إدراك مدى القهر والمعاناة التي يعيشها شعوب العالم الثالث.

ولأن چوني أصبح مهتماً بكل جوانب خدمتي، لم يكن يزور مكتبي كثيراً فحسب، لكن كانت كرستين ترتب له أحياناً أن يحضر جلسات اجتماعات العاملين معي. كان الجلوس لفترة طويلة مشكلة مستعصية له، لكنه كان بإمكانه أن يجلس ساعات طويلة في هذه الاجتماعات دون أن تسمع له صوتاً إلا عندما يعبرّ عن موافقته أو عدم موافقته على الموضوعات قيد البحث. وكان يتفاعل أحياناً بتلقائية مع بعض الموضوعات، وأحياناً لا يعطي رأياً إلا إذا سألناه.

حاولنا أن نراقبه عن كثب، فقد كان هناك ثمن لا بد أن يُدفع. أصبح چوني مرتبطاً عاطفياً باجتماعات العاملين، الأمر الذي كان يُرهقه جسدياً من كثرة الساعات التي كان يجلس فيها، حتى أنه كان يُصاب

بعدها بنوبات قيء شديد، فكنّا نخاف على حياته. لكن مهما كان الثمن الذي قد يدفعه چوني لم يرفض أي فرصة لحضور هذه الجلسات.

لا أبالغ عندما أقول إن ابننا كان على دراية بكل العمل الداخلي في معهد هجاي، مثل أي شخص من الموظفين أو أعضاء مجلس الإدارة. وبالرغم من أن اشتراكه كان محدوداً إلا أننا كنا نخبره بكل شيء، وقد تعودت أنه عندما أدخل المنزل، أذهب إلى غرفته لأقدم له ملخصًا لِما حدث.

كنت عادة أرفع يديه كنوع من التلامس الذي كان يحبه، فرفعتهما وقلت له «كان عملاً مضنياً اليوم، وأنا في غاية الإرهاق». ورأيت التعاطف يبدو في عينيه. وأكملت «أنا لا أعرف يا چوني كيف نستطيع أن نتناول كل هذه البرامج، فنحن نتصرف في الأمور المادية بكل حرص، لكن لا يوجد ما يكفي لتنفيذ كل برامجنا، إلا أننا ينبغي أن ننفذ كل البرامج، ولا نتقهقر للوراء».

ووافقني چوني وقال «بيه».

قلت «تعرف يا حبيبي، يدهشني تجاوب الناس عندما نطلب منهم التبرع لعمل جليل، فإذا عرضت أمامهم صوراً للأطفال الذين لا يجدون طعاماً، أو للمشردين بسبب الحروب أو الزلازل أو الفيضانات، عندئذٍ يجودون بالمال بسخاء. لكن عندما نحدثهم عن الكرازة، وعن مساعدة الناس ليكرزوا لبلادهم..عندئذٍ...!».

ورد چوني بهدوء «بيه».

لا أستطيع أن أشارككم بقصص چوني بدون أن أتكلم عن بعض الأمور التي تميَّز بها. أستطيع أن أدعوه «جندي الصلاة» وتستطيع أن تطلق عليه «اللواء چوني إدموند هجاي الذي يتقدم جنود الرب، ويحارب قوى الشر».

أنا متأكد من أمر واحد، أني لم أقابل أي شخص أصبح متحمساً لخدمة العالم الثالث مثل چوني، ولربما لم أشارك أحداً أكثر منه بالمشاكل التي كانت تواجه هذه الخدمة. أنا غير متأكد من ذلك لكن في كل الأحوال كنت أطلعه على التحديات التي نواجهها في الخدمة، وعلى النجاح الذي نلمسه في خدمتنا. وكانت مشاركتي معه بالنسبة لي دواءً يشفيني من كثير من المعاناة. كنا نركز في الأمور الإيجابية في الخدمة، وكان چوني مثقلاً بالصلاة لأجل الخدمة، فهو يصلي ويشكر الله على النجاح بل ويثق في قدرته على المعونة أمام التحديات. وكلما كبر چوني كان أكثر ثقة في الله. قد أقول له «نحن في حاجة إلى عشرة آلاف دولار قبل ظهر يوم الإثنين». وعندما يسمع هذا يستيقظ مبكراً يوم الإثنين، وينتظر مني مكالمة تليفونية تحمل بالتأكيد أموراً إيجابية بالنسبة لتوقعاتي، لأنه كان شريكاً لي في الخدمة، كنا كما يقول الكتاب «فإننا نحن عاملان مع الله» (١كورنثوس ٣: ٩).

الفصل الخامس عشر

بدأت خدمة الكرازة تزدهر وتنجح. أنا أقدّر الأشخاص وأؤمن أن الكرازة الشخصية هي أكثر الوسائل فعالية، لكني أيضاً أستمتع وأنا أرى عمل الله ينمو عددياً. كان الحضور في الاجتماعات الكرازية يزداد مع الوقت، وكان أصدقاؤنا من الخدام والعلمانيين يتوقعون نمواً مضطرداً في الخدمة في السنوات التالية. وكان كثير من القادة المؤمنين مقتنعين بأنه سيكون لهذه الخدمة تأثيرات عجيبة، وطلبوا مني أن أتفرغ تماماً لها. إلا أنه كانت لله خطط أخرى، وكان جزءٌ منها ولادة چوني، ومنحه المواهب اللازمة لخدمة متميزة طوال حياته.

كان چوني يزور المكتب كثيراً، ويحضر أكثر وأكثر الاجتماعات الكرازية. وبالرغم من إعاقته، كنت أنتظر حضوره إلى النهضات الكرازية ، كما كان هو أيضاً يتوقع أن يحضر.

وبالرغم من محاولات كرستين الكثيرة لتجعله أقل انخراطاً في الخدمة، أصبح منغمساً أكثر فيها، وبدأ يعبر بنبرات خاصة به عن كلمات مثل «أمين» بل كان يعبر بنوع من التهليل (المزعج أحياناً) عندما يسمع جزءاً من الخدمة يتفق مع قناعاته.

كان لي الحق أن أطلب من چوني أن لا يحضر الاجتماعات مرة أخرى، لكني كنت أريده أن يندمج، خصوصاً عندما أدركت كيف كان يصلي بلجاجة لأجل كل تفاصيل الخدمة.

وفي بداية كل نهضة كرازية كنت أقدم چوني من على المنبر، لأقول للناس إنه إنسان طبيعي، مثله مثل أي شخص من السامعين، لكنه معوَّق. وكنت أتحدث عن إعاقته بطريقة تجعل الناس لا يفكرون أننا ننتظر شفقتهم. وكان چوني يستمتع بهذه الكلمات. وعندما كان يكبر كان يدرك الفرق بينه وبين بقية الشباب، إلا أن الخطوة الأولى في اتجاه النضوج هو أن نقبل ذواتنا. وبالنسبة للمؤمن هناك بُعد آخر للقبول هو أن نقبل ذواتنا في إطار مشيئة الله. ويخبرنا خبراء علم النفس أن إحدى المشاكل البشرية هي عدم قبول الذات. وفي أثناء خدمتي قابلت كثيرين لهم ميول لرفض الذات، فقد يشعرون أنهم غير جذابين من الناحية الجسدية، أو أن قدراتهم الذهنية أقل من الطبيعي، أو أن مستواهم الاجتماعي وضيع. وبالتأكيد أن الله الذي وضع تصميماً لكل نبتة، له غرض مقدس في كل شخص خلقه، وأنا أرى أن چوني أحد خلائق الله المتميزة.

يدرك آباء قليلون أنه لكي تنمو شخصيات أبنائهم يجب أن يقبلوا أولادهم كما هم، ويكون هذا القبول تلقائياً وواضحاً. ولعل هذا يوضح مدى الخطأ الذي يرتكبه الأب والأم في جهالتهما عندما يظنان أنهما يعملان لصالح أولادهما، فيحاولان أن يشكلاهم على الصورة التي رسماها لهم في مخيلتهما.

لعل البعض يتهمونني بأن تفكيري سطحي بالنسبة لچوني، أو أني أريد أن أخفي بعض عيوبه. لكن لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. البعض

يُقيّم المعوقين في ضوء نظرتهم للعالم والحياة، فهناك من يرى المعوق إنساناً قليل الحظ لأنه وُلد بعيوب خَلقية. لكن الله ساعدني أنا وكرستين لنرى بكل وضوح وبكل روعة أن چوني يعلمنا أن الجانب الجسدي في الحياة يصبح أقل أهمية عندما نقارنه بالأمور الأبدية.

شعر الناس بقبولنا لچوني، وعندما كان يظهر مع كرستين كان الناس يرون بوضوح وصدق مشاعر كرستين تجاهه، الأمر الذي كان يشجعهم ليأتوا إليه. وليلة بعد الأخرى عندما كان يحضر النهضات الكرازية كان الناس يأتون إليه ويتحدثون معه، بعضهم بنوع من التعاطف، لأنهم لم يعرفوا أو يفهموا ما ينبغي أن يقولوه، لكن كثيرين كانوا يتكلمون معه كواحد من أصدقائهم الطبيعيين. وكان چوني مسروراً بذلك.

كان لهذه المقابلات بعض السلبيات، فابتدأ چوني يعبِّر عن نفسه بسلاسة. وقالت لي كرستين « يبدو لي إنه يعظ بحماس أكثر منك، وأحياناً يصل حماسه للذروة، فأراه وكأنه يريد أن يعظ من على المنبر». وفي أيام الصيف الحارة، كان جسده يتصبَّب عرقاً كما لو كان يعظ بمجهود عنيف من على المنبر.

وبعد أن استطعنا أن نجد من يساعد كرستين، استطاعت أن تأخذ دوراً في برنامج الخدمات الكرازية، وأصبح چوني مشجعها الأول!. وكان في كثير من الأحيان يتفاعل بشدة مع ترنيماتها أو مع عظاتي فيصيبه الإعياء الشديد ونضطر لنقله من المكان. أذكر على سبيل المثال أنه في

إحدى نهضاتي الكرازية المنعقدة في إستاد كبير، بدأ چوني يتفاعل مع الخدمة، وبدأ يصدر أصواتاً مزعجة زادت مع الوقت، فأخذ السامعون ينظرون لا إلى المنبر بل إلى كرستين وچوني، الأمر الذي أثر علي تسلسل أفكاري الوعظية لبضع دقائق.

حاولت كرستين أن تهدئه، إلا أن چوني كان يشعر بسعادة غير طبيعية ذلك المساء ونسي نفسه، الأمر الذي جعلني أؤنبه (وكان هذا نادر الحدوث) وقلت له «كان ينبغي أن لا تسبب هذا الإزعاج.. لقد تشتَّتت أفكار الناس». فخجل وأخذ يبكي لأن قلبه انكسر فندمتُ على ما قلتُه له.

قالت لي كرستين «إنه يحبك. أنت تعلم هذا، وسنحاول أن نساعده ليكون أكثر تعاوناً».

عندما بدأت الخدمة الكرازية تنمو وتزدهر كنت أقضي ساعات طويلة في الصلاة وفحص الذات. وأشكر الله على ثمر الخدمات الكرازية في شمال أمريكا، وأتمنى أن يزداد هذا الثمر.

أحب تنظيم المشروعات. وسمح الله في عنايته أن يكون حولي مجموعة من الأشخاص الأكفاء. وأثق أنه كان يمكن أن نتسع بطريقة عجيبة في خدمتنا الكرازية، لكن ما أزعجني بشدة هو عدم التوازن بين الكرازة في الغرب والكرازة في دول العالم الثالث. وقد سبق أن وقفت أمام نفسي في عملي الرعوي، والآن أقف ذات الوقفة أمام عملي الكرازي وتوجهي لخدمة العالم الثالث.

وعندما زرت غرب آسيا عام ١٩٦٤، نمت داخلي قناعة أنه ينبغي أن نبتكر طرقاً أخرى لتوصيل رسالة الإنجيل إلى هذه الدول التي هي أساساً دول غير مسيحية. وكان واضحاً لي أن القادة المؤمنين الوطنيين هم أقدر الناس على الكرازة بالإنجيل في بلادهم، فبسبب النزعات القومية وزيادة حركات التحرر، أصبحت الدول الغربية غير مقبولة.

ولم تكن لديَّ النية أن أقوم بهذه الخدمة بنفسي، إلا أن هناك ثلاثة عوامل دفعتني للخدمة في العالم الثالث:

الأول: أني لم أجد أي كنيسة أو هيئة تقدم التدريب اللازم لسد احتياجات العالم الثالث.

ثانياً: أثناء عامي ١٩٦٥، ١٩٦٦ درست مجموعة من الأشخاص المستنيرين الروحيين (وكانوا مجموعة من المرسلين الغربيين، وبعض قادة دول الشرق) ما يجري في العالم من تحولات سياسية واقتصادية، الأمر الذي رأت فيه أنه يجب تغيير استراتيجيات الخدمة.

ثالثاً: ما أسفر عنه اجتماع مؤتمر برلين الكرازي، حيث تمت مناقشة جوانب الكرازة والتي رأينا فيها ازدواجية العمل الكرازي في بعض الدول، وما ينتج عنه من إهدار للجهد، لكن من الجانب الآخر كان هناك تجاهل للكرازة في بعض الدول الأخرى.

في عام ١٩٦٨، وبناءً على طلب أحد القادة الإندونيسيين، قدتُ خدمة كرازية في جاكارتا بإندونيسيا، كانت مؤثرة جداً. لكن حدث شيء غريب مؤثر، فللمرة الأولى في إندونيسيا تعاون الخمسينيون

والمشيخيون معاً، وهما يمثلان أكبر تجمع مسيحي في هذه الدولة، مع بقية الطوائف المسيحية. وقد أثر هذا التآلف عليَّ. وتقابلت مع قادة كثيرين سألوني عن طريقتي في الكرازة، فعقدتُ مؤتمراً صغيراً عن «كيفية الكرازة» وهذا المؤتمر عزّز الفكرة التي وُلدتْ أثناء زيارتي لغرب آسيا في عام ١٩٦٤.

في البداية لم أكن متأكداً من نجاح هذه الفكرة، فاحتفظت بها سراً لأني أحب أن أدرس التوجهات الجديدة بعناية وأفحصها وأمحصها. لكن لا توجد قوة تستطيع أن تقف ضد الفكرة عندما يأتي وقت تحقيقها. وهكذا أعلنا عن مؤتمر نعقده في سويسرا في خريف العام التالي، ودعونا فيه القادة المتميزين من دول العالم الثالث. وهو أول مؤتمرات «معهد هجاي لتدريب قادة دول العالم الثالث». في هذا المؤتمر وقف الدكتور رولاند باين منْ ليبيريا، وهو حاصل علي شهادتين للدكتوراه وقال «لن أنسي إطلاقاً ما تعلمناه في سويسرا عن الخدمة والكرازة. وما بدأناه هنا كان ينبغي أن يبدأ منذ عشرين عاماً».

غمرني هذا المؤتمر بمزيج من البهجة والقلق. كان الحماس للعمل المرسلي في أمريكا يقلّ، ولم تكن دُور النشر المسيحية تنشر كتباً تتحدث عن مواضيع تهم دول العالم الثالث، وأحياناً كانت نظرة الأمريكيين الكارزين للعالم نظرة ضيقة.

قلت لچوني «هل تعرف أن هذا قد يكون أمراً جيداً وسيئاً معاً؟ ويمكن أن يكون جيداً أكثر منه سيئاً، فالمرسلون عملوا عملاً عظيماً في كل

العالم، وهم يتعلمون من أخطائهم كما يتعلمون من نجاحاتهم. ومن أخطائهم الكبيرة أنهم كانوا يبذلون جهوداً مضنية ليقدموا للأسيويين المسيحية في ضوء الثقافة الغربية بدلاً من تقديمها في ضوء الثقافة الأسيوية».

أشكر الله لأجل طريقة المرسلين الغربيين التقليدية، فأنا من الأجيال التي استفادت من هذه الطريقة. فالمرسلون الإنجيليون بشروا سوريا بالإنجيل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ونتيجةً لهذا التبشير قبل عمٌ والدي رسالة الإنجيل، وربح عمي بعد ذلك والدي للمسيح.

وألهب هذا الحديث چوني، وأحد الأمور التي أنتظر أن أفهمها عندما أذهب للسماء أن أكتشف كيف استطاع چوني أن يستوعب هذه الفكرة؟ كان تفاعل چوني مع الخدمة في العالم الثالث هو الذي أعطاني الدَّفعة أكثر من أي شيء آخر، وهو الذي ساعدني لأرى بوضوح ما يرشدني الرب إليه.

وبدأنا في الإعداد لأول مؤتمر في سويسرا، وبدأنا نتلمس طريقنا في دول العالم الثالث، والتحق بمجموعة العمل دكتور إرنست واطسون ذلك القيادي البارز، وعمل كعميد للمعهد. وأقولها بكل أمانة إن معهد هجاي لم يكن يُكتَب له الاستمرار لولا العزيز الدكتور واطسن. وهكذا بدأنا العمل المضني لنكسب ثقة الناس في الخارج، ونشجع الناس ليكونوا وكلاء أمناء، وليشتركوا معنا في الصلاة.

واستمرت خدماتي الكرازية في العالم الثالث. قلت لجوني «أنت تعلم كم أستمتع بمثل هذه النهضات، لكني الآن أشعر بالتعب. لقد حان الوقت ليحمل هؤلاء الشعوب المسئولية بأكملها لتقديم رسالة المسيح إلى أبناء جنسهم حسب ثقافتهم».

وكانت الخدمة الجديدة تتطلب مني سفراً كثيراً، وكنت أرسل من الخارج شرائط تسجيل لجوني، بعد أن أسجل عليها مقابلات مع أشخاص، وملخصات للاختبارات، والانطباعات، وكنت أسجل فيها أيضاً كلماتي التي كنت أقدم بها جوني لكثير من أصدقائي الجدد. ولهذا، فأشخاص مثل الجنرال چون هويد من إندونيسيا، أحد أوائل خريجي معهد هجاي وچورچ صموئيل، استشاري الأمم المتحدة في الطب النووي، وغيرهما كثيرون أصبحوا أصدقاء لجوني.

وعندما عدت للبيت بعد المؤتمر الثاني لمعهد هجاي في سويسرا، قدمت لجوني ملخصاً وافياً، وقلت «من الجميل أن ينعقد المؤتمر في سويسرا، وأنا أعتقد أنها أجمل بقعة في العالم، لكن هناك شيئاً يزعجني: إن الذين يحضرون التدريب هم قادة، ويعرفون أن يفكروا جيداً. لكني مازلت أعتقد أنه إذا عُقد المؤتمر في بلد من بلاد العالم الثالث سيكون هذا مفيداً لكثيرين من الوطنيين الذين تدربوا في دول الغرب، لكنهم تأثروا بالثقافة الغربية، الأمر الذي جعلهم غير مؤثرين في أوطانهم. ووافقني جوني. وهكذا انتقل المؤتمر من سويسرا إلى

سنغافورة عام ١٩٧١، وهو ما يُسمّى الآن «معهد هجاي». وهناك أسباب مُلحَّة لهذا الانتقال:

أولاً: كان الجو والطعام في سويسرا غير ملائمين لمعظم القادمين من دول العالم الثالث، فهم معتادون على أكل الأرز كل يوم، وعلى جو يميل إلى الجو الاستوائي.

ثانياً: ثم كانت هناك مشكلة لغوية، فكل القادة الذين يحضرون التدريبات يجيدون الإنجليزية، والقليل منهم يستطيع أن يتحدث بالألمانية. فعندما كانت تحدث بعض المشاكل وتتأخر الطائرات، كان المدعوون للمؤتمر يواجهون بعض الصعوبات في الاتصال بنا بسبب عائق اللغة، فكان من الصعب علينا أن نعرف هل وصلوا أم لا.

ثالثاً: كان عاما ١٩٦٩، ١٩٧٠ عامي جنون خطف الطائرات، وكثير من عمليات الخطف تمت في هذا الجزء من العالم. ولما كانت الطائرات قادمة من جنوب المحيط الهادي ومن الشرق تتوقف في بيروت أو تل أبيب أو القاهرة، كانت هناك مشكلة نفسية هي الرعب من خطف الطائرات. ولا يستطيع أحد أن يلوم من يخاف من خطف الطائرة التي يستقلها. وبالتالي أصبح انعقاد المؤتمر في سنغافورة حلاً لهذه المشكلة.

رابعاً: إلا أن أحد الأسباب الرئيسية التي جعلتنا ننتقل من سويسرا إلى سنغافورة هي أن سويسرا دولة تدفقات مالية، وعندما نذكر اسم سويسرا أمام المواطن الأمريكي العادي، ترتبط في ذهنه بحسابات في

البنوك، أو في أجازة للتزحلق علي الجليد، أو عطلة يقضيها في منتهى الرفاهية. لكن لا يخطر على باله ارتباط سويسرا بتقدمة عطاء من أجل الكرازة.

خامساً: كان هناك سبب آخر جعلنا ننتقل من سويسرا، فكان الانتقال من المطار (زيورخ) إلى مكان انعقاد المؤتمر يستغرق ساعتين ونصف. أما في سنغافورة، فيستغرق الوصول إلى أي مكان في الجزيرة في نحو ثلاثين دقيقة.

واستغرق الموضوع وقتاً طويلاً حتى يُجمع أعضاء اللجنة على أن سنغافورة هي أنسب مكان لعقد المؤتمرات، وذاد اقتناعهم بهذا في السنوات التالية.

وبدأت خدمة تدريب قادة العالم الثالث على الكرازة تنمو، فعقدنا مؤتمرين سنوياً (مدة كل مؤتمر خمسة أسابيع). ثم أصبحنا نعقد أربعة مؤتمرات، بالإضافة إلى عدة مؤتمرات قصيرة في أماكن مختلفة، يتبعها خروج المتدربين للكرازة. والأهم من كل هذا أن القادة الذين تلقوا برامج تدريبية، انطلقوا ليدربوا مؤمنين آخرين بما تعلموه.

أتذكر على سبيل المثال إبراهيم ديلوف من غانا، الذي حضر لسنغافورة، وكان قد قاد رئيس الولاية إلى المسيح، وعاد إلى غانا مزوَّداً بكمٍّ هائل من المعرفة والحماس، وكوَّن مع مجموعة خريجي هجاي وبمعاونة رئيس الولاية، مجموعة عمل هدفها أن تجعل غانا مثالاً للأمة المسيحية في وسط أفريقيا المضطربة. وفي أواخر يونيو

وأوائل يوليو عام ١٩٧٧، أعلن رئيس الولاية، والجنرال كوتو أشيمبونج مستشار الولاية العسكري، أسبوعاً من التوبة والصلاة لكل الولاية، وطلبوا من القس إبراهيم ديلوف أن يرأس الاجتماع الرئيسي ويقدم العظة الرئيسية.

وكان هناك رجال مثل جوس نيباب من الفلبين الذي غادر سنغافورة مشتعلاً ومازال يحتفظ بشعلته ملتهبة حتى الآن.

إلا أنه كان هناك بعض الإحباط، مثلما يحدث في أي معهد تعليمي، فالمنتقدون كانوا يركزون على نقاط الفشل ويتجاهلون النجاح.

وكان من المحاضرين في المعهد دكتور شاندو راي الأسقف الأنجليكاني من باكستان، والدكتور كيونج تشيك هان من كوريا، وهو الراعي الفخري لأكبر كنيسة مشيخية في العالم، والدكتور لي ون سول الكاتب الصحفي وسكرتير عام الإتحاد الدولي لرؤساء الجامعات وعمداء الكليات بجامعة كينج هي الكورية بسيول. وكان من المحاضرين دكتور چورچ صموئيل الذي ذكرته من قبل، ودكتور تيموثي يو رئيس قسم الاتصالات بجامعة هونج كونج، وآخرون على ذات المستوى.

كنا نستعين بخبراء العالم الثالث ليدربوا ويحفزوا قادة العالم الثالث، وأصبح التدريب أكثر وأكثر ملاءمة لمن يحضرون، ومقبولاً جداً من أبناء أوطانهم عندما يعودون إلى بلادهم. وكان مفتاح التدريب هو

اختيار القادة. ولعل أحد مشاكل الإرساليات الأجنبية إنها لم تكن قادرة على اكتشاف القيادات.

واستطاع چوني أن يلم بواقع العالم كله، فكان يستمع إلى كل الأخبار من خلال التلفزيون، وكان يحرص على ألا يفوته خبر يخص العالم الثالث، واعتبر رؤساء مدن دول العالم الثالث من أصدقائه المقربين باعتبارهم قادة من بين القادة الذين سيرتبط معهم بعلاقات شخصية نافعة.

وبالرغم من أن چوني لم يكن يملك حافظة نقود، ولم ينفق دولاراً واحداً بنفسه، إلا أنه كان يملك إحساساً بقيمة المال، وأذكر أن أحد أعضاء مجلس الإدارة أتى من رحلة لدول العالم الثالث في ١٩٧٣، واقترح أن مواطني هذه الدول يسددون نفقات التدريب في بلادهم بدلاً من أن يعتمدوا على معهد هجاي. فنظر چوني بابتسامة تعبِّر عن موافقته، مما يجعلك تظن أنه انتُخب أميناً لصندوق المعهد وأدرك تبعات هذا العمل وضغوطه.

ذكرت من قبل أن المؤمنين الأمريكيين فقدوا رؤيتهم بالنسبة للكرازة العالمية، وكنت أتمنى أن هؤلاء يلتقون بچوني الذي كان يعرف بوضوح معني التكليف الإلهي «اذهبوا إلى العالم أجمع». وكان يدرك مدي الفقر الروحي الذي يعيشه هؤلاء المؤمنون إن لم يكن لديهم رؤية الرب يسوع ومشاعره وهو معلق على الصليب وعندما قام من الأموات.

لكن كان هناك أمر يزعج چوني، وهو سفري الطويل خارج أمريكا الذي قد يمتد لثلاثة أسابيع. فأثناء خدمتي في أمريكا كنت أعود إلى البيت بعد النهضات الكرازية كل أسبوع، وعندما كنت أقضي أكثر من هذا كان چوني وكرستين يحضران معي. فكان ينبغي أن نناقش معه بحرص خطط الخدمة عبر البحار، لأنه بالرغم من اهتمامه بالخدمة في العالم الثالث، إلا أنه لم يستطع أن يتغلب علي التأثير العاطفي لابتعاد أبيه عنه خصوصاً لو كان خارج البلاد.

وكلما أصبح چوني مهتما بالخدمة أكثر وأكثر بدأنا نفكر في طرق أفضل نعبّر بها عن هذا الاهتمام. واقترح بعض أعضاء فريق العمل أن تكون هناك بعض التقارير موقعاً عليها من چوني. وأحببت أنا وكرستين هذه الفكرة لأن هذا يمثل آفاقاً جديدة بالنسبة لچوني، أن نكتب مسودة الخطاب بمساعدته، ثم نريه الخطاب بعد إتمامه. إلا أننا لم نستطع أن نُظهر هذا العمل للنور، فإن كان الناس يُظهرون تعاطفاً وفهماً لابننا بطرق عديدة، فنحن لا نستطيع أن نعمل أي شيء يعطيهم انطباعاً أننا نستخدمه لنكسب تعاطفهم.

قالت كرستين لچوني «هناك أشياء كثيرة لا تستطيع أن تعملها، إلا أنك تستطيع أن تقدم حياتك لأعظم عمل لمجد الله علي الأرض، فيمكن أن تكرس حياتك للصلاة لأجل أبيك، وللخدام المسيحيين في كل مكان".

وتتذكر كرستين دائماً نظرات التصميم في عينيه وهي تقول هذه الكلمات، وهو يجيبها «بيه».

لم يتغير جوني، فكان دائماً مصدراً للبهجة، مهتماً بالعالم الذي من حوله، مملوءًا مرحاً. وبدأ في مهمة الصلاة والتشفع أمام الله، وأخذ هذا الأمر على عاتقه بجدية، وكأنه توظف في هذا العمل وأتقنه. وبدأت كرستين تضع أمامه قائمة الصلاة، فكانت تكتب الأسماء لتساعدنا نحن على تذكرها لا لتساعد جوني، فبالنسبة لجوني، كان لا ينسى أي اسم أو مشروع يُضاف إلى القائمة. وكانت «الآنسة مجريث» تساعد جوني في ترتيب مواعيد الصلاة، فهي شخصية ملتزمة مكرسة، وكانت تشاركه بكل سرور في الصلاة. وكنت أكرس أوقاتاً أقضيها أنا وهو وحدنا في الصلاة، ولم أتقارب معه في أمر قدر تقاربي معه في الصلاة.

وبالطبع كانت لكرستين فرص صلاة أكثر مني مع جوني. كنا نذكر اسم الشخص أو الموضوع أمام جوني ثم نترك له الفرصة لكي يعبّر بصمت أمام إلهه عن هذا الأمر، وكنا نحاول أن لا ننسى أي موضوع، فإن فعلنا هذا كان يعبر عن اعتراضه، ولم يكن كافياً أن نذكر مجرد موضوع أو اسم من القائمة، لكنه كان يصر أن نذكر القائمة كلها من بدايتها إلى نهايتها، ويصلي لكل أمر أكثر وأكثر.

ولعلك تسأل: لماذا كنا نحتاج أن نساعده في كل مرة؟ لماذا لم يختزن كل هذه الأمور في ذاكرته، ويبدأ في الصلاة وحده؟

أولا: جوني شخص اجتماعي يحب أسرته، وأعتقد أنه كان يحب أن يكون مع المقربين إليه في أوقات الصلاة.

وقد يكون هناك سبب آخر هو أنه لم يكن يستطيع أن يتكلم، لكنه كان يفهم كل كلمة تُقال، ولربما كان يحب أصوات الكلمات أكثر منا، ويريد أن تتخلل فترة العبادة أصوات مسموعة وأصوات غير مسموعة. وأنا أتساءل عن مقدار حصيلته من الكلمات، وهل كان يستمتع بالكلمات بذات الطريقة التي كنت أستمتع بها أنا؟ ربما كان چوني في داخله شخصاً فصيحاً جداً، لكن لا نعلم هذا، لأنه يعيش في صمت عميق فرضته عليه الظروف.

كان يريد أن يتذكر كل المشاركين والمحاضرين في مؤتمرات سنغافورة، لكن إن ذكرنا أي احتياج خاص للمشاركين أو للمحاضرين، كان يتثقل بالأمر. فمثلاً سمع أن هناك احتياجاً خاصاً لچورچ صموئيل، بخصوص مرض أحد ابنيه. وعندما كنا نصلي ورد اسم چورچ أوقف چوني الصلاة عندما ذكرنا اسمه

سألته في الوقت الذي كان فيه لچورچ احتياج خاص وقلت له «هل نسينا شيئاً يا حبيبي؟» قال «بيه»

«هل هو شيء يخص چورچ نفسه؟»

«بيه»

«هل ذكرت لك عن بعض برامجه في الأمم المتحدة هذا الشهر؟»

«امن»

«هل له احتياجات خاصة؟»

« امن ! امن ! امن!»

«نعم، لقد عرفت. ابنه الجديد»

«بيه!»

كان من النادر أن أقضي ساعات في الصلاة لأجل موضوع معين، كنت أضع الموضوع أمام الله باختصار وبوضوح، لكن الأمر لم يكن هكذا بالنسبة لچوني، فلم يكن يحدّ حياة الصلاة بوقت عندما كان أحد منا يصلي معه. قد نجده صامتاً وهو على كرسيه سانداً رأسه، ولأجل حالته الصحية كان من الضروري أن نكون بالقرب منه كل الوقت.

قد يسأله أحدنا «هل أنت نائم؟»

يجيب «آمين»

عندئذ نفهم، ونرجع متأكدين أن ابننا في جلسة خاصة في محضر القدير الذي قال «اطلبوا تجدوا.. طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها».

الفصل السادس عشر

لكي أروي قصة چوني كاملة يجب أن أشارككم في أمر خاص عميق بل وجميل للغاية. تذكرون الآنسة مجريث تلك الشابة المدهشة التي أتت إلى بيتنا. في البداية كانت خجولة للغاية لدرجة أنها كانت تخجل عندما نناديها بل وقد ترتبك، وعندما يأتي إلينا بعض الزوار حتى ولو كانوا معتادين على زيارتنا، كانت تختفي مباشرة. واستلزم الأمر بضعة شهور لتبدأ في التغلب على الخجل. لكنها بسرعة استطاعت هي وچوني أن يقيما علاقة حية نابضة.

أتت الآنسة مجريث إلينا عندما كانت في أوائل الثلاثينات من عمرها، وكان چوني في ذلك الوقت في أواخر العقد الثاني. وأقولها بصراحة: إن الاثنين وقعا في الحب معاً، لكن دعني أشرح الموضوع بعناية. إن عالمنا اليوم مريض عاطفياً ويفتقد القيم الأساسية، لا يعرف إلا القليل عن نوع الرابطة التي ربطت الاثنان معاً. سبق وقلت كيف أن چوني كان طبيعياً من جهة إدراكه للبنت الجذابة، ومن أكثر الأمور إحباطاً بالنسبة لوضع جسده الحبيس، هو عدم قدرته نهائياً أن يقيم علاقة جسدية مع الجنس الآخر.

لقد لبت الآنسة مجريث حاجات چوني بطريقة جميلة وعميقة وذات معنى. لكن كيف أستطيع أن أصف هذه العلاقة؟ الأمر أكبر بكثير من مجرد علاقة ذكر وأنثى، وكانت العلاقة أكبَر من علاقة أخ بأخته،

بالرغم من أنه يمكن أن يكون هذا هو أقرب وصف للعلاقة. كانت مجريث تتصف بصفات أخلاقية سامية تجعلها أبعد من أي علاقة رخيصة، وأذكى من أن تتوقع أي نوع من الرومانسية. هل الحب العذري يصف ما نراه؟ أم هل هو نوع من أنشودة الحب؟ لكني مقتنع أن الخالق لا يُعدم وسيلة ليبتكر ويخلق لابننا وللآنسة مجريث نوعاً من العلاقة المتفردة التي تجمعهما عاطفياً معاً.

كان تواصلي مع مجريث محدوداً للغاية، لا يتعدى بعض الفكاهات العابرة، وكنت أسأل باستمرار «هل تسير الأمور على ما يرام في وجود الآنسة الأيرلندية؟».

كانت كرستين تطمئنني. وذات يوم قالت كرستين «أعتقد أن أفضل طريقة لتقييم عمل مجريث أنها لا تُظهر إطلاقاً أي نوع من الشفقة لچوني مهما كانت الأمور». وهنا أخذتُ موقف المدافع! فابتسمت كرستين وأمسكت بيدي وقالت «هي تعامله كما لو كان شخصاً طبيعياً. كنت أتكلم معها بالأمس وقالت لي (وتستطيع أن ترى كيف كانت في منتهى الإخلاص) أنها لا تنظر إلى الأمور غير الطبيعية في چوني، لكنها ترى بدلاً من ذلك چوني نفسه. كانت تحبه حباً جميلاً وعميقاً، كما أنها كانت تحترمه وتقبله».

وكلما أرجع أنا وكرستين بذاكرتنا إلى الوراء ونفكر في مجريث وموقفها تجاه ابننا، كلما اقتنعت أكثر أن الله أعطانا جميعاً بصيرة

خاصة. كانت عطية إلهية لنا، وبدون هذه العطية كنا فشلنا في إثراء حياة چوني، بل أيضا كنا سنتسبَّب في فقر أنفسنا.

وكما أشرت من قبل أن كثيرين كانوا يتعاملون مع چوني بدافع العطف. وأنا متأكد أن وجود أشخاص معه يتحدثون إليه كان مصدر تسلية له، حتى عندما يكونون سبباً في تشتيته. وعلّق أحدهم يوم أن رأى چوني في مكان عام قائلاً «هو شخص عزيز لدينا، لكن تُرى هل يفهم ما يدور حوله؟».

أجبت بحزم على مثل هذه التعليقات «هو حاد الذكاء مثلنا تماماً، وأنت تعلم أن القدرة على التعبير بالكلام لا تعني الذكاء!».

وغنّى له رجل عجوز «أليس هذا هو الشاب اللطيف. إن ماما سيدة لطيفة، تنظفك وتلبسك وتأتي بك لتسمع بابا وهو يعظ».

تخيَّلوا كلمات تُقال لشاب طبيعي بهذا الأسلوب! وكان هذا يحدث مع چوني مرة ومرات بسبب إعاقته الشديدة، لكن أقول أنه كان يحدث بسبب الإعاقة الشديدة في عقول هؤلاء الذين كان ينبغي عليهم أن يفهموا الأمور بطريقة أفضل.

وعندما كان چوني يجتاز في مرحلة المراهقة، كان مراهقاً كاملاً، لكن متخفياً. كان شاباً كاملاً طبيعياً، وشكراً لله لأني كنت أنا وكرستين ومعنا الآنسة مجريث نرى هذا.

وكنا نبدي احتراماً لا في الكلمات التي نقولها فحسب بل في طريقة تعبيرنا عنها، من خلال نبرات الصوت وتعبيرات الوجه، وربما فوق

كل هذا عن طريق صراحتنا وعدم ريائنا.

كانت مجريث شخصية منطوية، لكنها مثل الآخرين كانت منفتحة مع جوني، فملابسها الأيرلندية المميزة ولهجتها الأيرلندية الأصيلة، كانت تثير فيه الإعجاب، فعندما لا يعجبه طعام كانت تقول باللهجة الأيرلندية «تذوّق قطعة صغيرة» ثم تضيف بعد ذلك بذات اللهجة «تعال الآن واهجم».

في البداية لم تستطع زوجتي والأم باركر أن تفهما لهجة الآنسة مجريث، إلا أن جوني فهمها سريعاً.

غنّت مجريث يوماً «بكل تأكيد تستطيع، فإن بدأت في الكلام فبلا شك ستتكلم باللهجة الأيرلندية. أليس كذلك يا جوني؟ فلهجتك ستكون كما لو كنت مولوداً في بلفاست».

كانت تداعبه بقصص وروايات خيالية، فهناك كثير من الأساطير الأيرلندية مثل أسطورة الجنية الخبيثة وغيرها، وكانت تطبّق الكثير من الخرافات عليه، وعندما تسمع دعابة (نكتة) كان جوني أول من ترويها له. وهكذا توطدت الصداقة بينهما.

كان جوني يستمتع بالملابس. في البداية كانت كرستين والأم باركر تشتريان الملابس وتحضرانها له. لكن عندما كبر قليلاً كان يفضل أن يختار ملابسه بنفسه، واستطاعت مجريث بمساعدة كرستين أن تحدد ما يعجبه وما لا يعجبه من الملابس، الأمر الذي أعطاها فرصة لتغيظه أحياناً (على سبيل الدعابة) ولم تدع هذه الفرص تفلت منها. فعندما

ذهب ثلاثتهم إلى محل بيع ملابس أراهم البائع بعض الموديلات، وأخذ ينظر بلطف إلى چوني. وكان واضحاً أن السيدات كنَّ يبحثن عن شيء يرضيه. واقترح البائع موديلاً غريباً، حتى أن كرستين قالت «أنا أتعجب أن هناك مصمماً يصمم مثل هذا الموديل الغبي».

فقالت مجريث (متظاهرة أنها تتكلم بكل جدية) «قل رأيك يا چوني. إذا ارتديت هذه الملابس، لن يلاحظ الناس وجهك الجميل على الإطلاق».

وهنا تمايل چوني للأمام والخلف وهو على كرسيه المتحرك، وقلبه يطفر فرحاً. ثم قالت بعنف «إن كنت تعتقد أني مجرد قطعة من اللحم هنا، عندئذٍ تستطيع أن تختار لنفسك».

وهنا ضحك چوني من كل قلبه، واكتشف البائع كما اكتشف من كانوا يرقبون الحوار أن چوني إنسان طبيعي، ويجب أن يعاملوه على هذا الأساس.

كان چوني يحب أن يلمس خامة الملابس، لا أن ينظر إليها فقط، وكان يسأل عن الأسعار ويراقب موسم التخفيضات، فهو مشترٌ ذكي بارع في تناسق الألوان. وعندما كنا نشتري ملابس جديدة كان يحب أن يرتديها فوراً. (وأفضل الطرق لكسب وده وبناء صداقة معه هي أن تعلق تعليقاً إيجابياً على ما يرتديه). ومع أن أمه ومعاونيها تعلموا بعض الأمور التي تجعل من التسوق أمراً أقل إرهاقاً لچوني، إلا أن التسوق كان يؤثر تماماً على قوته، فكان يعود إلى البيت بعد التسوق مرهقاً جداً حتى لا يستطيع أن يرى ما اشتراه.

كانت الآنسة مجريث عوناً لنا في مثل هذه المناسبات. واستطاعت بطريقتها الهادئة أن تحل هذه المشكلة بهدوء ورقّة، فكانت تتحدث معه عن أنسب الأوقات للذهاب إلى المحلات، وأفضل الاختيارات، وكيف يُعجَب الناس من أناقته، واستطاعت أن تهدئه وتمتص توتره. وكانت تقول له «الآن وقت راحة المسرحية. فأنا متعَبة قليلاً». وكان يستريح قليلاً ويسترخي أثناء هذا العمل المثير.

في بادئ الأمر تعجبت كرستين والأم باركر من كيفية نجاح الآنسة مجريث في إطعام چوني إذ كان الطعام له مثل تعامل الجراح مع جرح مؤلم. لقد اختبرها چوني أولاً واستراح لها، وكما كان يعتمد على كرستين والأم باركر في إطعامه، أصبح يعتمد على الآنسة مجريث.

عندما بدأت مجريث تقدم له الطعام أمام فمه لأول مرة أغلق أسنانه على الملعقة ونظر إليها نظرة تحدٍّ، إلا أنها تجاهلت الأمر وكأنه يحدث كثيراً، وقالت بصوت حزين لكنه رقيق «أنا أعلم أن الأمر صعب، لكن ينبغي أن تأكل الطعام. دعنا نحسب الوقت الذي سننتهي فيه من تناول الطعام». وفي خلال أيام كانت عيناه تلمعان عندما يراها آتية له بالطعام. ولم يمض وقت طويل إلا واستطاعت أن تطعمه أسرع من أي شخص آخر.

لقد صبرت «إلى المنتهى». وهذا ما كان يميزها مع أنه يناقض طبيعتها، فهي عصبية ومتوترة، إلا أن الله أعطاها الموهبة لتستطيع أن

تتواصل مع چوني بل وتتعلم منه. ولم تملّ من نمط يومه الروتيني لكنها كانت تتعامل معه كأنه أمر جديد كل يوم.

وكنا دائماً نتركه ينام حتى ساعة متأخرة في الصباح بقدر الإمكان، وعندما كانت تأتي الساعة التاسعة صباحاً، كانت تدخل غرفته وتحييه وتحتضنه وتقبّله، ثم تلبسه الحزام الذي يدعم جسده، وتقول له «إنه يوم بديع يا چوني، وسيكون أجمل لأننا رأينا وجهك المشرق في هذا الصباح».

كان يستمتع بالمديح، لكنه كان يعترض إذا وصفه أحد وصفاً لا يناسب ذكورته. وكانت الآنسة مجريث تعرف أن تتعامل مع هذه السمة. فعلى سبيل المثال، كان چوني يتقبل حقيقة أنه غير قادر أن يتحكم في وظائف جسده، وكان يريد أن يكون نظيفا دائماً، وكان يتأذى من رائحته الكريهة. وتعلم أن لا يخجل عندما تعتني به امرأة، لكنه كان يحس بالخصوصية. وعندما كانت الآنسة مجريث تعتني بحاجاته الخاصة، كانت طريقتها في الكلام معه عادية كما لو كانت تتكلم معه في غرفة المعيشة.

كان طعام إفطار چوني دائماً من كريم القمح، ولم يمل منه إطلاقاً، لكنه كان يعترض كثيراً على بعض الأنواع المفضلة لأنه كان يجد صعوبة في البلع، فهو لم يكن يمضغ طعامه، لكن كان يبلعه، فلو كان الطعام ساخناً قد لا يجد الوقت الكافي ليختلط باللعاب ويقلل من درجة حرارته فيستطيع أن يبلعه.

أرادت مجريث يوماً أن تغيظه فقالت له «عندما نذهب إلى السماء سأدعك تطعمني، وسأقلقك كثيراً وأقول عن الطعام إنه ساخن أو إنه بارد أو إن حلاوته زائدة أو إنه مالح. وسأقول هذا بصوت عالٍ حتى أن جبرائيل بنفسه سيأتي ليرى ما الأمر. لكن على كل حال نحن أصدقاء ولن أتضايق منك إطلاقاً، مهما كانت طريقتك في تناول الطعام».

كانت تأخذه بعد تناول طعام الإفطار إلى دورة المياه ليستحم، وتحلق له ذقنه، وتصفف شعره، وكانا يستغلان فترة الاستحمام في الصباح لحفظ أجزاء من كلمة الله. وكان يتلذذ بالقول «لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ» (رومية ١٠: ٩).

ولما كان يتعلم الآيات عندما نكررها أمامه جزءاً جزءاً، كنا نقول له «لأنك إن اعترفت» ونصمت إلى أن نشعر أنه استوعبها وفهمها، فنقول «بفمك بالرب يسوع» ونقرأ من خلال عينيه أنه أدرك المعنى وهكذا.

ومثل الكثيرين منا، تعلم يوحنا ٣ :١٦ في طفولته المبكرة، وكانت الأنسة مجريث أحياناً في أثناء لعبها معه تعيد صياغة الآية وتقول «هكذا أحب الله مجريث فقط، ولا أحد آخر في العالم». فيقاطعها بصوت عال «أمن! أمن» أي «لا! لا!». حتى تقولها في النهاية بالطريقة الصحيحة، ثم يبتسم مبدياً موافقته. وعلى كل كان يحب

طريقتها في أن تخلط الآيات ببعضها، أو تقولها بطريقة خاطئة. ويبدو أن هذه طريقة هامة في أسلوب التعليم، حتى إن اندهشنا من ذلك.

كانت تقص عليه قصص الكتاب المقدس لساعات طويلة، كان يحب قصة يوسف وقميصه الملون، وكان موضوعه المفضل هو السماء. فعندما يسمع عن شوارعها الذهبية، وعن الأيام اللانهائية التي لا تحدها الشمس، وعن عدم وجود ألم أو دموع أو موت، كان وجهه يشرق.

كانت الآنسة مجريث تقرأ له كتباً كثيرة فسمع عدة قصص مرات عديدة. وكان ينتظر صباح كل يوم أحد نبذة «القوة» التي كانت ترسلها له أمي.

كانا يشاهدان التليفزيون معاً، ولم يكن يهتم بالفكاهات باستثناء فكاهات التسالي، وكان مغرماً بحفلات بيتهوفن.

اعتادت الآنسة مجريث أن ترنم أثناء استحمام چوني الصباحي، وباعترافها هي لم يكن صوتها جميلاً بل كانت في كثير من الأحيان تشذ في نغماتها، الأمر الذي كان يجعل چوني ينفجر ضاحكاً، وكان يطلب منها بإلحاح أن ترنم له كل صباح. وعندما كانت تجد نفسها لا تريد أن ترنم كانت تقول له «أنا غير سعيدة هذا الصباح».

وعندما يلح عليها تقول له «أنا تحت أمرك، فأنت تريدني أن أرتل نشازاً حتى تضحك عليَّ». فيقول «بيه». وتضطر رغماً عنها أن تخضع.

هل من الجائز أن ابننا كان يتمتع بأذن موسيقية؟ من الممكن أن يكون قد ورث عن أمه هذه الموهبة الفذة. كانت أمامنا أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات، وكنا نحاول أن نفسرها، لكن سيأتي اليوم عندما نرى چوني وسنعرف كل شيء.

تعودت أن أستخدم بعض الذين يرنمون منفردين أثناء خدمتي، وكان چوني معجباً بهم جميعاً ويستمع لهم مشدوداً بكل ترنيمة. ربما بينما كانوا يترنمون كان يرنم معهم في داخل قلبه، وكان يصغي بصفة خاصة لكلمات ونغمات الترانيم، وقد أدركنا ذلك من خلال الترنيمات التي سمعها يوماً عندما كان يستحم في الصباح، فعادة كانت الآنسة مجريث ترنم لبضعة دقائق. في ذلك الصباح رنمت الآنسة مجريث بعض الأعداد على قدر ما أسعفتها ذاكرتها، وكانت تنتقل من عدد لآخر. والأمر الطبيعي أن ترنم العدد الأول ثم ما يليه، وكانت الترنيمة تقول

«هناك اسم أحب أن أسمعه

وأحب أن أرنم له

فهو مثل الموسيقى لأذني

وهو أحلى اسم على الأرض»

وشدَّت هذه الترنيمة انتباه ابننا، وكان في غاية التركيز إلى أن ترنمت مجريث بالقرار

«كم أحب يسوع

كم أحب يسوع

كم أحب يسوع

لأنه هو أحبني أولاً!».

وهنا بدأ چوني يتململ. وظننت أنه يريدها أن تكرر القرار فبدأت ترنمه مرة ومرات، إلا أن حالة الضيق لدى چوني زادت، فبدأت ترنم ترنيمة أخرى، فبدأ يهدأ ويصغي.

ومرت عدة أيام بدون ترنيمات، وفي صباح أحد الأيام أشرقت الشمس من نافذة حجرة چوني وترنمت الآنسة مجريث «كم أحب يسوع» وهنا بدأ چوني يتوتر، وبسرعة غيرت الترنيمة وبدأت ترنم ترنيمة أخرى. لكنها بدأت تفكر في سبب ما حدث. فعندما كانت الأمور تتعلق بچوني، كانت تفهم كل رغباته وردود أفعاله، وكلما فهمته أفضل ساعدته أكثر.

وفي صباح اليوم التالي، اختارت عدداً آخر من الترنيمة وبدأت ترنم

«إنه يخبرني بمحبة المخلص

الذي مات ليحررني

إنه يخبرني بدمه الثمين

الذي يبرر الخطاة».

كان چوني يصغي باهتمام وعيناه مركزتان عليها وهي ترنم من أعماق قلبها، ثم بدأت ترنم القرار:

كم أحب يسوع!

وهنا اعترض چوني «أمن! أمن!».

وصمتت الآنسة مجريث في الحال، ونظرت إليه لحظات ثم قالت له «ما الذي يضايقك يا چوني؟ لماذا لا تريدني أن أرنم هذا القرار؟».

فكرر «أمن! أمن».

فكرت لحظة ورفعت قلبها لله طالبة منه الحكمة لفهم الموقف، وقالت «هل لأنك لا تريدني أن أحب الرب يسوع أكثر منك؟». فابتسم چوني ابتسامة عريضة مملوءة بالحرارة واستبدلت كلمات ونغمة الترنيمة ورنمت

«كم نحب يسوع!».

وقد ساهم چوني في إخراج الآنسة مجريث من تقوقعها، واستطاع أن يُخرج من حياتها رائحة زكية وأنغاماً مبهجة، كما تخرج وتترعرع الزهرة من البرعم.

في بداية الأمر لم تلاحظ كرستين التناقض الكبير بين حرية الآنسة مجريث مع چوني والتزامها الشديد مع كل منا.

وذات يوم قالت الأم باركر عن الآنسة مجريث «إنها بشخصيتين». فقد كانت تعمل مع چوني وتتحدث إليه، وتقرأ له. وفي بداية عملها مع چوني كانت عندما يدخل أحد حجرته كانت تصمت، لكن بعد ذلك عندما بدأت تشعر بالحرية، بدأت تتغير.

بدأت كرستين تدرس الآنسة مجريث بعناية، وكما دخلت مجريث في قلب چوني بمحبتها ورقتها، قررت كرستين أن تعاملها بالمثل.

عندما أتت مجريث في البداية، كانت ترتدي ملابس قاتمة اللون، لكن لأن چوني كان يحب الملابس الزاهية قررت أن تغيّر ألوان ملابسها لتكون زاهية ومشرقة.

وكانت كرستين تقول لها كثيراً عندما تراها في الصباح وهي ترتدي ملابس زاهية «أنت تبدين أنيقة هذا اليوم».

في البداية كانت تتقبل هذا المدح بنوع من التشكك، إلا أنها كانت حادة الذكاء وخجولة وحساسة. لكن مع الوقت بدأت تتآلف مع زوجتي، وتنفتح لها.

وبدأت كرستين تعرف عن الآنسة مجريث بعض الأمور القليلة. وذات يوم، ذهبا معاً للتسوُّق، فاشترت الآنسة مجريث فستاناً جميلاً كان سيعجب چوني، واختارت عقداً وقالت لها «ألا يضفي هذا العقد لمسة جمال على هذا الفستان؟». فعبس وجهها وتوترت. فتذكرت كرستين أنها لم تر الآنسة مجريث ترتدي أي نوع من المجوهرات إطلاقاً، فأدركت أن ثمن العقد لا علاقة له بالتوتر وقالت «هل تسمحين لي أن أشتريه لك؟ انظري تناسق ألوان الفستان والعقد. إنهما رائعان معاً».

وهنا قالت مجريث «لكن السيدات المؤمنات في أيرلندا الشمالية لا يتزينّ بمثل هذه الزينة الخارجية».

فسألتها كرستين «وماذا عن هذا الفستان الزاهي الذي اشتريته؟».

فاحمرَّ وجهها.

وهنا بدأت أولى المناقشات الطويلة بين كرستين ومجريث عن الملابس والمجوهرات وأدوات التجميل، وقالت لها «ليست البودرة أو المجوهرات هي التي تحدد علاقتك بالمسيح، إنها العلاقة القلبية».

حكت الآنسة مجريث عن خبرتها وهي طفلة أنها كانت مرحة ومبتسمة وتتمتع بروح دعابة، لكن دعابتها كانت تُقابل بالتعنيف أو التجاهل أو الصمت. وذات يوم سمعت إحدى الفتيات من اجتماعها عن عزمها أن تكون مرسلة، وقالت لها «يا لها من ثرثرة سخيفة! أنت خاوية من الداخل ولا أظن أنك مؤمنة، فالعمل المرسلي ليس لأمثالك. وأقول لك يا مدام هَجاي إن هذا الكلام حطمني، فتقوقعت داخل نفسي أياما كثيرة مثل السلحفاة».

وهنا قالت لها كرستين «ألا تتفقين معي أن الآنسة مجريث الحقيقية، والآنسة مجريث التي تخفينها ليس نفس الشخصين، فعندما تهتمين بجوني تكونين أنت الآنسة مجريث الحقيقية».

وعندما سمعت هذه الكلمات انهمرت دموعها، وأصبحت أقل توتراً، وأكثر استرخاءً. وبعد ذلك بدأت تسأل كرستين أسئلة كثيرة، فأدركت زوجتي أن هناك علاقة قوية تأسست بينهما، وبدأت مجريث الحقيقية تظهر على الأفق، حتى ولو بطريقة جزئية.

ويبدو أنه كان هناك شيء آخر يقلقها، لكنها كانت عاجزة عن ذكره أو ربما لا تريد أن تشارك به أحداً. لقد كان عميقاً في داخلها، ولم تستطع كرستين أن تضع يدها عليه في البداية. لاحظت كرستين أنهم

عندما يخرجان معاً ليتمشيا، كانت الآنسة مجريث تتأخر بضع خطوات عن كرستين، وعندما يتقابلان مع أي شخص تبدو عليها علامات القلق من أمر ما. لكن ما هو هذا الأمر؟ اعتادت كرستين أن توبخها بلطف وتقول لها «أريدك أن تسيري معي ولا تؤخري نفسك». وحاولت كرستين أن تُشجعها علي الإفصاح عن ما بداخلها الذي يجعلها تتصرف هكذا، وكانت ترى في عينيها رغبة أن تقول لها ما هو هذا السر، لكنها لم تكن تملك الشجاعة لتتكلم. في البداية ظنت كرستين أن هناك شيئاً دفيناً بداخلها يجعلها تشعر بالذنب، لكن الأسئلة أثبتت عدم صحة هذا الأمر. ثم لاحظت أن الآنسة مجريث عندما تقابل الغرباء تنظر لأسفل مركزة على قدميها.

وذات يوم أخذتها كرستين بين ذراعيها وسألتها «هل أنت محرجة بسبب رجليك؟ إن هذه مشكلة فتيات كثيرات، لهن أرجل غير جذابة مثلك تماماً».

وهنا تراجعت مجريث كما لو كانت كرستين أصابت الهدف، وتقابلت عيون السيدتين معاً في صمت رهيب لمدة لحظات، ثم هدأت مجريث وبدأ يظهر هذا على ملامحها وقالت «منذ كنت طفلة، كنت مثار للسخرية، والضحك».

وقالت كرستين «فكري في چوني. نقابل أشخاصاً لا يستطيعون أن يروا أن وراء مشاكله الجسدية شخصاً طبيعياً؟».

قالت مجريث والكلمات تخرج منها بصعوبة بالغة «هذا أحد الأسباب التي جعلتني أحبه كثيراً فقد علمني الكثير عن الصبر وعن قبول النفس».

وهنا طمأنتها زوجتي وقالت لها «إن نظر الناس إلى رجليك، وكان هذا كل ما يرونه فيك، فهم الذين يجب أن يخجلوا، فكثيرون يولدون بعيوب خَلقية، وأكثر الأشخاص جمالاً في كل من قابلت فتاة وُلدت بعاهة في وجهها لكنها كانت تتمتع بجمال حقيقي. ألا تتفقين معي أن قيمة الإنسان الحقيقية كامنة في داخله؟ أنت إنسانة تتمتعين بإنسان داخلي غاية في الجمال!».

وهنا وقعت مجريث بين يدي كرستين وبكت، وبدءا يتكلمان معاً بأكثر حرية عن بعض الأمور الناموسية القاسية بين المؤمنين في المجتمع الذي تربَّت فيه مجريث، وعن التركيز ليس على ما لا يجب أن نعمله كمؤمنين، بل على ما ينبغي أن نعمله.

بعد عدة سنوات، عندما كنت أنا وكرستين في إحدى النهضات الكرازية، قالت الآنسة مجريث لإحدى صديقاتها «أنا أحب مدام هجاي، لأنها إنسانة بحق. فالمؤمنون في بلدي ينتقدون الناس كثيراً ويعيشون في عزلة، وحتى قادتنا وزوجاتهم لا يعيروننا اهتماماً. إلا أن مدام هجاي علمتني أن أعيش حياة مسيحية طبيعية بلا توتر، وكيف أجد السعادة الحقيقية في الرب يسوع».

فلم يكن زوج كرستين هجاي فقط هو الذي يقدّر كرستين هجاي.

الفصل السابع عشر

كان چوني يقضي أغلب ساعات اليوم في وضع الانبطاح على وجهه لأنه الوضع الأقل إرهاقاً لجسده اللين، وكنا نرفعه قليلاً لنمنع الحمض الذي في معدته من أن يتسرّب إلى المريء ويسبب له آلاماً مبرحة. فكانت إحدى مشاكله أن العضلة القابضة التي تفصل ما بين المعدة والمريء لا تُغلق كما يحدث مع الأشخاص الطبيعيين.

ولعل البعض يعتقد أن چوني من النوع الخامل الكسول الذي لا يتحرك، لكنه على العكس تماماً. فكل ما أحتاجه هو أن أقول أمامه إني أنوي السفر وأسأل إن كان أحد يريد أن يأتي معي. وقبل أن يبدأ أي واحد في التفكير يقول چوني بأعلى صوته «بيبه». وقد يبدو في بعض الأوقات متعباً، وتظهر ملامح الألم الشديد على وجهه، لكن بالرغم من صعوبة حالته، فهو لا يدع أي فرصة من هذه أن تفوته.

ويستلزم السفر مع چوني مسئوليات إضافية كثيرة نتيجة متطلباته الخاصة، وإن كنت أخطط لرحلة معينة تعرف كرستين أنها ستكون صعبة على چوني، كانت تقضي معه الوقت لتشرح له الوضع، وكيف أن السفر سيكون قاسياً بالنسبة له، وذلك لكي تتجنب أن تصيبه بالإحباط على قدر الإمكان.

وأعتقد أن جزءاً من شغف چوني بالسفر هو ميله الطبيعي كأي طفل للسفر. لكن هناك شيء آخر، فأي سفر مهما كان، يقدم له انطلاقة من

ملل السكون الذي يعيشه، فچوني لم يكن حبيس البيت فقط، لكنه كان حبيس حجرته، فلا يخرج منها إلا إذا ساعده أحد، وكنا نبحث عن كرسي متحرك من الممكن أن يتحرك ميكانيكياً، لكن لم نجد شيئاً يناسب إعاقته الخاصة،فكنّا على استعداد للتكيف مع ميله الشديد للسفر.

وكنا نسافر أغلب رحلاتنا بالسيارة لأنها أكثر الوسائل الملائمة لوضع چوني. وعندما كنا ننوي شراء سيارة جديدة، لا نضع في اعتبارنا ما فيها من كماليات أو وسائل رفاهية بقدر ما نضع في اعتبارنا هل هي مريحة لچوني؟ هل يمكن أن نضع الكرسي المتحرك في صندوق السيارة ويكون هناك مكان لبقية الحقائب؟ كانت هذه أولوياتنا القصوى في أي سيارة.

وعندما كنا نسافر بالسيارة، كنت أعتبر چوني «عضواً في فرقة مسرحية» فكنت أتعجب وأنا أراه متألماً جداً ومبتهجاً جداً في ذات الوقت! متألماً لأنه كان يشعر في داخله أنه تسبب في إزعاجنا، لكنه مبتهج لأن السيارة تنعشه بحركتها، وهو يستمتع برؤية المناظر الساحرة. لكن السفر بالنسبة لچوني كان يعني أنه سيذهب إلى أماكن جديدة، فيها يلتقي بأشخاص جدد ويتعرف عليهم، فتكون له فرصة للتفكير فيهم، الأمر الذي يعطيه أبعاداً جديدة في التشفع من أجلهم.

وأحياناً يكون السفر بالسيارة صعباً للغاية، فنحن نحتاج أن نكون قريبين من دورات مياه، ومن مصدر للمياه الجارية، ففي لحظة قد

يُصاب چوني بالإعياء الشديد، ولكن هذا يهون عندما نرى على وجهه علامات البهجة وهو يسمع صوت دوران المحرك ويشعر بذبذباته.

وكان السفر يستلزم منا أن نأكل في الخارج، والرحلات لا تناسب إعاقة ابننا، والسفر يعني تناول الطعام في المطاعم. ولحسن الحظ كان چوني يحب المطاعم، بالرغم من أنه يتناول كميات ضئيلة بسبب حالته الصحية، فكان يتناول بعض الحبوب المطبوخة في الصباح، ويتناول الحساء وقطع التفاح المسلوق في بقية الوجبات. إلا أن المطاعم تعطيه فرصة رؤية الناس، بالرغم من أننا كنا نختار الأوقات المتأخرة بقدر الإمكان لنتجنب الزحام.

وعندما كنا نذهب إلى أي مطعم كنت أقول للمضيفة «نحن نفضّل مكاناً هادئاً بعيداً عن الناس». فكان القائمون على الخدمة دائماً يتفهمون الوضع، ويقبلون چوني كما لو كان شخصاً طبيعياً. وأعترف أن الذين يخدمون في المطاعم كانوا يقدروننا جداً.

وبالرغم من أن چوني لم يكن يستطيع أن يحكم على نوعية الطعام، والتالي لا يترك اسم المطعم أي ذكرى عنده، إلا أن بعض المطاعم تركت ذكريات خاصة لديه. ففي الرابع من يوليو عام ١٩٥٧، كنا في مدينة كلاريسڤيل بولاية تنيسي، ومنها سنسافر بالسيارة إلى مدينة موبيل بولاية ألاباما لنخدم في إستاد المدينة. وفي الطريق وبمحض إرادتنا اخترنا فندقاً به صالة طعام ضخمة، حتى يمكننا أن نتناول الطعام في أحد أركانه المنزوية ولا نسبب إزعاجاً لأحد. وانتظرنا

أيضاً لساعة متأخرة فدخلنا صالة الطعام في الساعة الثانية صباحاً، الوقت الذي يكون كل الرواد تقريباً انتهوا من تناول الطعام. وهناك على الجانب البعيد، كان ثلاثة أشخاص يتناولون الطعام، لم نلحظهم إلا عندما قام أحدهم وهو ضابط شاب، وجاء إلى طاولتنا، وقد بدا عليه التأثر الشديد، والدموع تملأ عينيه. نظر إلى چوني ثم نظر إليَّ، وبدأ يحل رباط عنقه وأزرار ياقة قميصه، ثم خلع سلسلة كانت حول عنقه معلقاً فيها صليب أو ميدالية القديس كريستوفر (لا أتذكر أيهما) وقال «سيدي، هذه أنقذت حياتي عدة مرات، وأود أن أقدمها لابنك الصغير».

قلت له «إن رجاءنا ليس في إيقونات أو ميداليات أو صور لكن في إلهنا الحي».

قال وشفتاه ترتعشان ويداه ترتجفان «إذا لم يكن لديك مانع يا سيدي، إذا لم يكن لديك مانع».

ولم أحاول أن أثنيه عن عزمه، سواء ما فعله كان مناسباً وحكيماً أم لا.

وكنا نراقبه باندهاش وهو بملابسه الأنيقة، ينحني ويضع بكل رقة السلسة حول عنق چوني ويربت على رأسه بكل حنان. وكان چوني يرقب كل هذه الأمور بنظرة تعجب.

قلت له «يا ابني، ما اسمك؟»

قال بصوت منكسر «حسناً..». وأخذ أصدقاءه وذهبوا إلى الخزينة ودفعوا حسابهم ومضوا.

وحلّ علينا جميعاً صمت رهيب، وفقدنا شهيتنا لتناول الطعام، ثم جمعنا حاجاتنا، ودفعنا حسابنا، وتركنا المطعم وذهبنا إلى السيارة، وقُدْت السيارة والجميع صامتون إلى مدينة فلورنسا بولاية ألاباما وكان الأمر بالنسبة لنا غريباً، فنحن لسنا من الأشخاص الصامتين. وأخيراً قطعت كرستين الصمت وقالت «لا أستطيع أن أمحو هذا الشخص من فكري».

وقالت الأم باركر «ولا أنا».

قالت كرستين «يا له من توبيخ حاد لنا على عدم مبالاتنا». فسألتها «ماذا تقصدين؟». قالت «أمامنا شاب، يقضي ليلة الرابع من يوليو مع اثنين من أصدقائه، وعندما رأى في المطعم الكبير طفلاً محتاجاً تفجرت في قلبه عواطف جياشة، فلم يبالِ بتهكم أصدقائه واحتمالات رفض والديْ الطفل، وسار في كل المطعم ليقدم للطفل الغريب ما يعتقد بكل إخلاص أنه أنقذ حياته في مناسبات كثيرة. لقد أعطى أغلى ما لديه لهذا الطفل الصغير، ونحن نعيش وسط أناس كثيرين يحتاجون إلى الرب يسوع، يعانون من «مرض الشلل الدماغي» الذي يظهر على هيئة قلب منكسر، وشعور بالذنب، وخوف، وخطية. لم نبْدِ أي اهتمام بهم كالاهتمام الذي أبداه هذا الضابط الشاب بجوني. ونحن نعرف أن لدينا الحل، ولكننا لم نشاركهم بأغلى ما نمتلك».

كان هذا توبيخاً مؤلماً، لم أنسَه طول حياتي.

وعنما أصبحت مواعيدي مزدحمة، كنت أسافر بالطائرة. ولا يمكن

أن تتخيل مدى الإثارة عندما كنا نرتب رحلة بالطائرة لأول مرة مع جوني. تحدثت الأم باركر، ومجريث وكرستين كثيراً عن الاستعداد للرحلة، وكانوا حريصين أن لا يعرف جوني تفاصيل الحديث. كانت كرستين مترددة قليلاً، إلا أن مجريث قالت بلهجتها الأيرلندية المتميزة «جوني سيحب الطائرة جداً، وأنا متأكدة من ذلك، وسأعتني به إذا كانت هناك أية مشاكل، ولا تقلقي إطلاقاً».

وبالرغم من تخوفنا، لكن ما أن ذكرنا موضوع السفر بالطائرة أمام جوني، إلا وأضاءت كل الأنوار الخضراء أمام وجهه. كان متلهفاً للذهاب إلى المطار وكان يتململ لأي ازدحام ولو قليل في الطريق قد يؤخر وصولنا.

كان في أواخر العقد الثاني من عمره عندما أخذناه لأول رحلة بالطائرة، وجلس في المقعد المجاور للنافذة، وعندما أعلن الطيار أنه مستعد للإقلاع، وبدأت المحركات تعمل بكامل طاقتها، ثبت جوني عينيه على ممر الطائرة، وعندما بدأت ترتفع أخذ يرفع جسمه، كما لو كان يشعر أكثر من أي شخص آخر ببهجة الطيران.

وطوال الرحلة كان جوني ينظر من النافذة. وفي كل رحلة طيران ذهب فيها جوني معنا بدءاً من هذه الرحلة، كان ينجذب تجاه المضيفة الجذابة والجميلة.

ولم يتضايق جوني إطلاقاً عندما كنا نذهب إلى المطار ونجد أن هناك تأخيراً في موعد الطائرة، فقط كنا نذهب بكرسيه المتحرك إلى أحد

الأركان حيث يستطيع أن يراقب حركة الناس، ويتابع بعينيه البنات وهنّ يسرنَ إلى أن يختفين.

قالت كرستين «أعتقد أن چوني لو كان شخصاً طبيعياً مثل باقي الشباب، ما كان يسمح لنفسه أن يجلس كباقي الشباب في الأماكن التي فيها يراقب البنات لإثارته جنسياً».

أجرى أحد أعضاء فريق العمل دراسة على الوضع الأخلاقي لطلبة المدارس الثانوية في أمريكا، ووجد أن نسبة مخيفة تنظر إلى ممارسة الجنس على أنها نوع من التسلية ولا علاقة لها بالأخلاق. ولو فكرت للحظة أن لچوني جسد طبيعي، وسلك كما يسلك شباب اليوم، لكنت بالتأكيد أريده أن يكون كما هو الآن. إن قلبي يتألم على الآباء في هذه الأيام، خصوصاً على الآباء المؤمنين.

كان الأمر أحياناً يحيرنا ونحن ندرك أن چوني يتمتع بميل طبيعي تجاه الجنس الآخر. كان يتضايق من المناظر الرومانسية العنيفة، فكانت كرستين تحاول أن تغير هذه البرامج، وبالرغم من أنه كان طبيعياً في هذا الأمر إلا أني متأكد أنه كان يريد أن يكون مستقيماً.

وتقييمنا لابننا ينبع من كيفية اختياره لأصدقائه، فكان يهتم بالقيم التي في الناس، وكان يتفاعل مع هذه القيم.

كان يشعر في داخله بالتعاطف الشديد مع أشخاص مثل بوب بيرس الذي يدرك مقدار الجوع الروحي في عالمنا، وكان يعتز اعتزازا

خاصاً برجال مثل ويندل فيلبس الذي فهم ما يجري في العالم من تغيير وأدرك رؤيتي للخدمة في العالم الثالث.

كتبت «مدام بيرث» صاحبة برنامج الأطفال الشهير «ساعة الكتاب المقدس» خطاباً جميلاً لجوني كان يعتز بكل كلمة فيه، وكان يستمع إلى برنامجها الموجَّه إلى الأطفال، بالرغم من أنه كان يفضل برامج الكبار.

كانت هناك علاقة بينه وبين أورال روبرتس، وكان ابننا يحبه جداً ويشاهد برامجه على شاشة التليفزيون، وكان جوني يدرك التركيز على الشفاء في خدمات أورال، لكننا لم نشعر أن جوني كان يركز على هذا الأمر في تفكيره، ويبدو أنه تقبَّل إعاقته حتى يستطيع أن يمارس خدمته الأساسية، وهي الصلاة.

عندما زارنا پول هارڤي وزوجته المحبوبة أنجيل في بيتنا، صارت بينهما وبين جوني صداقة، وكانت لهما فرصة ممتعة معه تحدثوا فيها عن العمل الكرازي، وعن الألعاب الرياضية، وعن بعض الأمور العامة. وعندما جاءت عائلة هارڤي إلى أتلانتا ليُلقي پول خطاباً، قدموا لجوني دعوة خاصة ليزورهم في جناحهم في الفندق، وقدَّر جوني هذه اللفتة، لا لأن هارڤي من المشاهير لكن لأن جوني كان يحب الذين يؤثرون في مجتمعاتهم. كان لپول شخصية ساحرة، يمكنك أن تدركها بمجرد رؤيته أو سماع برنامجه.

وكان جوني يستمتع على وجه الخصوص بزيارة دكتور هان، رجل

الدين الكوري، وهو قائد متميز، متواضع، لا يتحدث عن ذاته. ودكتور هان هو الرجل الذي يجسِّد قوة المحبة في العلاقات الإنسانية. ومعروف أنه عندما تكون في محضر شخص تريد أن تُظهر له احترامك وتقديرك فإنك تتحدث بصوت منخفض. ولا أعتقد أننا قلنا هذا لچوني. لكن الدموع انهمرت من عينيَّ عندما اقترب دكتور هان بكرسيه من چوني وحدَّثه بصوت هادئ، ذلك الصوت الذي يستخدمه وهو يتحدث إلى رؤساء دولته، وتحدث إلى ابننا عن كنيسة «يونج ناك» العظيمة، وكيف قبل كثيرون المسيح مخلصاً لهم من خلال رسالة هذه الكنيسة، كما حدَّثه عن النمو في قوة الدولة ضد التهديدات التي تواجهها من كوريا االشمالية، وأعطى چوني جاكت جميل كان يعتز به طول حياته.

وفي إحدى نهضاتي الكرازية عام ١٩٦٦، دُعيت المرنمة الشهيرة نورما زيمر، لترنم ترنيماً منفرداً. وكانت أول مرة تشترك في نهضة كرازية بهذا العدد الضخم، وكانت نورما غاية في الرقة مع چوني، وأخذت صورة لها معه، وكانت ترسل له تسجيلات ترانيمها الجديدة.

وفي النهضة الكرازية ببلتيمور، تقابل چوني مع أشهر الرياضيين، ومنهم رايموند بري وهو من أعظم لاعبي كرة القدم، ودون شينيك. وبعدما انتقلنا إلى أتلانتا سمع فيليب ألو من فريق أتلانتا برافيس عن چوني وأرسل له كتابه موقَّعاً فيه بيده، وذكر أنه قبل المسيح مخلصاً.

لكن ربما كان چيم إروين الشخص الذي كان چوني مغرماً به على

الدوام. وفي اليوم الذي صعد فيه إلى القمر تسمَّر چوني أمام شاشة التلفزيون. ولبقية عمره كان چوني يعتز بالخطاب الذي أرسله له رجل الفضاء الشهير. لكن فوق كل شيء كان چوني يحب أن يسمع عن خدمة هذا الرجل وحياته.

كانت كرستين تدرك أن هناك قدرات كامنة في چوني، فهو شخص مغرم بالموسيقي وله تذوق خاص للموسيقي الكلاسيكية وخاصة الأوبرا، وكان ينتظر يوم السبت من كل أسبوع ليستمع إلى كل برامج الأوبرا.

في عام ١٩٦٦، وقبل أن نخطط لنأخذ چوني معنا في رحلة إلى هاواي، بدأ يعاني بشدة من فتق في الحجاب الحاجز، الأمر الذي سبب له مشاكل في التنفس، وقرر الأطباء إجراء جراحة له. وعندما سمع هذا امتلأت عيناه بدموع الكرب الشديد.

قلت له «إذا تحسنت حالتك سنذهب إلى هاواي لبضعة أيام».

وغيَّر توقُّع السفر نظرته إلى العملية الجراحية. أحضرنا بعض الملصقات عن شركة الطيران ووضعناها في كل أركان غرفة نومه، وكانت كرستين تقرأ له من أوراق الدعاية لشركة الطيران، وفجرَّ فيه هذا التوقع تصميماً عجيباً. وكانت الرحلة بالنسبة له فترة رائعة للنقاهة، ووفرت له مجالاً خصباً لبناء شخصيته. واكتشفنا أن مناخ هاواي يناسب چوني أكثر من أي مكان آخر أخذناه إليه، وذهبنا إلى السوق الدولي، وإلى معرض كوداك، وقضينا وقتاً ممتعاً على البلاج.

وذات ليلة دعانا صديقنا ويندل فيليبس لفندق هيلتون كاهالا لنشاهد عرض داني كلاكيني البديع، وكان هذا أثناء حرب ڤيتنام، وكان المكان يعج بالسياح والجنود المشتركين في الحرب. وفي أثناء الفاصل وقف ويندل وقال «أحب أن كل واحد منكم يتقابل مع صديقي الذي يتمتع بالشجاعة كأي جندي في هذا المكان، إنه يقاتل في حرب لا نعرف عنها أي شيء، ولم يتذمر، ولم يشتك، أو يشعر بالأسى على نفسه. إنه لا يستطيع أن يقف لأنه يجلس على كرسي متحرك، وإن كنتم تستطيعون أن ترفعوا رؤوسكم يمكن أن تروه، إنه صديقي العزيز چوني».

وانفجر المكان بتصفيق حاد وصيحات هتاف لچوني، وظهرت علامات السعادة على وجه چوني، وأصبح النجم الثاني في عرض ذلك اليوم.

وبعد أن أسسنا المقرّ الرئيسي في أتلانتا، كنا نأخذ چوني كثيراً إلى جبال ستون، حيث يوجد نادي للعائلات بالقرب منه. وأخذناه أيضاً إلى معرض ولاية چورچيا، وكان فيه كثير من الألعاب المسلية مثل العربات الكهربائية، والأرجوحة، وغيرها من الألعاب التي يركبها الكبار والصغار، وبالطبع لم يستطع چوني أن يشترك في كل الألعاب المتاحة، لكنه مارس ما كان يناسب حالته الصحية، وكان يستمتع بكل لحظة، وكان على استعداد أن يكرر الألعاب مرة ومرات.

وكأي شاب كان لچوني اهتمامات متعددة، إلا أن اهتمامه الأساسي كان

منصباً على خدمتنا للعالم الثالث. وذات يوم سألت كرستين «هل تعتقدين أنه بإمكاننا أن نأخذ چوني معنا في رحلتنا إلى سنغافورة؟»

وكنت أتوقع أن يكون رد فعلها الطبيعي ومن خلال غريزة الأمومة، أن تكون الإجابة «لا». لكن بعد فترة صمت وتفكير قالت كرستين «هل تعتقد أنه يستطيع؟». أجبتُ «لا أدري، لكني متأكد أنه يشتاق إلى مثل هذه الخبرة».

فكرنا في هذا الأمر عدة أيام، وسألنا طبيب چوني، وتحدثت إلى أعضاء فريق العمل معي بكل صراحة، وسألتهم إن كان مثل هذه الرحلة يمكن أن يترك آثاراً سلبية على الخدمة، وكانت كل الأمور تسير بإيجابية.

واتصلنا بمكتب بان أمريكان في بلدتنا، وأخبرناهم بحالة چوني، وقالوا «يسافر الكثيرون من المصابين بأنواع كثيرة من الشلل على طائراتنا، وإن وُجد شخص يهتم به ويكون مسئولاً مسئولية تامة عنه، فكل طاقم الطائرة سيبذلون أقصى طاقتهم ليجعلوا رحلته مريحة». فقررنا أن نسافر.

ورتب فريق العمل رحلة إلى سنغافورة كان فيها مجموعة من خمسة وعشرين شخصاً من العلمانيين والمرسلين، وكنت حريصاً على أن لا يسبِّب چوني أي إزعاج لأي شخص. وسافرنا في طائرة غير الطائرة التي سافر عليها أعضاء المجموعة، وتحدث كل أعضاء المجموعة مع چوني بكل رقة وحرارة واهتمام، وأصبح نجم الرحلة.

وبمجرد أن وصلنا إلى سنغافورة، قابل چوني كل المشاركين القادمين من آسيا وأفريقيا، نسي كل من كانوا معنا في الرحلة من أمريكا، وأصر أن يحضر كل المحاضرات في الفندق، يستمع إلى المحاضرين، ويستمع إلى المشاركين الذين يتحدثون عن بلادهم وعن خدمتهم.

وسيطر العالم الثالث على تفكير چوني، وكان يعتز بالأمور حتى لو كانت صغيرة إذا عرف أن مصدرها من أفريقيا أو الشرق الأوسط أو آسيا. وعندما كانت تقارير من هذه الدول تظهر على شاشة التلفزيون، كان يحرص على أن لا تفوته أية تفاصيل.

وسبَّبت له حرب فيتنام اضطراباً شديداً، وكذلك كان يزعجه منظر الدماء التي كانت تسيل في مناطق أخرى من جنوب شرق آسيا. وأصبحت كلمة الشيوعية أناثيما (ملعونة) بالنسبة له، لأنه كان يدرك التهديدات الماركسية للعمل الكرازي في كل آسيا. وأصبحت حياته مركزة على الاهتمام بالعالم الثالث، وأنا لا أعتقد أن هناك شخصاً صلى لأجل العالم الثالث كما صلى چوني.

كنت أقول له «أحياناً يكون المؤمنون متبلدين، وأنا لا أعرف كيف أستطيع أن أوجه نظرهم ليروا الفرص التي أمامنا في العالم اليوم».

إلا أن چوني كان يرى هذه الفرص، وأعتقد أنه لو كانت الظروف سمحت له بحياة طبيعية، فبلا شك كان سيكون أفضل من يقدم رسالة المسيح لهؤلاء الناس.

الفصل الثامن عشر

كان چوني من أكثر الشخصيات العصبية المزاج التي قابلتُها في حياتي. لكن بالرغم من نوبات الغضب والإحباط التي كان يمر بها، وفترات الألم التي كان يواجهها، إلا أنه كان يتقبل هذه الأمور بمرونة مدهشة. كان يمرّ ببعض الفترات التي يكون فيها منطلقاً، وربما يكون سبب ذلك أنه كان يسترجع في عقله بعض الأفكار السعيدة. وكان يعبر عن هذا بطرق مختلفة، خصوصاً من خلال روح الدعابة التي يتمتع بها.

يا له من إله صالح حفظ له طاقة للضحك، بالرغم من أن الإعاقة استنفدت كل طاقاته الجسدية. فحتى في الوقت الذي كان يشتد فيه الألم، يستطيع أن يسمع أو يرى شيئاً مدهشاً، ويبتسم ابتسامة مشرقة أو حتى ينفجر في الضحك. كيف كان بإمكانه أن يضحك من هامة رأسه إلى أخمص قدمه. كان يضحك لدرجة الإعياء، وحتى تنهمر الدموع من عينيه إلى خده.

تميل كرستين بطبيعتها إلى الجدية، بالرغم من أنها تستمتع بالفكاهات الجميلة، بل وأحياناً تفاجئك بتعليقات فكاهية جميلة. ولأكثر من مرة، كان چوني بدون أن يدري يقدم لها في الظروف الصعبة ما يرفع من معنوياتها. وغالباً تفرض علينا الحياة متطلبات، وأحمالاً قاسية قد لا نستطيع أن نحتملها، وتختلف هذه الأمور من شخص لآخر، لكن إن

استطعنا أن ننمي روح الفكاهة والدعابة، نستطيع أن نقلل ثقل كثير من المشاكل.

وكان كلما كبر چوني، كنا ننظر إلى ضعفه كمجرد حادثة طارئة لا كإعاقة. وأنا أؤمن أن الله وهب كل شخص الطاقة الجسدية والذهنية التي يحتاجها لإتمام مشيئته في حياته. هل كنا متأكدين أن چوني كان سيخدم الله بفاعلية أكثر لو كان لديه جسد طبيعي؟ فالناس ومن بينهم المؤمنون المكرسون، يعتقدون أن الصحة هي الوسيلة التي تمكن الإنسان من ممارسة نشاطه واستثمار طاقته ومواهبه في خدمة مضحية لله.

أنا أدرك أن چوني في مرات كثيرة كان يشتاق ليكون له جسد صحيح، أو على الأقل جسد أقل إعاقة، إلا أن تمتعه بروح الفكاهة يبرهن على أنه كان يتقبل ما أصابه في الحياة، وكان يضع مشيئة الله فوق كل إرادة بشرية. وقد مرّ بفترات قليلة جداً طبيعية في حياته، فعلى سبيل المثال، كانت دورة المياه الخاصة به مجهزة تجهيزاً معقداً، ليساعدنا ويساعده على الحركة بكفاءة، وبدلاً من أن يرى كل هذه التجهيزات على أنها امتداد لإعاقته، كان يستمتع بها.

كانت الآنسة مجريث تقول له وهي تجرّ كرسيه متجهة إلى دورة المياه «الآن أتى وقت أداء السيرك. هل ستلعب أرجوحة البهلوان، أم هل ستمشي على الحبال؟».

وكنا نسمي مكانه في البيت «عش العُزَّاب». كان ينام على سرير مستشفى مجهز تجهيزاً كاملاً، لكنه كان يفضل أن نطلق عليه السرير الملوكي.

كان ينتهز الفرص ليتبادل الفكاهات مع كرستين، فيحوّلان كثيراً من الأيام المضنية إلى ابتسامات، خصوصاً عندما يسخران من بعضهما البعض. وكانت تمرّ عليهما أيامٌ يكونان فيها في غاية التوتر، لكن كانت كرستين بمحبة ترفض أن تفسده بالتدليل. وقد يعترض أحياناً عليها، لكن أنا أعلم أنه في داخله يقدِّرها، ولكن لم تكن علاقتهما دائماً مفروشة بالورود.

قالت له ذات مرة «أنت تحتاج أن تغير أمك وتحصل على أم أفضل».

فأبدى موافقته وقال «بيه» وهو يصارع ليبدو جاداً ويمنع البسمة من أن تظهر على وجهه.

واكمل أمه وتقول «حسناً.. يمكنني أن أساعدك، هل تريد أن أطلب لك مكتب الأمهات ليرسلوا لك أماً أخرى؟»

يصمت.

ثم تكمل حديثها برقة وتسأل «أنا متأكدة أنهم يستطيعون أن يرسلوا لك أما صالحة. فهل تريدها شقراء، أم بشعر أحمر، أم سمراء؟ يبدو أنك تريدها سمراء».

وعند هذه الكلمات لم يستطع أن يخفي روح المرح الداخلية. فاستمرَّت كرستين في الكلام الساخر وقالت له «إذا نشرنا إعلاناً نطلب فيه أماً

أخرى، فعلينا أن نقول الصدق عن ابنها، فهو أحياناً يكون مُتعِباً وغير متعاون».

وذات يوم طلبت كرستين من چوني أن يذهب معها للتسوق، وهذا طلب لا يمكن أن چوني يرفضه. وكنت في المنزل في ذلك الوقت قلت له مداعباً «چوني، هل يمكن أن تنوب عني اليوم فلا تدع أمك تصرف أي دولار». وشاركتنا كرستين في هذا المزاح، ولم تكن تدري ما هي نتيجته. وفي المتجر، بدأت كرستين تجمع ما كانت تحتاجه، ونظر إليها چوني بهدوء. وأخيراً ذهبت إلى الصراف لتدفع ثمن ما طلبته، وبدأ چوني يصرخ كما لو كان متألماً جداً.

وربخته كرستين قائلة «اهدأ يا چوني». وحاولت أن تدفع ثمن الأشياء فاعترض بصوت مرتفع قد يفسره من لا يعرفه بالتخلف العقلي. وبالطبع ليس هذا هو الوضع، فهو شخص تقبَّل إعاقته الجسدية، وتعلم أن يحتمل نظرات العيون القاسية إليه، وتقبَّل أيضاً عدم مقدرته على الكلام، وعبَّر عن نفسه بالأصوات التي قد لا تكون مقبولة من بعض الناس الذين لا يعرفونه، واستحضر چوني في هذا اليوم كل ما لديه من تعبير عن التذمر والأنين، الأمر الذي لم يجعل أمام أمه سوى أن تترك الأشياء وتخرج به خارج المحل.

وبعد أن عادا إلى البيت وبختـه وقالت له «لا تكرر مثل هذا العمل مرة ثانية».

لم يكن چوني يستخدم هذه الطريقة الساخرة في مداعبة أمه فقط، لكنه

كان يستمتع بأن يداعبني أنا أيضاً بمثل هذا الأسلوب.

وقبل أن نبدأ في خدمة العالم الثالث، كانت هناك نهضة كرازية في مدينة باتون روچ بولاية لويزيانا، ويا لها من فرحة أن تجد آلاف الأشخاص يحتشدون ليلة بعد ليلة في هذه الخيمة التي تتسع لعشرة آلاف شخص. وأخذنا چوني معنا، وربما تعتقد لأول وهلة أنه هو الواعظ، فقد كان شديد العناية بملابسه، وكان يحرص أن يحضر قبل بداية الاجتماع.

وفي الليلتين الأخيرتين انتقلنا إلى إستاد مكشوف، واستمتع چوني به كثيراً، فقد كان مبنياً بطريقة هندسية بحيث أنه عندما يأتي الناس من مكان انتظار السيارات، يصعدون مباشرة إلى المدرجات، الأمر الذي أثار فضول چوني.

ويلزم لنهضة كرازية بهذا الحجم مبلغ طائل من المال. وفي وقت ما كانت النهضات الكرازية موضع انتقاد من كثيرين ظناً منهم أنها تحوَّلت لهدف جمع المال. وقد جاهدت لأكون بلا لوم في تعاملي مع المال، مصرّاً أن نتناول كل كبيرة وصغيرة في النواحي المالية بدقة وحرص شديد، وكنت أفضل أن لا أذكر الأمور المادية من على المنبر إطلاقاً، لكن كثيرين يعتقدون أن الرب أعطاني موهبة جمع المال لدعم الخدمة، حتى أنه عندما يحدث عجز، كنت أخضع لطلب المسئولين المحليين وأبدأ في حث الناس على العطاء. وهذا ما حدث في باتون روچ.

لا أتحدث بالتفصيل عن فلسفتي في الحرص في الأمور المالية، لكني في هذه المناسبة بسطت أمام الناس حجم مصروفات النهضة الكرازية، ومقدار العجز في الميزانية، ثم قلت «من سوء الحظ أن يكون من ضمن الكارزين أشخاص يضعونِ حجر عثرة أمام الذين يريدون أن يسلكوا باستقامة، والبعض يقول إننا نكرز لأجل المال الذي سنجنيه من وراء الكرازة».

وصاح چوني بأعلى صوته «بيه». وأصبت بصدمة أفقدتني القدرة على الكلام، وهذا ما حدث أيضاً للسامعين الذين أدركوا من الذي قام بعمل هذا الصوت، فانفجروا في الضحك بصوت عالٍ. وأصبح چوني نجماً على الفور، وتم جمع مبلغ كبير من المال سُلم إلى اللجنة المحلية المنظّمة، وبالطبع لم يدخل جيبي ولا سنت واحد من هذا المبلغ.

وذهبت مرة للقيام بنهضة كرازية في كنيسة صديقي الحميم القس بيل سميث، ومن النادر أن أعقد نهضة كرازية في قاعات الكنائس (فأنا أعقد النهضات الكرازية في أماكن عامة مثل الإستاد أو خيمة) إلا أن هذه المرة اختلفت، فقد عُقدت في هونولولو، وكان چوني يحب هاواي.

وذات ليلة وقف بيل وقال «تقدمة هذه الليلة مخصصة لضيفنا الكارز ولأسرته». وتوتَّرتُ جداً من هول المفاجأة. ثم قال بيل «أنا أعرف أن دكتور هجاي لا يوافق على هذا». وأكمل حديثه وهو يضحك وقال «إن كان الكارز الذي بيننا لا يقبل هذه التقدمة، فربما نبحث عن شخص آخر سيقبلها».

وهنا صاح چوني وقال «بيه».

كان توقيت چوني صائباً، فقد كان يدرك أنه إن أصدر أصواتاً كثيرة سيضايق الناس، لكنه كالممثل البارع، اختار التوقيت الذي يتكلم فيه بدقة فائقة. لم يفهمه بعض الحاضرين، لكن الأغلبية فهمته.

وذات ليلة في نهضة باتون روج هذه بدأ قائد فترة التسبيح يتعرف على الحاضرين الذين أتوا من مناطق بعيدة، فبدأ ينادي على الحاضرين من مدن قريبة من لويزيانا، ثم بدأ يسأل عن الحاضرين من ولايات أبعد مثل تكساس. ثم سأل «هل هنا حاضرون من ولايات أخرى؟». ولم يرد أحد ما عدا چوني الذي قال «بيه. بيه».

فقال القائد «نعم. نحن نسينا أن چوني هجاي هنا وقد جاء من أتلانتا».

وقال ابننا «بيه».

كان چوني يمزح كثيراً مع الآنسة مجريث حول طهيها للطعام. فالأم باركر تعمل كسترد لذيذ الطعم جداً. وذات يوم أخذت مجريث الوصفة وصنعت الكسترد بنجاح، إلا أن چوني لم يعترف بأنها نجحت في صنعه، وتصرف في أثناء أكله على أنه لا يصلح للاستعمال الآدمي. فعنّفته مجريث، وقالت له باللهجة الأيرلندية وهي تحفزه للقتال «هل تعاملني بهذه الطريقة!».

وهنا تحول وجه چوني إلى العبوسة

ثم وضعت يدها علي خاصرتها ومدت رأسها للأمام وقالت «سأقاتلك لمدة ساعة!»

ابتسم چوني ثم عاد بسرعة إلى العبوسة

ثم قالت «لمدة دقيقة». ثم قالت بهدوء «لقد انتهت الدقيقة».

كان چوني يستمتع بأكل الحلوى، مع أنه كان من المحتمل أن يتقيأها. فكان يحول الأمر إلى فكاهة لأنه يميل إلى الدعابة. كانت له صديقة عزيزة، سيدة سمراء تُدعى هاتي. وفي إحدى زياراته لها في بيتها، جلس يستمع إلى بعض المقطوعات الموسيقية لپول ويتمان في الراديو، وأحب چوني النغم واندمج فيه، وبدأ يتابع الإيقاع وعبَّر عن هذا بأن يضرب بحذائه في الحديد الذي حوله فيصدر صوتاً إيقاعياً.

أتت هاتي إليه، وبدت كأنها في منتهى الجدية، وتظاهرت أنها تعنفه وقالت له «ألا تخجل من نفسك أيها الرجل؟ أنت ترقص بينما أبوك في الخارج يحاول أن يربح الناس للمسيح». فضحك چوني. وكلما زارها في بيتها كان يعمل نفس العمل، وكانت هي تعنفه بنفس الطريقة.

في إحدى النهضات الكرازية التي أحضرَتْ فيها كرستين چوني، أحضر قائد فترة التسبيح، فيلكس سنيبس، معه زوجته الجميلة «باستي» وطفلهما البالغ من العمر ثمانية أشهر. وكان چوني يقضي ساعات طويلة يومياً إما في حمام سباحة الفندق أو حوله، وأصبح فيلكس وباستي من أعز أصدقائه. وفي ظهر أحد الأيام كنت أنا وفيلكس خارج الفندق، وأرادت الأم باركر وكرستين أن تذهبا للتسوُّق، لكن كرستين لم تكن تريد أن تترك چوني، لكن في ذات الوقت كان التحرك به مهمة شاقة.

وهنا قالت باستي «لماذا لا تتركونه معي؟ أنا أريد حارساً خصوصياً معي».

وهنا لمعت عينا جوني

قالت باستي «كفى تعرضنا للشمس في هذا اليوم. لماذا لا نأخذ جوني إلى حجرتي وسأجلس معه بينما أنتما تتسوّقان؟».

وعدت أنا وفيلكس إلى حجرتينا. وعندما فتح فيلكس باب غرفته وجد جوني، فصاح بصوت أجش «أيها الشاب، ماذا تفعل في هذه الحجرة مع زوجتي؟».

ولم ينسَ جوني الدعابة في هذه اللحظة. وكان فيلكس كلما رآه يغيظه بأنه «حاول أن يسرق زوجته منه».

كان جوني مليئاً ببهجة الحياة، وقد افتقدتُ هذا الابن العزيز كثيراً. كان يريد أن يكون سعيداً كسائر الناس، لكني أعتقد أنه كان يستمتع أكثر عندما يشارك في إسعاد الآخرين.

كان ابننا يتمسك جداً بممتلكاته، فلو كان عنده قلم رصاص لن يستعمله إطلاقاً، لا يمكن أن يعطيه لأي شخص. إلا أن تصرفه مع النقود كان يختلف، وأعتقد أنه لو كان مليونيراً، لكان أعطى كل أمواله، فهو يحب أن يستخدم ماله ليشتري هدايا للآخرين. وكانت الآنسة مجريث تأخذه ليشتري هدايا في عيد ميلاد أمه، أما كرستين فكانت تأخذه ليشتري هدايا لي ولمجريث وللأم باركر.

وكان چوني ماهراً في الشراء، وتذكر مجريث أنها أخذته ليشتري هدية لأمه، وقرر أن يشتري لها حلقاً من الذهب. وعلقت مجريث وقالت «إنه أمر مدهش. ما يعرفه چوني عن المجوهرات؟، في البداية لم تكن البائعة متعاونة، وظنت أنها تستطيع أن تقدم له شيئا غير حقيقي وأنه لن يدرك الفرق بين الذهب الحقيقي والتقليد. إلا أنها في النهاية أدركت أنه يستطيع أن يميز بينهما قصد هذه القطعة الثمينة».

ولأنه كان ينبهر جداً عندما يشتري لنا هدايا، وكان من الصعب عليه أن يحتفظ بهذا الأمر سراً، كما لم يكن من أفضل الأشخاص الذي نشاركه الأسرار عندما نشتري هدايا بعضنا لبعض. وفي أحد أعياد الكرسماس اشترت لي زوجتي ساعة، وكانت قد وجدت عليها تخفيضاً كبيراً في شهر نوفمبر فلم تستطع أن تقاوم شراءها، كما لم تستطع أن تحتفظ بها سراً بالنسبة لچوني لكنها حذرته قائلة «عليك أن تحتفظ بهذا الأمر سراً».

ووافق چوني وقال «ييه».

وقالت له «ينبغي أن لا تقول أي كلمة لبابا».

وينبغي أن أعطي چوني درجة عالية في ما بذله من مجهود في حفظ السر، فقد حاول جاهداً. لكن كما توقعت كرستين، بسرعة أراد أن يعرفني أن هناك سراً. ولم تهتم كرستين لأنها كانت تعلم كم من البهجة التي يتمتع بها عندما يغيظني بأنه يعرف شيئاً أنا لا أعرفه.

سألته «هل هو شيء ألبسه؟» فضحك.

قلت «إذا كان هو شيئاً ألبسه، فهل هو شيء ألبسه هنا في البيت أو عندما أخرج؟». وضحك ثانية.

قلت «ربما لا يكون ملابس. هل هذا صحيح؟». قال «ييه!»

سألت «هل هو شيء للسيارة أو للمكتب؟». وهنا ضحك.

ثم ذات ليلة من الليالي النادرة التي نجلس فيها كأسرة نشاهد التلفزيون معاً، ظهر إعلان تجاري بخصوص ساعات أوميجا، فتوتر جوني. ونظرت إليه كرستين وابتسمت بلطف، وهزت رأسها بحذر، وكنت أنا في ذلك الوقت أركز على شاشة التلفزيون.

وبادلها جوني الابتسامة، وكان ينوي أن يحتفظ بالسر، لكن كجزء من الإعلان، ظهر نفس الموديل الذي اشترته لي كرستين وملأ الشاشة، وهنا مال جوني بالحركة التي كان يقوم بها عندما يتفاعل مع أمر شخصي هام، وكانت معروفة لدينا جميعاً. فالتفتُّ إلى جوني ونظرت إلى الشاشة، ثم نظرت إلى جوني مرة ثانية، وسألته بحذر «ساعة؟».

حاول جوني مرة أخرى أن لا يجيبني على السؤال. ولكني سألت «هل سأحصل علي ساعة في الكرسماس؟».

ولم يستطع أن يحتفظ بالسر فترة أطول، وقال بحماس «ييه! ييه!».

كان جوني يضحك بشدة عندما أروي له حادثة حدثت مع أبي عندما كان راعياً لكنيسته في ميدلڤيل بولاية ميتشجن. وكانت هناك صلاة جنازة في الكنيسة، عندما دخل أحد الأعضاء وكانت له أرجل صناعية من الخشب وكان في فمه طاقم أسنان، وجلس على المقعد. ولأن الجو

كان حاراً، وأبواب الكنيسة مفتوحة، دخل كلب صغير وتسلل في الممر الذي بين المقاعد.

وما أن بدأت الخدمة، إلا وفجأة عطس هذا الرجل بعنف الأمر الذي أحدث ضجة عالية، وطار طاقم أسنانه الأعلى في الهواء واستقر بين المقاعد، فجرى الكلب ونهش طاقم الأسنان.

فانفجر چوني ضاحكاً من مشهد الرجل وهو يجري برجليه الخشبيتين محاولاً أن يلحق بالكلب ليسترد طاقم أسنانه، بينما كان أبي واقفاً مندهشاً على المنبر.

وذات يوم عندما زارني ابن عمي «ليو» تكلم معنا طويلاً عن مدى قسوتنا في أننا لم نُحضر لچوني كرسي متحرك أفضل وقال «توجد كراسي متحركة بالموتور، ويمكن تحريك مقعدها، وبها زجاج حاجز للريح، بل ومكيفة». وكلما أسهب ليو في الحديث أحبه چوني.

وذات يوم كان مضطرباً لأني كنت سأسافر لرحلة طويلة، وبروح الدعابة وسألت چوني «سأحضر لك كرة من الخارج، هل تريدها؟».

قال «بِيه».

ثم أكملت الحديث «كيف تستمتع بما أحضره لك من الخارج ما لم أذهب أولاً إلى الخارج؟»

وكانت هذه إحدى المرات القليلة التي ابتسم فيها چوني عندما سافرت في رحلة.

الفصل التاسع عشر

برغم الفرح الذي ملأ به چوني حياتنا إلا أن حياته كانت مليئة بكل أنواع الألم الإنساني، منها الإحباط الذي زاد عن ألم الإعاقة الجسدية. لم يكن چوني يعتبر نفسه معاقاً. وفي أحد محاولاتنا الأولى لمساعدته ذهبنا به إلى مدرسة للأطفال الذين يعانون من ضمور بالمخ. استطعنا أن نرى الحيرة في عينيه وهو ينظر إلينا ثم ينظر إلى الأطفال وكأنه يريد أن يسأل «لماذا أتيتم بي إلى مكان كهذا؟ ما مشكلة هؤلاء الأطفال؟». وكان يتضايق جداً عندما نختار له طفلاً يعاني من إعاقة مشابهة ليشترك معه في اللعب، ويتململ لمجرد أن يرى شخصاً كهذا. كان يمكنه أن يقبل كرسيه المتحرك، لكن عندما نضعه في مكان محاطاً بكراسي متحركة أخرى يرفض هذا تماماً.

نعم كان هذا هو الإحباط الفظيع الناتج عن إعاقته التي لم يستطع أن يتكيف معها. يتحدث الناس عن شعورهم بغصة في المعدة عندما لا تسير الأمور بطريقة صحيحة، لكن چوني كان مثل بركان ثائر في داخله. فهو لم يكن يريد فقط أن يمشي بل أن يلعب كرة القدم، ولم يكن يريد فقط أن يمد يده ويلمس الأشياء لكنه كان يريد أن يعبر عن نفسه بالكتابة على آلة كاتبة، ولم يكن يريد فقط أن يتكلم لكن أن يعلن عن عظمة خلاص الله.

كانت لدى چوني قدرة على التركيز مدة طويلة، وعندما كان ينشغل بأمر ما يظل مشغولاً به حتى يراه يُحل.

تذكَّر آخر مرة حاولتَ أن تشرح شيئاً، ربما برنامجاً جديداً في كنيستك أو عملك. الفكرة واضحة تماماً في ذهنك، إذا استطاع شركاؤك أن يروا ما تراه أنت، فإن هذا سيسهل تنفيذ البرنامج، لكن لسبب أو لآخر لم تستطع أن تحقق رؤيتك. مثل هذا الإحباط الذي قد تشعر به كان بالنسبة لچوني مثل كابوس دائم.

صلينا طالبين أن يعطينا الله حكمة لنتواصل مع عقل چوني، وأعتقد أن العلماء لم يكتشفوا بعد معجزة العقل البشري، ذلك الكمبيوتر المتفرد، عمل يدي الخالق المبدع. ربما في يوم ما يتم اختراع جهاز حساس يستطيع أن يستقبل الموجات المنبعثة من أمخاخ غير المحظوظين مثل چوني ويعلن عن أفكارهم وردود أفعالهم، واحتياجاتهم ورغباتهم، ما يؤلمهم وما يسعدهم. أنا لا أقصد استخدام وسائل السحر والتنجيم، لكني أؤمن أن الله وضع قوانين وإمكانات في خليقته لم نكتشفها بعد.

زادت خبرتنا في التواصل مع چوني على مر السنين. كانت الأم باركر تقول لكرستين «حاولي أن تفهمي ما يريده چوني». شكراً لله أن كرستين كانت تفهمه في معظم الأحيان. لقد كانت حساسة جداً له، وكانت تتجاوب مع طلباته واحتياجاته. لكن أحياناً لم نكن نستطع أن نفهمه. كان هذا يسبب له إحباطاً يتناسب مع أهمية الأمر الذي يريد أن يخبرنا به، وكان هذا يبدو واضحاً على قسمات وجهه.

كانت كرستين تسأله «هل حدث ذلك اليوم؟» إذا لم يكن قد حدث، يصدر چوني صوتاً يعبّر عن ذلك.

«هل حدث بالأمس؟»

«لا»

«هل له علاقة برحلتنا الشهر الماضي؟ مكان توقفنا فيه؟ شخص رأيته؟ شيء قمنا بعمله؟»

«كلها خطأ».

أحياناً كنا نقترب جداً من الموضوع فتلمع عيناه وتزداد ضربات قلوبنا متوقعين أن نفهم ما يقصده، لكننا نضطر في النهاية أن نقول له «نحن متأسفين يا چوني، لا نستطيع أن نفهمك».

بعد ذلك كان يجلس أحياناً لمدة ساعات متأملاً وهو يشعر بخيبة أمل. أحياناً كان يكتئب حتى كنا نخاف أنه لن يخرج من دائرة هذا الاكتئاب. وأنا متأكد أنه لم يفعل ذلك كحيلة ليكسب تعاطفنا معه.

بعد تكوين مؤسسة هجاي وتركي العمل الرعوي، استلزم ذلك أن أقضي أوقاتاً طويلة خارج البلاد مما جعل چوني يفتقدني بشدة. كان يمرّ بحالة نفسية لا يستطيع التعافي منها إلا عندما يُفتح الباب ويسمع صوت خطواتي.

قالت لي كرستين مرة «هذه أول مرة يشرق وجهه منذ سافرت».

كنت أتساءل أحياناً إذا كان أفضل ألا يكون سمعه حاداً بهذا القدر. ذات مرة قالت له كرستين «تستطيع أن تسمع صوت الحشيش وهو ينمو!».

كان مثل كلب الحراسة لا يفوته أي صوت في أنحاء البيت. فإذا حدث صوت غريب نستطيع أن نصفه له كنا نخبره به. كان يكتشف الذين يأتون لقراءة العدادات مميزاً بين الشخص التابع لشركة الغاز والذين يكشفون على عدادات المياه والكهرباء. إذا رن التليفون فهو يستمع بإصغاء للحديث. عندما كنا نريد أن نتكلم في أمور خاصة لا يجب أن يسمعها كنا نذهب إلى غرفة أخرى ونهمس بصوت بالكاد نسمعه.

منذ طفولته المبكرة كان يريد أن يمشي. عندما كنا نحرك رجليه الصغيرتين في حركة تشبه المشي كان يضحك بشدة لدرجة أننا كنا نضطر لإعادته إلى سريره. في أول مرة رأى شخصاً يستخدم عكاكيز، بعد إدراكه لإعاقته، لمعت عيناه وهو يتخيل بعقله المتقد ذكاءً استخدامات هذا الشيء العجيب.

ولأنه كان دائماً يحب أن يشارك العالم من حوله لذلك كنا نحاول دائماً أن نبحث عن البدائل. فمثلاً عندما كانت أمه تنظف الأرض، كانت تحرك كرسيه بيد والمكنسة باليد الأخرى، وتضع يده الصغيرة على مقبض المكنسة وكأنه يشاركها في أداء الأعمال المنزلية.

قدمت له الحياة القليل من فترات الراحة، منها الأحلام. عندما كان ينام أثناء النهار، كانت زوجتي ترى على وجهه ابتسامة عريضة. ترى ماذا كانت تحمل له الأحلام من راحة، وكم كان الاستيقاظ محبطاً له.

لم يكن لدينا طريقة دقيقة لقياس قدرته على التخيل، لكننا نفترض أنه بسبب فضوله غير المحدود وقدرته الطبيعية على تذكر التفاصيل كان

يمتلك خيالاً خصباً، لذلك أعتقد أن الحياة أعطته مساحة من الخبرة البديلة أثناء ساعات استيقاظه.

كان شديد الولع بالرياضة. أليس كل رجل أو شاب يذهب إلى مباراة لكرة القدم يرى نفسه لاعباً يقذف بالكرة أو حامل الراية يوقف لعبة حيوية؟ كان چوني مشاهداً متحمساً للمباريات في التليفزيون. أعتقد أنه لولا شعوره بالراحة أكثر في البيت لكان طلب منا أن نأخذه إلى الملعب كلما سمح وقتنا بذلك.

كان چوني يستمتع بكرة السلة بصفة خاصة. كان فريقه المفضل هو هارلم فريق الأحلام. كان يدخل في نوبة من التشنجات نتيجة للضحك الشديد أثناء مشاهدة هذا الفريق. تمنيت لو أننا رتبنا له مقابلة مع هذا الفريق المشهور.

كان يقبل البيسبول على مضض، تلك الرياضة المفضلة للأم باركر. كان دائماً يشجع الفريق المنافس للفريق الذي تشجعه جدته، فكان يبدو مسروراً كلما خسر فريقها وكسب فريقه (برغم عدم انتمائه الحقيقي لهذا الفريق الفائز).

لقد اندهشت عندما لاحظت قدرته على التماثل مع ما يشاهده في التليفزيون، فكنت تستطيع أن تراه وهو يقلد اللاعبين في المواقف المختلفة أثناء المباراة حتى أننا كنا نأتي بمنشفة لنجفف العرق من على وجهه. أكثر من مرة شعر بإعياء بسبب انفعاله الزائد أثناء المشاهدة، لكننا كنا نشعر دائماً بقيمة هذا الأمر.

ذات مساء يوم سبت جلس هو وكرستين يشاهدان مباراة لكرة السلة لفريقين من المعاقين ممن يعانون من الشلل النصفي. من يعلم ما الذي كان يدور في ذهنه؟ كان أمراً جديداً تماماً. حاولت كرستين أن تستغل الفرصة فقالت «هذا مثال رائع لأشخاص لديهم إعاقة معينة وكيف استطاعوا أن يتغلبوا عليها. بالتأكيد هناك الكثير من المعاقين يستطيعون أن يلعبوا مباراة في كرة السلة تماماً مثل رياضي عادي لكنهم لا يستطيعون أن يشاركوا في مباراة مثل التي نشاهدها الآن». لم يتفاعل جوني مع ما كان يراه على الشاشة، مثلما كان يحدث في المباريات الأخرى التي يلعب فيها رياضيون أسوياء، لذلك غيّرت كرستين الحديث وأغلقت التليفزيون.

سألتُ كرستين يوماً «هل تعتقدين أن جوني سيستمتع بالبولينج؟».

ترددت كرستين لعلمها بكم الإحباط الذي يصيب جوني لرغبته في المشاركة في كل شيء، لكنها قالت «يمكننا أن نجرب».

صاح جوني معبراً عن موافقته على الاقتراح.

وفي أحد المراكز الخاصة باللعب وضعت أصابعه في كرة البولينج، ودعمت ذراعه وحركته للخلف تاركاً الكرة تتدحرج في الممر فأسقطت عدة أهداف.

صاح جوني «ييه! ييه!».

ذات مرة ذهبنا لنلعب بولينج جاء إلينا رجل وقال «رأيتك عدة مرات وأنت تأتي بابنك. هل يمكن أن ألتقط بعض الصور لأكتب مقالاً عنه،

لأني أعمل في إحدى المجلات؟». رفضت طلبه. لم يوافق چوني على قراري لكنه تفهم الوضع. ببساطة كنت لا أريد أن أحداً يعتقد أني أستغل إعاقة چوني لكسب تعاطف الناس لخدمتي.

(للأسف، تركز إحدى طرق جمع التبرعات على تحريك المشاعر بالقدر الذي يدفع المتبرعين أن يُخرجوا حافظات نقودهم. لكني مصمم على أن يكون جمع التبرعات لمؤسسة هجاي مبنياً على الحقائق. هذا البرنامج يحتاج إلى مئات الآلاف من الدولارات للوصول إلى أشخاص يعيشون في دول العالم الثالث، لكن كثيرين قد يتبرعون لأهداف روحية إذا امتزجت بأسباب إنسانية).

برغم أن چوني كان يتوق لأن يمشي ويتكلم ويشارك، إلا أني أعتقد أن إحباطه الأكبر كان بسبب هذا السور العالي الذي لا يمكن تخطيه بينه وبين الجنس الآخر. كان چوني سهل الانجذاب للنساء، فبرغم إعاقته الجسدية الفظيعة إلا أنه كان غنياً بهرمون التستوستيرون المسئول عن سمات الذكورة. لكن ظروفه جعلته يتسامى في مشاعره تجاه البنات.

قبل أن يدخل في مرحلة المراهقة ولم نكن قد انتقلنا من لويڤيل، عينت شابة صغيرة في فترة الإجازة الصيفية للقيام ببعض أعمال السكرتارية بالمنزل. كانت جميلة ذات عينين لامعتين وشعر أصفر مسترسل. وكعادتنا مع أي شخص غريب يأتي إلى بيتنا قدمناها لچوني، وافتتن بها من أول نظرة. لاحظت الفتاة الأمر وكذلك نحن، وتعاملت مع الأمر بروح رياضية.

سألتها كرستين عندما لاحظت أن چوني ثبَّت نظره جهة باب الغرفة «هل لديك مانع أن أضعه في كرسيه عند الباب؟» أجابت «يمكنه أن يجلس معي هنا في الغرفة». كانت فرحته اليومية ذلك الصيف أن ينتهي من تناول طعام الإفطار، ثم يغتسل ويلبس لينتظر وصول هذه البنت الجميلة. كان چوني لا يرفع عينيه من عليها من اللحظة التي تبدأ فيها الكتابة على الآلة الكاتبة حتى تغادر المكان. كان هذا الصيف واحداً من أحلى مواسم الصيف بالنسبة له. عندما عادت لدراستها في فصل الخريف دخل چوني في اكتئاب مزمن استمر عدة أيام.

كان چوني يفضل البالغين من الجنس الآخر مع وجود بعض الاستثناءات. كان أول حب حقيقي لفتاة جميلة من نظرائه اسمها پاتي. ليت الله يغني حياتها من أجل لطفها وصبرها معه، فقد كانت تتحدث معه، وتسأله عن اهتماماته، ورحلاته الأخيرة وأنشطته المختلفة. في الفترة القصيرة التي تعرَّفا فيها تعلَّمت أن تتواصل معه بسلاسة، فزاد حب چوني لها. كانت بالنسبة له مثل الأميرة التي أحبها كيوبيد. كانت رشيقة وجذابة فخطفت عيني چوني. أعتقد أن بعض الآباء قد يؤنبون أبناءهم في مثل هذه الظروف لكننا لم نفعل ذلك.

أعتقد أن چوني كان يرسم في ذهنه صورة مثالية للمرأة، وأعتقد أنه لو كان طبيعياً لكان سيكون بركة لشابة صغيرة في محبته لها واهتمامه بها. كان يرى في كل أنثى جذابة تجسيداً لهذه الصورة.

في السنوات الأخيرة كان مفتوناً بسيدة تعمل في المكتب الرئيسي لمؤسسة هجاي. كانت لطيفة ومتفهمة. كانت تمسك بيديه وتتكلم معه عمّا يحدث أثناء اليوم وعن أوجه الخدمة المختلفة للمؤسسة. في أول الأمر كنا نغيظه بسخريتنا، لكن عندما رأينا مقدار تعلقه بها توقفنا عن ذلك.

عندما كنا نعيش في لويفيل كان مكتبي في المنزل. كنت ألجأ في كثير من الأحيان لمكتب توظيف بالمدينة لإيجاد سكرتيرة تعمل لفترة مؤقتة في الفترات التي يزداد فيها ضغط العمل. فدخل بيتنا عدد من الفتيات للعمل وكان هذا بمثابة مغامرة لچوني، لأن رأيه كان ذا أثر في قبول الفتاة للعمل أو رفضها.

في إحدى المناسبات قالت كرستين مداعبة «إذا كانت الفتاة التي ستأتي للعمل دميمة فسنقبلها، أما إذا كانت جميلة فلن نقبلها». وافق چوني قائلاً «ييه».

جاءت الفتاة الصغيرة وجلس چوني مثل القاضي يفحصها وهي تدخل من الباب. كان مظهرها غير جذاب. كانت تلبس فستاناً مجعداً. كان منظر شعرها وكأنها لم تمشطه منذ عدة أيام، وكان جوربها مقطوعاً. انفجر چوني في الضحك لدرجة أن كرستين خافت أن ينطلق في حديث مسموع فنشعر جميعنا بالخجل من تعليقه.

همست أمه «إذاً، هل نقبلها سكرتيرة؟» فردَّ صوت عالٍ «ييه»!

الفصل العشرون

أشكر الله أن حياة چوني كانت ممتلئة بالفرح، لكني أتساءل إذا كانت روح الفكاهة التي يتمتع بها مرتبطة بالألم العميق الذي يعانيه. يخبرنا الفلاسفة أن هناك خطأ رفيعاً يفصل بين الألم والضحك، بين الانطلاق والمأساة. ربما تكون روح الدعابة التي يتمتع بها چوني قد نبتت من ألمه وإحباطه، أو ربما كانت طريقته في التعبير عن واقعه وظروفه.

كان چوني يحمل رسالة للذين يشعرون بالوحدة والإحباط والذين لا يفهمهم أحد. إنها رسالة محبة للذين لا يقدرون أن يروا شيئاً خارج حدودهم، ويعجزون عن إدراك غنى حقيقة أن الجمال الأعظم في الحياة ربما يجدونه في ما يبدو أنه الأكثر قبحاً.

كانت الترنيمة المفضلة الأولى لچوني هي «ما أعظمك»، تليها «قف من أجل يسوع». لم يكن يحب ترنيمة «امكث معي يا سيدي» ولا أعرف سبب ذلك، ربما لأنها تتحدث عن العمر القصير الذي كان يشبه حالته. فكان كلما سمع هذه الترنيمة يكتسي وجهه بالحزن.

كان حساساً جداً للأمور الروحية. كان كل ما نستطيع أن نسأله «هل تعتقد أن هذا الأمر يسر الله يا چوني؟» وكانت إجابته عادةً تُنهي الموضوع.

ذات مرة تناقشت معه عن تأثير المعاناة في بناء الشخصية، متطرقاً لبعض التفاصيل الخاصة بمجتمعنا الرغد الذي يوفر كل شيء للناس،

وتأثير ذلك عليهم. تحدثنا عن إشباع الرغبات الجسدية وتأثيرها على تقليل قدرة الناس على مواجهة الإحباط، فيسقطون في هوة الأمراض النفسية التي تقود للانتحار.

أعود إلى موضوع تذوُّق چوني للموسيقى. أثناء النهضات الكرازية كانت زوجتي تشارك أحياناً بترنيم ترنيمة «لقد وجدت طريق السعادة» مع مرنم آخر. كانت هذه الفقرة هي الفقرة المفضلة لچوني. وفي إحدى المرات أثناء الغناية به بدأت تدندن بالنغمة، فحاول چوني أن يشاركها الدندنة ولم يستطع أن يلتزم بالنغمة، لكنه بالتأكيد استطاع أن يصدر «ضجيجاً مفرحاً».

وفجأة بدأت كرستين ترنم كما كانت ترنم في الثنائي، فشعر چوني بنشوة وأخذ دور المرنم الآخر. رنمت والدته *«لقد اكتشفت طريق السعادة»*. ثم شارك چوني بصوته غير الواضح في ثماني مقاطع كما في الترنيمة

«أنا اكتشفت طريق السعادة».

«لقد اكتشفت الراحة من التعاسة».

«إنها السعادة بدون أي شوائب».

تمتمة؟ ربما كان هذا تقدير البعض، لكن كرستين كانت ترى أن چوني ينطق بالكلمات مثلما يفعل مغني مبتدئ وهو يدرب صوته رغم إصداره أصواتاً بلا معنى.

كان چوني يحب الترنيم حتى في أكثر الأوقات ألماً. لا تحاول أن تقنعني أن ولداً يتذوّق الأوبرا والسيمفونيات لا يدرك أهمية الموسيقى في تسبيح الله. لا تقنعني بأنه لم يدرك دور خدمة التسبيح ودور كلمات الترانيم في تعظيم الله.

كان چوني يتفاعل جداً مع كلمات الترانيم، فعندما كان يسمع «يا طيب ساعةٍ بها أخلو مع الحبيب» يكون هذا ما يريد أن يفعله: أن يصلي. وعندما يسمع ترنيمة «المحبة رفعتني» ترى وجهه يتهلل بالفرح. كان يستمتع بالترانيم التي تتحدث عن المحبة، والسلام، والضمان.

ولهذا كتبتُ هذا الكتاب لأساعد چوني أن يعلن عن المحبة وتأثيرها في الحياة، ولنستطيع أن نفهم ما قاله كلايف س. لويس C. S. Lewis «يكون الألم هو الصوت العالي الذي يستخدمه الله لإيقاظ عالم أصم».

كان چوني يريد أن يصرخ للأزواج والزوجات الذين يصارعون للاستمرار في زواجهم ويقول لهم «محبة! اكتشف قيمة الآخر! حاول أن ترى أكثر مما تراه في المرآة، وأكثر مما يُظهره الميزان! حاول أن ترى البريق بداخل الإنسان كما يراه الله الذي خلقنا على صورته لغرض خاص لكل منا».

خلق الله چوني لطيفاً سامي الأخلاق لكن غير ظاهر، وخلقه واعظاً دون أن يلقي كلمة واحدة في عظة، وخلقه مرنماً لكن ترانيمه محبوسة داخل روح تتدفق بالموسيقى.

لا أستطيع أن أفهم الألم. كان سقراط يؤمن أن التسامي لا يحدث إلا من خلال الألم. أنا أقدّر جداً وعد الله القائل «إن كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ. فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالمَجْدِ العَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا» (رومية ٨: ١٧، ١٨).

أود من كل قلبي أن أكون صوت چوني للإعلان لكم عن أهمية معنى الألم بالنسبة للأبدية. لكني أود أن أعبر عن مدى احترامي لابننا على موقفه وقبوله لظروفه. كان چوني بطلاً تماماً مثل جندي باسل أو رياضي بذل جهداً أكثر من أقرانه. أنحني له بكل التقدير ليس لأنه ابني بل لأنه شخص نبيل عاش في الظل لكنه واجه الحياة بجراءة. لا أعتقد أنه مرَّ بلحظة واحدة مريحة في حياته حتى أثناء نومه، ومع ذلك نادراً ما تذمر. ونحن محظوظون لأننا عشنا معه مدة أربعة وعشرين عاماً.

أتذكر عندما جئنا به من المستشفى كان لا يستطيع أن يأخذ إلا نقطاً قليلة من السوائل بمعاناة شديدة. في الفترة الأولى من طفولته كنا نتوقع موته في أيام كثيرة لكن مهما ساءت حالته كان يتعافى. لكنه بدأ يتحسن في وقت الكرسماس وخلال شهر يناير، وبدأ وزنه يزيد وعيناه تلمعان قليلاً. في داخلي كنت أتمنى أن يكون طفلاً طبيعياً.

في الشهور الأولى كان چوني يعاني معاناة شديدة في التنفس، فاقترح أخصائي الأطفال أن نعرضه على أخصائي للحنجرة، الذي بدوره اقترح عمل فتحة في القصبة الهوائية. رفضت كرستين الفكرة وطلبت

أخذ رأي طبيب آخر، أشار بوضعه في خيمة من البخار بالإضافة لبعض الأدوية الأخرى.

في خلال أربع ساعات من هذا العلاج اختفت الأعراض التي كان چوني يعاني منها. إلا أنه بدأ يعاني بعد ذلك من احتقان شديد، وتوقعنا أن نفقده، لكنه تشبث بالحياة، والآن أؤمن أنها خطة الله لحياته.

لم يكن چوني يحب الظلام داخل هذه الخيمة الصغيرة، فوضعنا بداخلها ضوءاً صغيراً، لكنه لم يرضَ بذلك. وكانت كرستين تقضي ساعة أو أكثر في كل مرة وهي تضع رأسها داخل الخيمة، تحدثه، وتهزّه، وتدندن له. لم يعبّر أبداً عن شعوره بوجودها لكنه كان يضطرب إذا أخرجت رأسها من الخيمة قبل أن ينام.

استمرت زوجتي تسهر الليالي في الشهور الأولى بلا كلل. الله وحده يعلم مقدار ما قدمت لچوني عن طريق إصرارها أن تعطيه اهتمامها الكامل. الكل يدرك أهمية محبة الأم وصوتها المشجع في الشهور الأولى من الطفولة. أعتقد أن چوني كان يشعر بهذا ويتجاوب معه تماماً مثل أي طفل آخر. الفرق الوحيد أنه لم يكن يستطيع أن يُظهر ذلك التجاوب.

لا أستطيع أن أجزم متى قبلت كرستين الواقع المؤلم، لكني أريد أن أؤكد على صحة وعدين من وعود الله كانا ثابتين لها ولچوني.

الوعد الأول: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨). ويقول الوعد الثاني: «فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ» (نحميا ٨ :١٠).

ودعَّم هذان الوعدان وغيرهما كرستين على مر السنين. لم يكن دورها كأم دوراً عادياً، لكنها كانت مقتنعة أن أمهات كثيرات كنَّ سيتصرفن مثلها تماماً مع طفل بنفس حالة ابننا.

فعندما نروي قصة حياة چوني لا نقصد التعريف بخبرتنا، بل توضيح إمكانية أن يختبر الوالدان فرحاً في أقسى الظروف. فالمحبة هي أعظم قوة في العالم، ونستطيع أن نختبر قوتها عندما نمارسها في الظروف المختلفة. لهؤلاء الذين سيمرّون «بتجربة چوني» في المستقبل أتمنى أن مشاركتي لتجربتنا تمنحهم قوة وتشجيعاً.

كان چوني مثلاً توضيحياً بالنسبة لي عن علاقة الله بأولاده. فكلما زاد احتياجنا زاد إمداده لنا بالقوة والنعمة والرحمة. ليس لديّ شك في أننا صرفنا على چوني ثلاثة أضعاف المال الذي تصرفه أسرة متوسطة الحال على ابنٍ طبيعي. كما استلزمت خدمته كل الجهد من أمه وجدَّته ومجريث، مع بعض المساعدة الثانوية مني، وهذا عشرة أضعاف وربما أكثر من الوقت الذي يُصرف لطفل طبيعي، حتى بعد أن يكبر. لم يكن ذلك لأننا نحبه أكثر من محبة الآباء الآخرين لأولادهم، لكن لأن احتياجه كان أكثر بكثير.

من خلال متابعتي لزوجتي في اهتمامها ورعايتها المتفانية لچوني، أدركت ما نفعله نحن كمؤمنين في خلط بعض الأمور. فنحن نبالغ في الاهتمام بالأقوياء روحياً، ونعطي القليل جداً من الاهتمام لمن هم في أمسِّ الاحتياج.

برغم كل الإعاقة التي كان چوني يعاني منها إلا أنه لم تكن لديه أي أوهام بشأن الأمراض، بل كان يشعر أنه يتمتع بصحة جيدة برغم قلتها. إذا شعر بزكام ولو بسيط وذكرنا له أنه قد يُصاب بنزلة برد كان يتوتر بشدة. كان يجب علينا أن نحترس من نزلات البرد لأنه كان يعاني من مشاكل دائمة في التنفس. كانت أبسط عدوى تصل به إلى حافة الموت، لذلك كانت كرستين حريصة جداً أن تمنع أي شخص يعاني من نزلة برد من مقابلة چوني.

في إحدى المناسبات جاء رجل وزوجته من أندونيسيا لزيارتنا، وذهب چوني مع أمه إلى المطار لاستقبالهما. كانت تتوقع أن يفتح قلبه على مصراعيه ترحيباً بضيفين من العالم الثالث، لكنه رفضهما. بعد أن خرجوا من صالة استلام الحقائب حاولت كرستين أن تقدمه لهم، لكنه أدار ظهره، مما جعلها تشعر بالحيرة والخجل. ثم عطست الضيفة ففهمت كرستين السبب. لم تلحظ كرستين أنهم يعانون من نزلة برد، لكن چوني لاحظ ذلك.

في السنتين أو الثلاث الأخيرة تحمل آلاماً مستديمة ليلاً ونهاراً. كنا نستطيع أن نرى الألم في عينيه، وكان يتمتم بهدوء «أم، أم، أم».

تسأله والدته «ألم؟»

«ييه»

أحياناً كانت تستطيع أن تحدد مكان الألم وتعطيه مسكّناً. وفي أحيان أخرى كانت تسأله أسئلة كثيرة لكنها تفشل في تحديد مكان الألم.

كان يعاني من مشكلة مزمنة في أمعائه، نوع من الانسداد الجزئي الذي كان سبباً في آلام المتزايدة خاصة في السنين الأخيرة. أخبرنا طبيبه «هذا الألم يشبه الألم الذي تسببه حصوات الكلى أو مثل ألم الولادة».

سألته «ألا يوجد علاج؟»

أجاب الطبيب «نعم يوجد علاج لكنه خطر على حياة چوني». كان هذا العلاج يوقف حركة الأمعاء، وبالتالي لا تُخرج الفضلات، فتتكدس السموم في الجسم، الأمر الذي لا يحتمله حتى أصح الأصحاء».

كنا نضطر أن نُدخل چوني المستشفي كثيراً، وقبل أن يذهب إلى بيته الأبدي بسنة، دخل المستشفى وهو يعاني لا من آلام في الأمعاء فقط، لكن من التهاب تقرحي شديد بالفم. وتتذكر كرستين عندما ذهبت إليه في المستشفي، ورأت فمه مفتوحاً والأم باركر واقفة بجواره، تمسح بكل لطف القرح التي في فمه، أنها لم تستطع أن تكتم دموعها وهي ترى الحب المتجسد من الأم باركر في هذا المشهد.

وفي العام الذي أخذنا فيه چوني إلى سنغافورة، كان متضايقاً ومتألماً، وأبدت إحدى العاملات بالفندق اهتماماً خاصاً به، واقترحت علينا أن نحاول مساعدته بالإبر الصينية. وعندما أبدينا بعض الاهتمام بدأت

تروي لنا أن بعض أصدقائها كانوا يعانون من أمراض مختلفة، واستفادوا من هذا التخصص في سنغافورة، لكننا كنا مترددين في هذا الأمر. وبعد عدة شهور كنت في كوريا، وحدثني صديقي «تشا شوك» رئيس هيئة الفنادق في كوريا عن دكتور كيم الذي هاجر إلى أمريكا، وعمل في مركز تأهيل في نيو چيرسي.

قال تشا «دكتور كيم من أشهر الأطباء على مستوى العالم في الإبر الصينية، إلا أنه يتقاضى أتعاباً مرتفعة». فتحدثنا أنا وكرستين في هذا الأمر، وقررنا أن نتصل بالدكتور كيم ونسأله إن كان يمكن أن يأتي إلى أتلانتا ليناظر حالة ابننا، ووافق على أن يتقاضى ألف دولار.

وما أن دخل الدكتور كيم حجرة چوني إلا وامتلأت عينا چوني من نظرات الأمل والتوقع. لكننا أصبنا بنوع من الأسى عندما وجدنا الطبيب يفحصه بسطحية.

سألته «كم سيتكلف العلاج الذي ستبدأ فيه؟»

قال الطبيب «بمصاريف السفر والفندق وكل هذه الأمور ستتكلف ما بين خمس وسبعين ألف إلى مائة ألف دولار سنوياً، لكني لا أستطيع أن أضمن النتائج، من الممكن أن نساعد ابنك في الكلام، ومن الممكن أن نستطيع أن نجعله يجرّ كرسيه بنفسه».

وناقشنا الأمر بحرص مع چوني وقلنا له «إن مائة ألف دولار أكبر بكثير من إمكانياتنا"

وتقبل الأمر بهدوء وقال «بيه».

الفصل الحادي والعشرون

استطعنا أن نؤسس فرعاً ثانياً لمعهد هجاي في جنوب المحيط الهادي. في البداية أعجب هذا العمل چوني كثيراً، وأصبح مغرماً لا بالعالم الثالث فحسب بل بالقارة الجنوبية أيضاً. وتقع أستراليا جغرافياً بالقرب من دول العالم الثالث.

ولم أعد تقريباً أعقد أية نهضات كرازية، خصوصاً في أمريكا الشمالية. لكن أصدقائي الأستراليين نصحوني أن أعقد اجتماعاً موسعاً لإرساء أسس إرساليتنا الكبيرة. وطلب مني أن أعقد اجتماعاً مع بعض القادة في أستراليا لنرسم الخطط المستقبلية، وأخذت معي إلى أستراليا چوني وكرستين.

وكان چوني يريد أن تذهب الطائرة مباشرة عبر المحيط الهادي، حتى أنه لم يكن يريدها أن تهبط في هاواي.

وكانت الرحلة هذه المرة أكثر راحة من المرات السابقة. وعندما كان يسافر بالطائرة لأي بلد عبر المحيطات كانت تبدو عليه علامات الراحة، إلا أنه كان يفقد الراحة في رحلة العودة، لأنه يكون قد أمضى نحو سبع ساعات بين فيدچي وهونولولو، لكنه كان يحتمل بطريقة عجيبة هذه الساعات الطويلة بكل ما فيها من تعب وإجهاد.

سألته أثناء عبور الطائرة فوق المحيط الهادي «هل تذكر أول مرة ذهبت فيها إلى ڤيتنام؟ كنت أنت في منتهى التوتر، لدرجة أنك لم تكن

تريدني أن أسافر. لكن لأني كنت أذهب وفقاً لإرادة الله، وجدت أن سايجون آمنة مثل أتلانتا. ونحن الآن آمنون يا حبيبي ونحن نسافر عبر المحيط لأننا في نطاق مشيئة الله».

وافقني وقال «بيبه».

وأبدى الناس في سيدني إعجاباً شديداً به، وأظهروا له كل تقدير واحترام.

شرحت له وقلت «هؤلاء الناس من الممكن أن يحملوا جزءاً كبيراً من أعباء الخدمة المالية، وهم رجال صلاة».

تكوَّنت مجموعة حية من الشباب في أستراليا اسمها «مؤسسة الشباب الوطنية» واختارت چوني رئيساً شرفياً لها، وكانوا يرسلون له مقترحاتهم وأفكارهم ليكون على دراية بنشاطهم وليقيِّمهم.

في خريف عام ١٩٧٤، ذهبت كرستين معي في رحلة أخرى لأستراليا لكن على مضض، برغم استقرار حالة چوني الصحيّة، وكانت الأم باركر ومجريث تهتمان به، ولديهما القدرة على التعامل مع كل متطلباته، لذلك وجدنا أنه يمكن أن نتركه معهما.

ومرَّ چوني بوقت عصيب. تُرى هل نتيجة شعوره بالوحدة ونحن بعيدان عنه؟ أم هل لشعوره بالإحباط لأنه لم يرافقنا في هذه الرحلة؟ أم لهجوم المرض عليه؟ لا نعلم.

ووصلتنا رسالة مستعجلة من الأم باركر، تبلغنا أن چوني أُصيب بانسداد معوي، ونُقل إلى المستشفى، وتدهورت حالته، وأصبح الموت

قريباً منه في أي لحظة. وكنت مشغولاً جداً بمسئوليات ومواعيد كثيرة، لكن كأب وكزوج قلت لكرستين «سأعود لأمريكا معك على الفور».

قالت «لا يمكنك أن تترك العمل الآن، هذا بمثابة كارثة». ورجعت كرستين إلى أمريكا وحدها.

وبعد عدة ساعات من رجوعها، تلقيت مكالمة تليفونية من أحد الأصدقاء يخبرني أن حالة چوني تتدهور، لذلك لحقت بها بعد أربع وعشرين ساعة. كان چوني مازال حياً، لكن القلق بدأ يزداد داخلي.

في عام ١٩٧٣، تحدثت أمام مؤتمر «أسبوع مؤسسي مودي» وكنت سأذهب إلى الهند بعد ذلك مباشرة. لكن چوني أُصيب بنوبة مرضية اضطرتنا أن نأخذه للمستشفى، وكنا قلقين على حياته.

قلتُ لكرستين «سألغي رحلتي للهند».

عارضتني وقالت «لا يمكن. كلنا يعلم أن چوني يفتقدك كثيراً عندما تذهب، لكني ناقشت الموضوع مع چوني وهو لا يريدك أن تقلص من أعمالك ومن التزاماتك. وإن اختار الرب أن يأخذه إلى بيته الأبدي، فنستطيع أن نخبرك لتحضر الجنازة».

ثم أكملت الحديث «ماذا يحدث لو مرض أحد الممثلين في أي عرض مسرحي؟ هل يلغون العرض؟ إن مسئوليتنا أكثر خطورة من مسئولياتهم، وهدفنا أسمى بكثير من أهدافهم، ولا يوجد أمامك أي اختيار. ينبغي أن تذهب».

ولهذا ذهبت، ولدهشتي لمس الله جسد جوني في اليوم التالي لذهابي.

كتبتُ لكرستين من كلكتا أقول «أنا أحبك منذ نحو ثلاثين عاماً، لكن أريدك أن تعرفي أني أحبك أكثر الآن، وأقدّرك أكثر من أي وقت مضى».

في عام ١٩٧٤، اضطرتنا الظروف أن يدخل جوني المستشفى، وكانت أمه معي في ذلك الوقت خارج البلاد، فقطعتْ رحلتها وعادت فوراً. وكان لهذه الأزمة تأثير عميقاً علي اتجاهاتي. قلت «لقد تحدثنا مرة ومرات بخصوص الانتقال إلى هاواي، فهي مكان استراتيجي لخدمتي، فأنا أحتاج أن أسافر إلى دول العالم الثالث بقدر حاجتي أن أظل في أمريكا، فأنت وجوني تستطيعان أن تعيشا في هاواي، فهي مثل الجنة بالنسبة له، لذلك دعونا لا نتكلم في هذا الموضوع مرة أخرى، وهيا بنا نذهب إلى هاواي».

في مرات كثيرة، كانت كرستين لا توافق على ما أقترحه معتقدة أنها تعمل الأفضل بالنسبة لحالة جوني. إلا أنها في هذه المرة، وبالرغم من أنها كانت متشائمة جداً بالنسبة لوضع جوني، لم تُبْدِ أي اعتراض.

ذهبت إلى جوار جوني، وأخذت يديه وقلت «عندي أخبار جميلة لك يا حبيبي. أخبرنا الطبيب أنك ستتعافى بعد عدة أسابيع، وبمجرد ما تتحسن حالتك، سننتقل إلى هاواي.

وهنا اتسعت عينا جوني من الفرح والترقب.

وأكملت حديثي وقلت «أنا أقصد هذا. سننتقل إلى هونولولو بصفة دائمة».

وكان وقع هذا الخبر طيباً على چوني، بالرغم من أن كرستين كانت متخوفة من أنه قد لا يحتمل السفر إلى هاواي. وتحسنت حالته في نوفمبر وديسمبر، وشجعه هذا تماماً، إلا أن هذا التحسن كان مؤقتاً، فهاجمه المرض مرة أخرى، وكانت حالته خطيرة. كانت تمر عليه أيام مشرقة، لكنه بصفة عامة كان في ذبول مستمر يعاني من آلام مبرحة بصفة دائمة.

قلت «ما كان ينبغي أن أقوم برحلتي الأخيرة».

قالت كرستين «لا تؤنب نفسك».

قلت «لكنك تعرفين كم يعاني چوني عندما أسافر بعيداً».

قالت «هذا ما كان يريده چوني دائماً. إنه يحب خدمتك، لكنه يريد أن نكون جزءاً منها بقدر استطاعتنا، فإن كان ينبغي أن تظل في البيت الشتاء الماضي، فأعتقد أنه أيضاً كان يجب عليك أن تظل في البيت مرة ومرات طوال الأربع وعشرين سنة الماضية. وإن كان هذا هو الحال، ترى هل كنت ستنجز ما أنجزته من خدمة الآن؟».

فكرت كثيراً وأنا أرى چوني يزداد ضعفاً. تذكرت تساؤلاً في السنوات الأولى كان يشغلني: هل الحالة التي عليها چوني بسبب خطية في حياتي أم لا؟ وعندئذ قادني الروح القدس إلى قصة الأعمى«مُنْذُ وِلاَدَتِهِ» فسأل التلاميذ المسيح «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى

وَلِدَ أعْمَى؟». فأجابهم «لاَ هَذَا أخْطَأَ وَلاَ أبَوَاهُ، لَكِنْ لِتَظْهَرَ أعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ» (يوحنا ٩: ١-٣)

وفكرت في ما قيل عن يسوع «مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ» (عبرانيين ٥: ٨).

وتساءلت هل لمس جوني حياة كثيرين من خلال آلامه أكثر من تأثيري أنا في كل أيام خدمتي؟ كنت أفكر في أشخاص مثل دكتور بورتر بارينجتون الذي تأثر بخدمة جوني. وعندما تحدث عنه أرسل نحو ٩٠٠ شخص كروتاً له مناسبة الاحتفال بالكرسماس. وأفكر في إخلاص جوني وكيف كان يهب نفسه لراعي كنيسته، ولأصدقائه، كما كان يهب نفسه لأمّه، ولي، وللخدمة، ولمجريث. إنه يحب جدته، الأم باركر، كما يحب أبي وأمي.

في الأسابيع الأولى من عام ١٩٧٥، كنت ألازم البيت والمكتب بقدر الإمكان، منتهزاً كل لحظة لأقضيها مع ابني. وفي التاسع من فبراير، كان لزاما عليَّ أن أذهب إلى مدينة شاتانوجا بولاية تنيسي.

قالت لي كرستين «لا أرى سبباً يمنعك من الذهاب». فذهبت واتصلت بالبيت تلك الليلة. قالت «جوني ليس على ما يرام». فسألت «إلى أي مدى هو مريض؟». قالت «جداً». فعدت إلى البيت فوراً.

وعندما اقتربت منه وهو في سريره سألته «جوني، هل أُصبت بنزلة برد يا حبيبي؟». وبصعوبة بالغة نظر إليَّ. فمضيت أقول «بمجرد أن تتعافى، سننتقل إلى هونولولو». وتحركت شفتاه قليلاً، بالطريقة التي

كانتا تتحركان بها عندما يُصاب بالإحباط. كان يدرك أنه لن يستطيع. وانسحبت من جواره.

همست كرستين لي قائلة «إنه يتألم بشدة ويزداد ضعفاً».

ومرت الأيام التالية طويلة، وكنا نسهر معه على مدار اليوم، وبدلاً من أن أكون في المكتب وأتصل بالبيت، بقيتُ في البيت، وكنت أتصل منه بالمكتب.

وكان يزور چوني يومياً طبيب العائلة دكتور جيبس، وكان يبذل كل ما في وسعه ليخفف آلام چوني.

قلتُ لطبيبه «إنه لا ينام على الإطلاق، وهو دائماً متضايق. ويتألم بشدة».

إنه أمر محزن أن نرى ابننا يضعف من يوم ليوم، فهو لا يستطيع أن يتناول أي طعام، وكان يهز رأسه للأمام والخلف ويئن من شدة الألم، وعندما نتحدث إليه كان يحاول بكل جهده أن يبتسم.

قال لنا الطبيب «هل تريدون أن تذهبوا به إلى المستشفي؟»

قلنا «هل يجب؟»

قال «بصراحة، كل ما تستطيع أن تعمله المستشفى هو أن تؤجل قليلاً ما لابدّ أن يحدث».

نظرت إلى چوني وذهبت بعيداً.

قال الطبيب «هل المستشفى ستجعل الأمور أسهل بالنسبة لك يا مدام هجاي؟».

قالت «لا. لقد مرّ بأزمة خطيرة منذ عدة شهور، لكن أريده أن يستمر هنا، فهو يكون أكثر سعادة وهو في بيته»

ووافق هذا الطبيب الحكيم.

وأتى الثالث عشر من فبراير. وفي تلك الليلة، كنا ما زلنا ساهرين، وكانت كرستين جالسة بجواره، ولم تكن تتركه ولو للحظة واحدة، أمسكت بيديه وهزتهما وهمست «لن يمرّ وقت طويل يا چوني ويكون كل شيء على ما يُرام».

وبينما بدأ الليل يزحف، طلبت منا كرستين أن نحتفظ بهدوئنا بقدر الإمكان حتى لا نزعج چوني. وانسحبنا كلنا إلى غرفة مجاورة لغرفته، حتى نستطيع أن نرقب حركته أو أنينه، لكن دون أن نسبب له أي إزعاج.

وقفت بعيداً أطول فترة ممكنة ثم عُدت إلى جوار چوني وأمسكت بيديه، كما كنت أعمل معه عندما كنت أتواصل معه. كانت يداه باردتين، وهمست له قائلاً «أريد أن أقول لك أمراً مدهشاً». ثُم أمسكت كتابي المقدس، وأمسكت يده بإحدى يديَّ وقرأت له «سَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رؤيا ٢١: ٤)

وأدركت أنه سمع لأني رأيت رفرفة خفيفة في عينيه، وتركته يحاول أن يضغط على يدي كأنه يوافق على هذه الكلمات.

وأتى نصف الليل، وحضر دكتور جيبس ثانية

وتدهورت حالة چوني بسرعة

قال لي طبيبه «أنا لا أعرف كيف مازال حتى الآن في وعيه؟ فكل هذا الألم كان ينبغي أن يسبب له غيبوبة منذ فترة».

وبدأنا نسمع صوت حشرجة من حلقه.

انحنيت عليه وهمست وقلت «هل تسمعني يا چوني؟». ففتح إحدى عينيه قليلاً.

أمسكت بيديه وقلت «إنه يحاول أن يجذب يدي إليه».

وبدأ تنفسه يضعف، ووجهه يزداد اصفراراً. وفي الساعة الثانية صباحاً أتته نوبة من القيء كما كانت تأتيه، لكنه تقيأ في هذه المرة كوبين من الدم، ولفظ النفس الأخير وأسلم الروح.

وقالت كرستين بصوت هادئ «أشكر الله، فقد تحرر في النهاية».

وانفجرت مجريث في البكاء وكذلك الأم باركر. لكن حلَّ سلام عميق وجميل عليَّ وعلى كرستين، وهمست في أذن زوجتي أقول «الآن هو يعرف مقدار حبنا له، ففي السماء سيعرف، نعم سيعرف».

اجتمعنا حول سريره. صليت صلاة مختصرة قدمت فيها الشكر لله لأجل البركات التي نلناها من خلال چوني.

أمسكت مجريث يده مرة أخرى، وهزتها، ثم تركنا غرفته وذهبنا إلى غرفة أخرى.

وألبسناه الجاكت المفضل عنده والذي كانت مجريث قد أهدته له، ولم يقف أحد منا بجوار الصندوق. نحن نعلم أن ابننا قد مضى، ولم يبق إلا الجسد، لكن هناك شيء رائع عن هذا الجسد: لم يعُد يتألم، ولن يصيبه الإحباط، لكنه يرقد مسترخياً. نعم، يبدو چوني الآن شاباً لامعاً، لا كشخص استمر حوالي ربع قرن من الزمن في معاناة مستمرة.

وطار إلينا من هونولولو صديقنا الحميم دكتور بيل سميث ليشترك مع راعي كنيستنا دكتور راسيل ديلي في صلاة التعزية يوم السبت، ثم عاد لبيته، ولأنه كان في نهاية الأسبوع فقد تأجلت مراسم الدفن حتى يوم الاثنين، وحدث سوء فهم في المواعيد، فلم يحضر راعي كنيستنا الذي كان من المفروض أن يحضر مراسم خدمة الدفن في المقابر. ولعل هذا كان بترتيب من الله ليعظم غنى المسيح في حياتي.

انتظرنا لمدة دقائق، وأنا أشكّ أن أصدقاءنا الذين حضروا أدركوا قلقنا من عدم حضور الراعي، ولأن كل شيء كان مُعداً بتوقيتات، وقفت أنا بجوار القبر.

وقلت ببطء «إنها مسئولية دينية لكنها غير سعيدة أن نسلم هذا الجسد لهذه الأرض، كما كانت من قبل مسئولية دينية لكنها سعيدة عندما سلمنا نفسه للسماء من خلال استحقاقه في دم يسوع المسيح. قال الرب يسوع «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦). ثم

صليت صلاة مختصرة، واخترت كل كلمة بعناية، وكانت نفسي تتمزق من الحزن.

وما أن انتهى كل شيء وضعنا لافتة على قبره مكتوب عليها «چون إدموند هجاي الصغير».

ماذا بعد

أصبح بيتنا مكاناً موحشاً خصوصاً بالنسبة لكرستين، ورويداً رويداً بدأت تتخلص من متعلقات چوني. تخلصنا من السرير الطبي، ومن التجهيزات التي كانت في دورة المياه، وأعدنا ترتيب حجرة نوم چوني الكبيرة التي كانت تهتم به فيها لسنوات طويلة.

مكثت مجريث معنا عدة أيام، ثم عادت إلى بلفاست، وقالت وهي تمسك بيد زوجتي وتبكي «ما أصبحت أنا عليه الآن، يرجع الفضل فيه لك ولچوني. أذكر حين حضرت أول مرة، عندما كنت أشعر بالأسى على نفسي، كنت أنظر إلى چوني، كيف كان يعاني بصبر، وكيف لم يشتكِ إطلاقاً. كم كانت ابتسامته جميلة! كنت أخجل من نفسي، لكنكم ساعدتموني لأقبل نفسي، ولأرى في ذاتي خليقة الله المتميزة. أنا أشكركم».

وأنا أتساءل هل سيحدث تغيير في حياتي وفي خدمتي! من الذي سيستمر في دعمي بالصلوات بدلا من چوني؟ كم من انتصارات حصلنا عليها نتيجة لصلواته، وكم من المشاكل والتحديات التي سنواجهها في المستقبل لأننا لا نحصل على دعمه لنا بالصلوات؟ إني مقتنع في قرارة نفسي أنه لا يوجد أحد، مهما كانت درجة اهتمامه بخدمتنا للعالم الثالث، كان يدعمني باستمرار وبفاعلية في خدمتي كما كان يفعل چوني منذ بداية هذه الخدمة.

وبالنسبة لنا أصبحت السماء أكثر إشراقاً، فهي مكان نتوق أن نذهب إليه.

وفتح الرب بطريقة عجيبة أبواب الخدمة لكرستين، فأدركت أن جوني كان يريدها أن تقتحم أبواب الخدمة وتخدم بكل قوة.

وأخيراً استطاع ابننا وهو في السماء الآن أن يمشي بل ويجري. ويا له من انتصار عجيب لشخص مثله عاش طوال حياته سجين جسدٍ يحطمه الألم والضيق والكرب، ثم وجد انطلاقة في رحب واسع في الأبدية.

نعم فأنا أفتقده.

افتقده بشدة أحياناً

وأخيراً، جوني الآن حرٌّ طليق، وأنا أشارك أمه في تقديم الشكر الله.

معهد هجاي

يعيش بلايين الناس في دول لا ترحب بالكارزين الأجانب أو قد تمنع دخولهم البلاد، ويختار معهد هجاي المؤمنين المشهود لهم من بين هذه الدول، ليؤهّلهم ليستطيعوا أن يقدموا المسيح لشعوب بلادهم، ويحفزهم ليدربوا آخرين أيضاً.

ولكي يحقق المعهد أهدافه، استخدم مركزين استراتيجيين، أحدهما في سنغافورة، والآخر في جزيرة ماوي هاواي، واستعان بمحاضرين أمناء من أكفأ الناس من دول العالم الثالث، وليسوا من الدول الغربية. ويتضمن البرنامج محاضرات عميقة لمجموعات صغيرة، كما يتضمن ورش عمل، ويركز البرنامج التدريبي على «كيف» تكرز، وهو يزوّد القادة المشاركين باستشارات رائعة تساعدهم أن يرسموا لأنفسهم استراتيجياتهم الخاصة في الكرازة.

ومنذ ١٩٦٩، تخرج عشرات الآلاف من القادة من معهد هجاي سواء على المستوى الدولي أو المحلي، ويمثل كل هؤلاء الرجال والسيدات تقريباً كل المذاهب المسيحية في آسيا وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وهم من أكثر من ١٥٠ جنسية، وينبغي أن يكون لكل من تدرب في المعهد نشاط كرازي، وعليه أن ينقل هذا التدريب لحوالي مائة شخص آخر.

مؤلف هذا الكتاب

كتب هذا الكتاب دكتور چون إدموند هجاي مؤسس ورئيس معهد هجاي، الذي أطلقوا عليه «الرجل الممتلئ بالحيوية والنشاط، رجل الرؤى، الكارز، أمير المنبر ».

وُلد چون إدموند هجاي في مدينة لويڤيل بولاية كنتاكي، من أب سوري هاجر إلي أمريكا، ومن أم أمريكية لها جذور انجليزية. ويعيش هو وزوجته كرستين في أتلانتا بولاية چورچيا، إلا أن تأثيرهما لمس الملايين (ولا زال يلمسهم) حول العالم.

تخرج دكتور هجاي من كلية لاهوت مودي ومن جامعة فورمان، وحصل على العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية من أماكن كثيرة في العالم.

وعندما زار آسيا في عام ١٩٦٠، رأي التغيرات السياسية، وانتهاء الاستعمار، فتغيرت رؤيته للعمل الكرازي، وبعد سنوات من البحث والتفكير، والصلاة، أسس في عام ١٩٦٩ معهد هجاي بهدف تنمية مهارات القادة، وليحرك القادة لينمّوا مهارات أبناء وطنهم.

وبعد أكثر من خمسة وستين عاماً في خدمة متواصلة، مازال يقود المعهد، ويكتب كتبه ومذكراته، ويعظ في الكنائس، ويحاضر في الجامعات والمعاهد، ويلتقي برجال الأعمال في كل أنحاء العالم.

وقد قام بتأليف العديد من الكتب، منها «كيف تتغلب على القلق»، «كيف تتغلب على الألم»، «كيف تتغلب على الوحدة»، «كيف تتغلب على الخوف»، «كن قائداً»، «القائد المؤثر».

بعض الكتب التي كتبها دكتور چون إدموند هجاي

Books By Dr. John Edmund Haggai

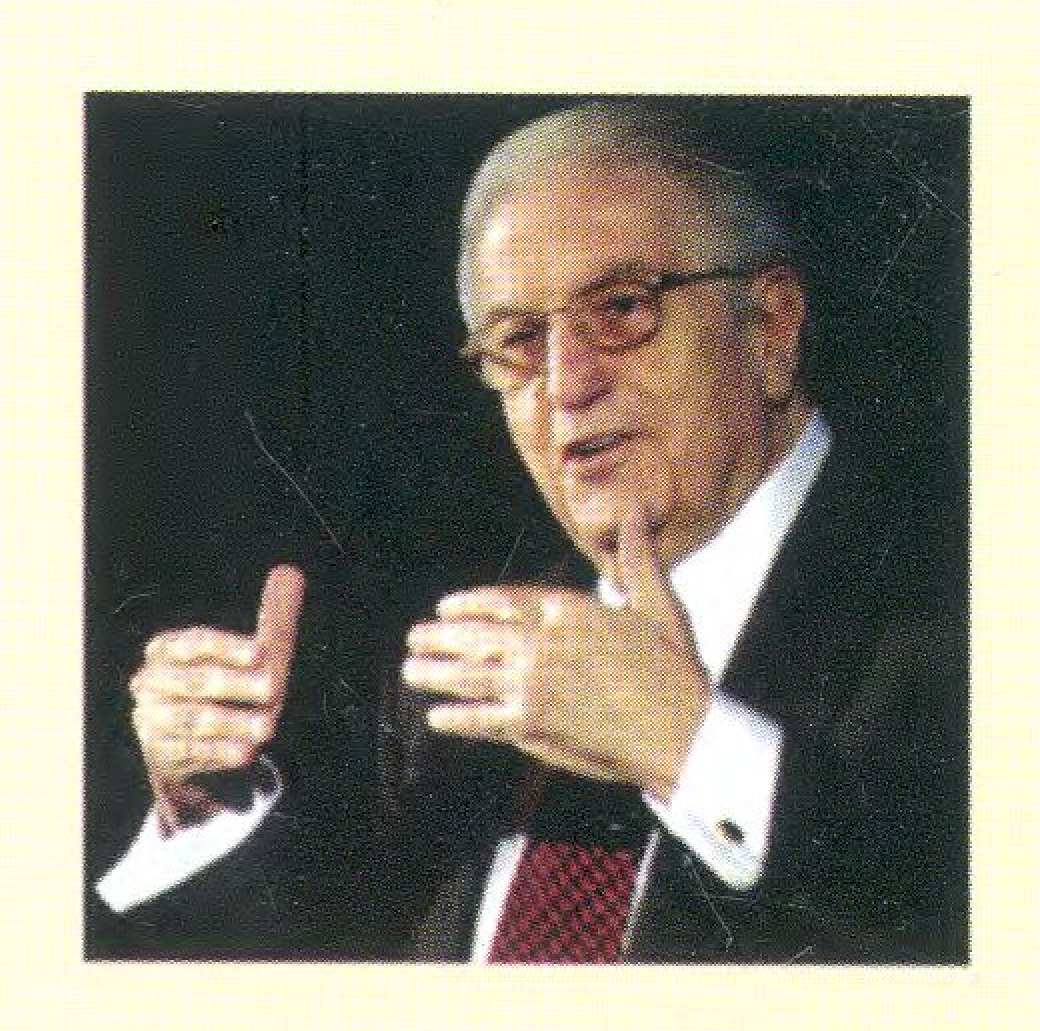
- ***How to Win over Fear***
- ***How to Win over Worry***
- ***How to Win over Pain***
- ***Lead On!: Leadership That Endures in a Changing World***
- ***My son Johnny***
- ***How to Win over Loneliness***
- ***The Christian's Dr. Jekyll and Mr. Hyde***
- ***365 Things Every Successful Leader Should Know***
- ***The Influential Leader: 12 Steps to Igniting Visionary Decision Making***
- ***EXPONENTIAL: Multiply Your Power To Do Good***
- ***Paul J. Meyer and the Art of Giving.***

- *Leading Edge*
- *The Seven Secrets of Effective Business Relationships*
- *Be Careful What You Call Impossible.*
- *The Steward*
- *Ten Commandements for Financial Freedom*
- *The Lord's Twin Emphases: Missions & Money*
- *The Wackersberg connection: The investment of influence.*
- *Power unlimited*
- *Why worry?*
- *The Hidden Value of a Man: The Incredible Impact of Man on His Family*
- *New hope for planet Earth*

أجمل عبارة كُتبت عن الكتاب

THIS IS
THE ONLY BOOK
THAT MAKES YOU
SEEM HUMAN!

الكتاب
الذي يجعلني
أشعر
بانسانيتي



مؤلف هذا الكتاب

كتب هذا الكتاب دكتور جون إدموند هجاي مؤسس ورئيس معهد هجاي، الذي أطلقوا عليه «الرجل الممتلئ بالحيوية والنشاط، رجل الرؤى، الكارز، أمير المنبر».

وُلد جون إدموند هجاي في مدينة لويفيل بولاية كنتاكي، من أب سوري هاجر إلي أمريكا، ومن أم أمريكية لها جذور انجليزية. ويعيش هو وزوجته كرستين في أتلانتا بولاية جورجيا، إلا أن تأثيرهما لمس الملايين (ولا زال يلمسهم) حول العالم.

تخرج دكتور هجاي من كلية لاهوت مودي ومن جامعة فورمان، وحصل على العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية من أماكن كث العالم.

وعندما زار آسيا في عام ١٩٦٠، رأي التغيرات السياسية، الاستعمار، فتغيرت رؤيته للعمل الكرازي، وبعد سنوات من والتفكير، والصلاة، أسس في عام ١٩٦٩ معهد هجاي بهدف مهارات القادة، وليحرك القادة لينمّوا مهارات أبناء وطنهم.

وبعد أكثر من خمسة وستين عاماً في خدمة متواصلة، مازا المعهد، ويكتب كتبه ومذكراته، ويعظ في الكنائس، ويحاض الجامعات والمعاهد، ويلتقي برجال الأعمال في كل أنحاء العالم. وقد قام بتأليف العديد من الكتب، منها «كيف تتغلب على القلق» قائداً»، «كيف تتغلب على الألم».